



بفضائل أهل البيت النبوي والذرية الطاهرة

تأليف
أبي الفتوح عبد الله بن عبد القادر التليدي المغربي
تحقيق
محمد كاظم الموسوي

مركز التحقيقات و الدراسات العلمية
التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

سرشناسه	: التليدي، عبدالله بن عبدالقادر.
	Talidi Abd- Allnh.
عنوان و پدیدآور	: الأنوار الباهرة بفضائل أهل البيت النبوي والذرية الطاهرة/ تأليف أبي الفتوح عبدالله بن عبدالقادر التليدي المغربي، تحقيق محمد كاظم الموسوي.
مشخصات نشر	: تهران : المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، المعاونية الثقافية ، مركز التحقيقات والدراسات العلمية ، ١٤٢٨ ق = ٢٠٠٧ م =١٣٨٦.
مشخصات ظاهری	: ٢٢٤ ص.
فروست	: سلسلة فضائل أهل البيت عند أهل السنة.
شابک	: ٩٦٤-٨٨٨٩-٧٩-١
یادداشت	: عربی
موضوع	: خاندان نبوت - فضائل أهل بیت بر منابع أهل سنت.
شناسه افزوده	: موسوی، محمد کاظم، محقق.
شناسه افزوده	: مجمع جهانی تقریب مذاهب اسلامی، معاونت فرهنگی، مرکز مطالعات و تحقیقات علمی.
رده بندی کنگره	: ٨ الف ٨ ت / ٢٥ BP
رده بندی دیویی	: ٢٩٧ / ٩٣١
شماره کتابخانه ملی	: ٤٥٧٦٢ - ٨٥م



المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب

- اسم الكتاب : الأنوار الباهرة بفضائل أهل البيت النبوي والذرية الطاهرة
- تأليف: أبي الفتوح عبدالله بن عبدالقادر التليدي المغربي
- تحقيق : محمد كاظم الموسوي
- تقويم النصّ : لؤي المنصوري
- المراجعة: شوقي محمد
- تنضيد الحروف: يحيى المروّجي
- الإخراج الفني: يحيى المروّجي
- طبع ونشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المعاونية الثقافية ، مركز التحقيقات والدراسات العلمية
- الطبعة : الأولى ـ ١٤٢٨ هـ ق / ٢٠٠٧ م
- الكمية : ١٥٠٠ نسخة
- السعر : ١٧٠٠ تومان
- المطبعة : كمال الملك
- ردمك : 964-8889-79-1
- العنوان : الجمهورية الإسلامية في إيران – طهران – ص . ب : ٦٩٩٥ ـ ١٥٨٧٥
  تلفكس : ١٤ ـ ٨٨٣٢١٤١١ ـ ٢١ ـ ٠٠٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾

الأحزاب / ٣٣

المقدّمة

إنّ كثيراً من الملامح التي اتّسم بها تاريخ العلاقة بين أهل البيت عليهم السلام والأمة الإسلامية، يمكن تفسيره بالموقع القريب الذي أحرزه أفراد هذا البيت من الجماهير المسلمة. وبالأخصّ الشارع العريض الذي يشكّل الفقراء والمحرومون الجزء الأعظم منه، والذي عُدّ القاعدة التي استندت عليه الدولة الإسلامية.

فمنذ رحيل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ومن بعده الخلافة الراشدة، عانت الأمة المشاقّ المريرة، والمقترنة بالضيم والقهر، وما جرىٰ عليها من ويلات لحقتها جرّاء تهوّر بعض الأُمراء، وتطرّف البعض الآخر، الذين تعاقبوا علىٰ سدّة الحكم.

وهكذا بدت صورة الأمة عند انفكاكها من جحيم الاستبداد الذي كان مستشرياً، صورة مظلمة للغاية فيما يتعلّق بالبنىٰ التحتية لقضايا التنمية والتعليم، والخدمات الاجتماعية والثقافية والحضارية و...

فكان لابدّ من أن تنحاز الأمة إلى من ينقذها ويصون كرامتها، ويعيدها إلىٰ سابق عهدها. ولم تجد أهلاً لهذا الأمر سوىٰ العلماء والفقهاء الورعين وصلحاء الأمة، وكان أهل البيت هم المقدّمين علىٰ هذا الصعيد.

فهم الذين جسّدوا الإسلام بكلّ تعاليمه الدقيقة، وطبّقوا كل مفاهيمه وقيمه، ولم

يدعوا ما يضرّ الدين ولا الدولة ممّا ابتدعها أعداؤهم، واختلقتها جهات عديدة مغرضة، همّها زرع الفتنة، وتكريس التفرقة بين المسلمين.

إنّ الآثار المتعدّدة الجوانب التي أحدثها أهل بيت محمدﷺ في مجال العلم والمعرفة، وحماية مقدّسات الإسلام، وتعزيز وحدة المسلمين وتعاونهم، ومقاومة الهجمات الثقافية التي يشنّها المبطلون بين الفينة والأُخرىٰ و... يمكن مشاهدتها في مختلف المواقع، وتناقلتها الكتب والمصنّفات التي تعرّضت بدرجة وأُخرىٰ لسيرتهم، وسجّلت مواقفهم الشريفة.

إنّ درجة كلّ أثر من الآثار التي أحدثوها في جميع بقاع العالم الاسلامي، تختلف بالضرورة من مكان لآخر، بحسب طبيعة المكان والظروف التي أحاطت به، والمناخ السياسي والاجتماعي والثقافي الذي لفّ بتلك البقعة، لكنّها تشترك جميعاً في نقطتين مهمّتين:

الأُولىٰ: الإخلاص في جميع سلوكياتهم، وهو ما ينمّ عن أصالة مواقفهم، والنيّة التي كانوا عليها.

الثانية: النزعة التقريبية التي كانوا يتّسمون بها، حيث رفضوا كلّ حلول مغشوشة ومستوردة، يُراد منها إشعال الفتن بين أبناء الأمة، فمالوا إلى صوب الحوار والتقارب، وتجنّبوا العصبية، ونبذوا التعاون على الإثم والعدوان.

إذن، فالقول بأنّ أهل بيت عليعليه السلام قد تركوا بصماتهم واضحة على حياة وسيرة المسلمين، وأثّروا فيهم أعمق التأثير، قول لا يحتاج إلىٰ مزيدٍ من البيان والمناقشة، لأنّ التاريخ يثبتها بشهادات مؤكّدة يرويها أصحاب هذه الصناعة والمتضلّعون فيها.

أليس التحوّل العميق الذي أصاب مسيرة الأمة، وجوانب التقدّم الذي أحرزته علىٰ كافّة الأصعدة، يعدّ مظهراً من مظاهر التأثّر بالموروثات الأصيلة عن النبي الأكرمﷺ وأهل بيته الطاهرينعليهم السلام؟

ألم يجسّدوا في سلوكياتهم ثقافة التقريب، ويتجنّبوا المواقف الحادّة والمتشنّجة بالمداراة تارة والموضوعية أخرىٰ، ولم يقوموا بمبادرات لا تثمر إلّا التمزيق وإضعاف شوكة المسلمين؟

لقد قام أهل هذا البيت الشريف بتثبيت الخطوة الأولىٰ بالاتّجاه الصحيح، بعد أن أوشك ـ أو كادت ـ الأمة أن تضلّ وتميل.

فليس غريباً أن يؤكّد الرسول الأكرمﷺ على ضرورة مودّة أهل بيته، ويشدّد على حبّ علي‍ؑ وأبنائه، ويختصّهم بمناقب وفضائل عظيمة لم‍يشاركهم فيها أحد.

وهذا الكتاب الذي بين يديك عزيزنا القارئ، شاهد آخر علىٰ ما نقول، فهو يعدّ من تلك المصنّفات التي ظهرت لتروي جانباً من جوانب فضائل أهل هذا البيت الشريف، وتدلّل على مكانتهم ومقامهم المحمود، وتصبّ جام غضبها على من عاداهم وأبغضهم.

لكنّه في الوقت نفسه يثير فينا الإحساس بالتقريب والشعور بدفئه، من جهة أنّ صاحبه يعدّ من أعلام المالكية في المغرب الإسلامي (١٣٤٥ ﻫ)، ومن جهة أخرىٰ أنّ الكتاب ضمّ بعض الأمور التي رآها المحقّق أنّها قد اشتبهت علىٰ المؤلّف، ولم يقف علىٰ حقيقتها.

لكن رغم ذلك يجد مركزنا العلمي التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ذلك حافزاً علىٰ تجسيد الوعي التقريبي ونشره كثقافة في الأوساط الإسلامية.

لقد سعى المحقّق الفاضل السيد محمد كاظم الموسوي إلىٰ تقديم الأفضل ممّا لديه في مجال التوثيق والتعليق، فلم يمل إلى جهة، ولم ينحاز إلى جانب معيّن، بل رجّح الموضوعية وتمسّك بالأمانة العلمية، وبالتعاون والتنسيق مع قسم التاريخ والرجال التابع للمركز، تمّ متابعته وإخراجه بالصورة التي تتناسب وذوق المسلم المعاصر.

وفي الوقت الذي نثمّن جهود المحقّق الفاضل علىٰ هذا الصعيد، وإنجازه الذي أتىٰ ما بوسعه من طاقة، وبصورة تليق ومحتوىٰ الكتاب النفيس، وجهود قسم التاريخ والرجال الذي لم يبخل بما لديه من كادر وإمكانيات سخّرها من أجل طبع ونشر هذا السفر الجليل، نجدّد دعوتنا إلىٰ كلّ أصحاب القلم والبحث والتحقيق، ليتحفونا بما لديهم من مشاريع تصبّ في أهداف التقريب، وأعمال علمية وثقافية تساهم في تعزيز الوحدة والتماسك بين فرقاء المسلمين.

والحمد لله أولاً وأخيراً.

مركز التحقيقات والدراسات العلمية

التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

كلمة المحقّق

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ محمد وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وبعد:

أهل البيت هم شجرة النبوّة[1] التي اصطفاها عزّوجلّ من بين خلقه، واصطنعها علىٰ عينه، وطهّرها وغذّاها حتّىٰ بلغت من مراقي الكمال أعلاها، ومن المناقب أفضلها وأغلاها، حتّى صاروا منبع الفضائل والكمالات، ومعدن العلم ومختلف الملائكة، يرشح على العباد ما يطفح من علومهم، فصاروا أعلام الهداية ومنار السبل وسفن النجاة، هم: علي وفاطمة والحسن والحسين وذرّيتهم المعصومون المطهّرون الذين طهّرهم الله من كلّ رجس، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[2].

قال ابن حجر الهيتمي في الصواعق: قال أكثر المفسّرين علىٰ أنّها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين[3].

---

١. شرح النهج ٧: ٢٨١.

٢. الأحزاب: ٣٣.

٣. الصواعق المحرقة ٢: ٣٢١.

وقال أيضاً: وصحّ أنّه جعل علىٰ هؤلاء كساء وقال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي وحامّتي ـ أي خاصّتي ـ أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» فقالت أُمّ سلمة: وأنا معهم؟ قال ﷺ: «إنّك على خير»[١].

وقد جعل الله سبحانه مودّتهم ومحبّتهم وولاءهم أجر الرسالة. قال ابن عباس: لمّا نزلت ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[٢] قالوا: يا رسول الله، من قرابتك الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: «علي وفاطمة وابناهما»[٣].

وهم حبل الله الذي أمر العباد أن يتمسّكوا به كي لا تفرّقهم السبل. قال ابن حجر الهيتمي: أخرج الثعلبي في تفسيره عن جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «نحن حبل الله الذي قال الله فيه: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾»[٤].

وهم العترة الذين جعلهم رسول الله ﷺ عدل الكتاب وأحد الثقلين، فقال ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله حبل ممدود بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[٥].

وقال ﷺ: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[٦].

---

١. المصدر السابق: ٤٢٢. وسيأتي مزيد كلام عن الآية وتفسيرها واختصاصها بأهل البيت عليهم السلام عند تعرّض المصنّف لذلك.

٢. الشورى: ٢٣.

٣. الصواعق المحرقة ٢: ٤٨٧.

٤. المصدر السابق: ٤٤٤، والآية: ١٠٣ من آل عمران.

٥. المعجم الكبير ٣:٦٦ و٥: ١٥٤، كنز العمال ١:١٨٦، مسند أحمد ٣:١٧.

والحديث مرويّ بطرق كثيرة جداً في بعضها: «إنّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا بعدي» مسند أحمد ٣:٥٩ ومسند أبي يعلى ٢:٣٧٦، وفي بعضها: «أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي» مسند أبي يعلى ٢:٣٠٣، وسيأتي مزيد كلام عن الحديث.

٦. كنز العمال ١:١٧٦ رقم ٨٧٣ و١:١٨٦ رقم ٩٤٦.

فأمر ﷺ بالتمسّك بهم والأخذ منهم والرجوع إليهم، وحصر ﷺ طريق الهداية والنجاة بالثقلين: الكتاب والعترة، ثم وصفهم بأنّهم سفن النجاة، ومن تخلّف عنهم هلك. قال ﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها هلك»[١].

فكلّ ذلك يدلّ على أنّه ﷺ أوجب الاقتداء والتمسّك بهم والاهتداء بهديهم.

ومثله قوله ﷺ: «من أحبّ أن يحيا حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنّة الخلد التي وعدني ربّي، فإنّ ربّي عزّ وجلّ غرس قضبانها بيده، فليتولّ عليّ بن أبي طالب وذرّيته من بعده، فإنّهم لن يخرجوكم من باب هدىً، ولن يدخلوكم في باب ضلالة»[٢].

وقوله ﷺ لعمّار: «يا عمّار! إذا رأيت علياً سلك وادياً، وسلك الناس وادياً غيره، فاسلك مع علي ودع الناس، إنّه لن يدلّك على ردىً، ولن يخرجك من الهدىٰ»[٣].

وقوله ﷺ: «من آمن بي فليتولّ علي بن أبي طالب، فإنّ ولايته ولايتي، وولايتي ولاية الله»[٤].

ثم قرنهم ﷺ به في الصلاة عليه، قال ابن حجر: صحّ عن كعب بن عجرة قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[٥] قلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلّم عليك، فكيف

---

١. المعجم الأوسط ٤: ٢٨٤، كنز العمال ١٢: ٩٤، سبل الهدى ١١: ١١ وقال: رواه البزّار والطبراني وأبو نعيم عن ابن عباس، والبزّار عن عبدالله بن الزبير، وابن جرير والحاكم والخطيب في المتّفق والمفترق عن أبي ذرّ، والطبراني في الصغير والأوسط عن أبي سعيد الخدري.

٢. كنز العمال ١١: ٦١١.

٣. المصدر السابق: ٦١٣ وقال: أخرجه الديلمي عن أيوب وعمار.

٤. المصدر نفسه: ٦١١.

٥. الأحزاب: ٥٦.

نصلّي عليك؟ قال ﷺ: «قولوا: اللّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد»[١].

ونهىٰ عن ذكره في الصلاة دونهم، وسمّاها الصلاة البتراء. قال ابن حجر: قال ﷺ: «لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء». فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: «تقولون: اللّهم صلِّ على محمد وتمسكون، بل قولوا: اللّهم صلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد»[٢].

ولأجل ذلك كلّه حذّر النبي ﷺ من مفارقتهم ومعاداتهم وإيذائهم. قال ﷺ: «اشتدّ غضب الله علىٰ من آذاني في عترتي»[٣].

وقال ﷺ «لا يبغضنا أهل البيت أحد إلّا أدخله الله النار»[٤].

وقال ﷺ: «من آذاني في عترتي فعليه لعنة الله»[٥].

وقال ﷺ: «حرّمت الجنّة على من ظلم أهل بيتي، أو قاتلهم، أو أعان عليهم، أو سبّهم»[٦].

ولم يكتف ﷺ حتّى جعل معاداة أهل البيت عليهم السلام معاداةً له، والمسالمة لهم مسالمةً له. فقال ﷺ لعلي وفاطمة والحسن والحسين: «أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم، وعدوّ لمن عاداكم»[٧].

وقال ﷺ: «يا علي، حربك حربي وسلمك سلمي»[٨] ومثلها أحاديث كثيرة واردة في التحذير من مفارقتهم ومعاداتهم.

---

١. الصواعق المحرقة ٢: ٤٢٩.

٢. المصدر السابق: ٤٣٠.

٣. كنز العمال ١٢: ٩٣، الجامع الصغير ١: ١٢٨، فيض القدير ١: ٥١٥.

٤. كنز العمال ١٢: ١٠٤، سير أعلام النبلاء ٢: ١٢٣.

٥. سبل الهدى ١١: ٩.

٦. المصدر السابق.

٧. كنز العمال ١٢: ٩٧، مصنّف أبي شيبة ٧: ٥٢١، صحيح ابن حبّان ١٥: ٤٣٤، أُسد الغابة ٣: ٧، المعجم الأوسط ٦: ٩ و٨: ١٢٨، المعجم الكبير ٣: ١٧٩، سير أعلام النبلاء ٢: ١٢٢ و٣: ٢٥٨.

٨. ينابيع المودّة ١: ١٧٢ وقال: قال زيد بن أرقم: أشهد لقد حدّثنا به رسول الله ﷺ.

هؤلاء هم أهل البيت، وهذه مناقبهم وخصائصهم، وهذه حقوقهم على الأُمّة، ويجمع ذلك كلّه ما ورد في تفسير قوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [١] قال ابن حجر: قال الواحدي: أي: عن ولاية علي وأهل البيت. وقال أيضاً: أخرج الديلمي عن أبي سعيد: أنّ النبيﷺ قال: «وقفوهم إنّهم مسؤولون عن ولاية علي» [٢].

ومن ثَمَّ اهتمّ العلماء بنقل ورواية مناقب وفضائل أهل البيتعليهم السلام، وبيان حقوقهم، ووجوب اتّباعهم، فصنّفوا أبواباً في الموسوعات الحديثية، وكتبوا في ذلك كتباً مفردة.

ولم يكن ذلك أمراً هيّناً ولا سهلاً، فلقد لاقى الرواة والمحدّثون الأذىٰ والتعذيب، والتقتيل والتكذيب جرّاء ذلك، ولم يكن لهم ذنب سوى أنّهم حدّثوا بالروايات الصحيحة عن النبيﷺ في فضل العترة الطاهرة.

ولم يسلم من ذلك الأذىٰ حتّى أئمة الحديث من أهل السنّة؛ مثل الإمام أحمد بن شعيب النسائي صاحب السنن، فقد خرج من مصر وقصد دمشق ونزل بها، فوجد أكثر أهلها منحرفين عن الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام، فأخذ علىٰ نفسه وضع كتاب يضمّ مناقبه، فكتب «خصائص أمير المؤمنين» وحدّث به، فسُئل عن معاوية، فقال: أما يرضىٰ معاوية رأساً برأس حتّى يُفضّل؟! وفي رواية قال: لا أعرف له فضيلةً، إلّا «لا أشبع الله له بطناً» فهجموا عليه، وما زالوا يدفعون في خصيبه وداسوه حتّى أخرجوه من المسجد، فحُمل إلى الرملة ومات بها. وقال في تهذيب الكمال: فضربوه في الجامع، وأخرجوه وهو عليل، وتوفّي مقتولاً شهيداً [٣].

---

١. الصافات: ٢٤.

٢. الصواعق المحرقة ٢:٤٣٧.

٣. تهذيب الكمال ١:٣٣٩، والقصّة مذكورة في تذكرة الحفّاظ للذهبي ٢:٧٠٠، وطبقات الشافعية ←

وهكذا صُنع بالحافظ محمد بن يوسف الكنجي الشافعي المقتول بجامع دمشق سنة ٦٥٨ للهجرة، بسبب تحديثه بروايات مناقب الإمام علي وأهل البيت عليهم السلام.

ومن العجيب قول الذهبي عنه، قال: «والمحدّث فخرالدين بن محمد بن يوسف الكنجي، قُتل بجامع دمشق لدبره وفضوله»[١]!! فالذهبي يعدّ الحديث في مناقب أهل البيت عليهم السلام فضولاً من الكلام، وتراجعاً عمّا سنّه أهل الضلال من بني أُميّة، وما اقتضته السياسة في ذلك الزمان، من معاداة أهل البيت، وإماتة ذكرهم، وإخفاء فضلهم ومناقبهم.

بل عمدوا لترك الكثير من سنّة النبي صلى الله عليه وآله بغضاً منهم لعلي عليه السلام، لأنّ علياً كان يتقيّد بها، وهذا من أخطر ما تعرّضت له السنّة النبوية الشريفة.

ويدلّ على ذلك ما روي عن سعيد بن جبير، قال: كنت مع ابن عباس بعرفات، فقال: ما لي لا أسمع الناس يلبّون؟ قلت: يخافون معاوية، فخرج ابن عباس من فسطاطه فقال: لبّيك اللّهم لبيك وإن رغم أنف معاوية، اللّهم العنهم، فإنّهم قد تركوا السنّة من بغض علي[٢].

ويعلّق الإمام السندي على الحديث في حاشية سنن النسائي فيقول: «وهو ـ أي علي ـ كان يتقيّد بالسنّة، فهؤلاء تركوها بغضاً له».

وهذا من النصوص والشواهد الصريحة على إخفاء وترك السنّة وتبديلها، لأنّهم جعلوا عدم التلبية هي السنّة، وهذه هي البدعة بعينها. ومن المؤكّد أنّ هناك رواة وحفّاظاً يتولّون هذا الأمر.

← للسبكي ٣:١٦، وقال: الصحيح أنّه أُخرج من دمشق لمّا ذكر فضائل علي... إلى آخر كلامه. وقال الحاكم في معرفة علوم الحديث: ٨٣: رُزق الشهادة آخر عمره، وساق الكلام إلى آخره.

١. تذكرة الحفّاظ ٤:١٤٤١.

٢. السنن الكبرى للبيهقي ٥:١١٣، مستدرك الحاكم ١:٦٣٦، سنن النسائي ٥:٢٥٣. ورواه في كنز العمّال عن ابن جرير ٥:١٥٢.

ثم وصل الحال إلى التعاهد في إخفاء روايات مناقب أهل البيتﷺ، فقد روى ابن شهاب الزهري: أنّ عبدالملك بن مروان سأله: ما كان في بيت المقدس صباح قُتل علي بن أبي طالب؟ قلت: لم يُرفع حجر من بيت المقدس إلّا وجد تحته دم، فقال: لم يبق أحد يعلم بهذا غيري وغيرك، فلا يسمعنّ بهذا منك أحد، قال: فما حدّثت به حتّى توفّي[1].

ولم يكتفوا بذلك في حربهم المعلنة على السنّة من القتل والتنكيل، وإماتة السنّة وإخفائها وتبديلها، فوضعوا شروطاً ليتوصّلوا بها إلىٰ إبطال ومنع أخبار فضائل علي وأهل البيتﷺ، فجعلوا آية تشيّع الراوي وعلامة بدعته هي روايته في فضائل ومناقب أهل البيتﷺ، ثم قالوا: نردّ رواية الشيعي إذا كانت تؤيّد مذهبه، ومعنى ذلك عدم قبول روايات المناقب وإن كان الراوي ثقةً.

يقول علّامة المغرب أحمد الغماري المالكي: «وقد راجت هذه المكيدة على الكثير من النقّاد، فجعلوا يثبتون التشيّع برواية الفضائل، ويجرحون راويها بذلك! وهي مكيدة شيطانية كاد أن ينسدّ بها باب الصحيح في فضائل العترة الطاهرة لولا حكم الله»[2].

وقال العلوي في دفع الارتياب: «وأصل ذلك من النواصب الذين اندسّوا بين المحدّثين، فانخدع بأقوالهم من ليس منهم من أهل السنّة البريئين من النصب، فنفّروهم من رواية هذه المناقب، مع أنّ السنّي أصلاً يوالي علياً»[3].

ثم يأتي العلوي بشاهد علىٰ ذلك، فيقول: «وكان الحافظ إبراهيم الجوزجاني

---

١. نظم درر السمطين: ١٤٨، ينابيع المودّة ٣: ٢٢ وقال: قال البيهقي: الذي صحّ عنه أنّ ذلك حين قُتل الحسين، ولعلّه وجد عند قتلهما جميعاً.

٢. فتح الملك العلي: ١١٠.

٣. دفع الارتياب عن حديث الباب: ٣٠.

شيخ أبي داود والنسائي، حامل راية النصب والبغض لعلي، وسترىٰ كلامه في المسلك المبسوط في معاداة عليّ، وإعلانه الحرب على مناقبه وفضائله»[١].

ولم يقف الأمر عند الجوزجاني فحسب، يقول الغماري المالكي: «قد انطوت بواطن كثير من الحفّاظ خصوصاً البصريّين والشاميّين على البغض لعلي وذويه»[٢]. ومعنىٰ ذلك: أنّ بعض المحدّثين والحفّاظ كانوا من النواصب المعادين لعلي وأهل البيت، وكانوا الأداة الطيّعة للحكّام لتنفيذ المؤامرات على السنّة النبوية في ما يخصّ أهل البيت عليهم السلام.

يقول السقّاف في إرغام المبتدع: «فردّ حديث الثقة الشيعي إذا كان يؤيّد مذهبه لم يصدر إلّا من النواصب ومن لفّ حولهم، واختار قولهم ودار في فلكهم، وأمّا أهل الإنصاف من أئمة الحديث سلفاً وخلفاً فلا يقولون بهذا الهراء الذي لا طائل تحته، والذي يدلّ على التخريف والتحريف... إلىٰ أن يقول: وهذا باطل لا يشهد له عقل ولا يؤيّده نظر، ولولا ضيق الوقت لذكرنا العدد الكبير من الأحاديث التي رواها الثقة الشيعي فيما تؤيّد مذهبه، وصحّحها الأئمة وأخرجوها في كتبهم»[٣].

وللغماري المالكي كلام دقيق يكشف عن خبايا الأمور، ويضع الأمور علىٰ نصابها، قال: «وأمّا الذهبي فلا ينبغي أن يقبل قوله في الأحاديث الواردة بفضل علي عليه السلام فإنّه ـ سامحه الله ـ كان إذا وقع نظره عليها اعترته حدّة أتلفت شعوره، وغضب أذهب وجدانه حتّىٰ لا يدري ما يقول، وربّما سبَّ ولعن من روىٰ فضائل علي عليه السلام، كما وقع منه في غير موضع من الميزان وطبقات الحفّاظ تحت ستار: أنّ الحديث موضوع، ولكنّه لا يفعل ذلك في من يروي الأحاديث الموضوعة في

---

١. المصدر السابق: ٤٠.

٢. فتح الملك العليّ: ١٥٥.

٣. إرغام المبتدع: ٥٩.

مناقب أعدائه، ولو بسطت المقام في هذا لذكرت لك ما تقضي منه بالعجب العجاب من الذهبي»[1].

وهذا يكشف عن أنّ القدح بالرواة عند الذهبي وغيره من أئمة الجرح والتعديل ميزانه الأول حبّ علي وأهل البيت، ورواية مناقبهم وفضائلهم. ولم يقف الأمر عند رواة الشيعة، بل تعدّوه إلى رواة السنّة. ووصل الأمر إلىٰ أنّهم قدحوا بالحاكم النيسابوري والإمام الطحاوي لأنّهما صحّحا حديث ردّ الشمس! وقدحوا أيضاً بمحمد بن جرير الطبري لتصحيحه حديث الموالاة! وتكلّموا في الإمام الشافعي وذلك لموافقته الشيعة في مسائل فرعية؛ كالتختّم باليمين، والجهر بالبسملة، والقنوت في صلاة الصبح!

إلّا أنّه على الرغم من كلّ تلك العوائق والتنكيل بالرواة، ومحاولات الإخفاء والتبديل التي تعرّضت لها الروايات النبوية بحقّ أهل البيت، لم ينقطع التصنيف في المناقب والفضائل، فظهرت أحاديث النبيﷺ، وظهرت المصنّفات في أهل البيت، وذكر خصائصهم وفضائلهم وما حباهم الله ورسوله من الشرف والفضيلة.

ومن هذه المصنَّفات: هذا الكتاب الذي نقدّمه للقرّاء بعد تحقيقه والتعليق علىٰ أكثر مقاطعه وفقراته، وهو كتاب «الأنوار الباهرة بفضائل أهل البيت النبوي والذرّية الطاهرة» للعلّامة عبدالله التليدي.

نبذة من حياة المصنّف

هو العلّامة المحدّث عبدالله بن عبدالقادر التليدي الحسني المغربي المولود عام ١٣٤٥ للهجرة في مدينة طنجة بشمال المغرب العربي. من أبرز شيوخه وأساتذته أحمد بن الصدّيق الغماري[2] وأخوه عبدالله الغماري[3] ومحمد باقر الكتاني.

---

١. فتح الملك العليّ: ١٦٠.

٢. أحمد بن الصدّيق الإدريسي الحسني الغماري المالكي من علماء المغرب، درس عند والده، ←

له عدّة من المصنّفات، منها: تهذيب الترمذي، الجواهر المصنوعة في تفسير القرآن، فضائل الصحابة، كتاب المبشّرات، كتاب الأنوار الباهرة، وهو هذا الكتاب.

الدافع لتأليف الكتاب

يقول التليدي في مقدّمة كتابه: إنّ الدافع له إلىٰ تأليف هذا الكتاب أُمور:

الأوّل: الدفاع عن أهل البيتعليهم السلام أمام النواصب الذين يضمرون الأحقاد والبغضاء لأهل البيت، يقول: لا شكّ في انحراف هؤلاء وضلالهم، وسلفهم في ذلك الخوارج وبني أُمية.

الثاني: ما يحمله هو من تقدير ومحبّة لأهل البيتعليهم السلام.

الثالث: ردّ مزاعم الغلاة الذين يرمون أهل السنّة بالنصب، ويتّهمونهم بعداوة أهل البيتعليهم السلام والانحراف عنهم.

← وهاجر الىٰ مصر ودرس عند أكثر علمائها كالسقّاء الشافعي والصعيدي وخضر المالكي شيخ الأزهر، ألّف أكثر من مائة وخمسين مصنّفاً منها: فتح الملك العلي بصحّة حديث باب مدينة العلم علي، وإبراز الوهم المكنون في كلام ابن خلدون، ردّ فيه على طعن ابن خلدون في أحاديث المهدي، وإحياء المقبور بأدلّة بناء المساجد والقباب على القبور. كان الغماري متحرّراً فكرياً ذامّاً للتقليد والمقلّدة، أظهر أخطاء أئمة الجرح وبيّن تناقضاتهم في أكثر كتبه، وأكثر من الطعون علىٰ بني أُميّة وأعداء أهل البيت، فكان يجاهر بلعن معاوية وابن العاص ويزيد بن معاوية، توفّي بمصر في القاهرة بمرض قلب في سنة ١٣٨٠ للهجرة.

٣. عبدالله بن الصدّيق الغماري، محدّث الديار المغربية، ولد في طنجة سنة ١٣٢٨ هجري، أخذ العلم عن والده وأخيه أحمد، ثم رحل إلىٰ الأزهر ودرس عند الكثير من علماء الديار المصرية كالسقّاء الشافعي والطهطاوي وأبي الوفاء الحنفي والكوثري والنبهاني. ألّف أكثر من خمسين مصنّفاً منها: إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بسيد الأنبياء، القول المقنع في الردّ على الألباني المبتدع، المهدي، حسن البيان في ليلة النصف من شعبان. توفّي سنة ١٤١٣ للهجرة ودفن بطنجة بالقرب من قبر والده.

والملاحظ علىٰ التليدي في كتابه هذا أمور: وهي:

أوّلاً: أنّه يأخذ أقوال الشيعة الإمامية من كتب وأفواه مخالفيهم وأعدائهم ـ كنقله رأي الشيعة في آية التطهير وحديث الكساء والمهديّ المنتظر ـ ولم يكلّف نفسه البحث والمراجعة لكتب الشيعة كما هو مقتضى الإنصاف والبحث العلمي الموضوعي، وهذا هو المطلوب منه ومن غيره من العلماء والباحثين، وليته فعل كما يفعل علماء الإمامية في كتبهم وبحوثهم من أخذ آراء القوم من مصادرهم الأصليّة، وإن نقلوا شيئاً بالمعنىٰ نبّهوا عليه، وهذا هو مقتضى الأمانة العلمية.

ثانياً: نقل بعض الافتراءات والأكاذيب من الحاقدين الذين يريدون الكيد للإسلام وتفريق كلمة المسلمين، ومن الذين إلى الآن يخلطون بين الشيعة الإمامية وبين بعض الفرق البائدة التي حُسبت على التشيّع في زمنٍ ما ظلماً وتزويراً في التاريخ، وتشويهاً للحقائق. وكان الأولىٰ به أن يصون نفسه وكتابه وينزّههما من هذه الأكاذيب والافتراءات، ولو تأمّل العلّامة فيها وراجع لعلم أنّ الشيعة منها براء، وهم أولى بها، وسوف نبيّن كلّ ذلك في التعليقات.

ثالثاً: مناقضاته لنفسه في عدّة موارد من الكتاب وسوف نبيّنها في تعليقاتنا على الكتاب.

وللإنصاف العلمي ينبغي أن نسجّل للعلّامة التليدي الشجاعة والصراحة في إبداء رأيه وإقراره بعدّة أُمور، بعد أن تبيّن له ذلك بالدليل، فلم يلتمس الأعذار والمخارج والتأويلات، بل جاهر بالحقيقة وصدع بها وهي:

أوّلاً: تصريحه بأنّ معاوية وأهل الشام وبعض الصحابة بغاة، لقول النبي ﷺ: «تقتل عمّاراً الفئة الباغية».

ثانياً: تصريحه بأنّ عليّاً ؈ مصيب في جميع حروبه، وأنّ مقاتليه بغاة، سواء في الجمل أو صفّين أو النهروان.

ثالثاً: تصريحه بأنّ معاوية وبني أُمية كانوا يسبّون علياً على المنابر في خطب الجمعة والعيدين، وأنّهم كانوا يأمرون الناس بلعنه وشتمه، وأنّ هذا أمر ثابت ومستفيض، وأنّ بني أُمية سفكوا دم أهل البيت، واستباحوا سبّهم ولعنهم، وخالفوا المصطفىﷺ في وصيّته...

رابعاً: نقضه علىٰ بعض علماء السنّة في نفيهم «كون خطباء بني أُمية اتّفقوا على سبّ ولعن الإمام علي» ونقض عليهم بإجماع المؤرّخين، وصحّة هذا النقل في دواوين السنّة.

خامساً: مقته ولعنه ليزيد بن معاوية وكلّ من اشترك بقتل الحسينعليه السلام.

سادساً: تصريحه بأنّ علياًعليه السلام أعلم الصحابة، وأنّه باب مدينة العلم، وتصحيحه لحديث: «أنا مدينة العلم وعلي بابها».

سابعاً: تصريحه بصحّة جملةٍ من الأحاديث التي تأتي الإشارة اليها.

ثامناً: أنّ أهل البيتعليهم السلام هم «علي وفاطمة وابناهما» ولا يدخل فيه الأزواج ولا غيره، وقال: علىٰ هذا الإطلاق أكثر الأحاديث، وهو المتعارف بين الناس حتّىٰ أصبح علماً عليهم.

تاسعاً: إشكاله علىٰ من برّر صنع الذين حاربوا علياًعليه السلام وهو أمير المؤمنين، بأنّه اجتهاد منهم.

وأخيراً وبعد كلّ ما تقدّم نقول: إنّنا نأمل من القرّاء والمتابعين، حسن الفهم والمتابعة، وتحرّي الحقائق بموضوعية، بعيداً عن الأهواء وغلبة الظنون والتعصّبات، وتجنّب الأحكام المسبقة، ونبذ التقليد الأعمىٰ، كي لانكون ضحيّة الأباطيل والتلبيسات التي نسجها أهل الضلال ومن يريد بالإسلام المكيدة، وبالمسلمين الفرقة والقطيعة.

ونأمل من العلماء والباحثين اتّباع الطرق الصحيحة في البحث العلمي، والموضوعية ونبذ الظنون، والالتفات إلى التمييز بين التراث الإسلامي الصحيح وبين التراث الذي خلّفه بنو أُميّة وأعداء أهل البيت كالخوارج والغلاة وغيرهم، وهذه مهمّة الواعين من العلماء والباحثين النابهين.

فنحن بحاجة إلىٰ عالم من صفاته أنّه ذو أهداف سامية، وباحث يحسن البحث، ومنصف يميل مع الحقيقة أينما تميل، وغيور على الإسلام، وتقيّ يخاف الله واليوم الآخر، كلّ ذلك لأجل هدف أعلىٰ وأسمىٰ، وهو الحقيقة، وليُعلم أنّ لهذا الدين ربّاً يحميه.

عملنا في هذا الكتاب

أوّلاً: تخريج الآيات والروايات والأقوال من مصادرها، وتأييدها بذكر مصادر أُخرىٰ.

ثانياً: التعليق على الموارد المهمّة التي تعرّض لها المصنّف، إذا ما وجدنا الضرورة تقتضي ذلك، وهدفنا هو التصحيح وبيان الحقّ في المسألة.

وأخيراً لايفوتني تقديم الشكر الجزيل لكلّ من أعانني علىٰ إنجاز عملي هذا، ويسّر لي ما عسر عليَّ، وأرشدني إلى ما فيه الصواب، ولا أخفي تقديري واحترامي لمركز التحقيقات والدراسات العلمية التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، على حسن اهتمامه بكتابي، ورعايته بصورة كاملة من طبعه ونشره وإخراجه بالشكل الجميل، وتشجيع مسؤوله حجة الاسلام والمسلمين الشيخ أحمد المبلّغي على المضيّ في هكذا مشاريع تخدم الوحدة والتقارب، وتصبّ في أهداف المجمع الأغرّ، فجزاه الله والعاملين معه جزاء المحسنين.

والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله علىٰ محمد وآله الطاهرين.

مقدّمة المصنّف

بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذرّيته وأزواجه وصحبه. الحمد لله علىٰ ما ألهم وعلّم، وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلّم.

أمّا بعد، فإنّ المكتبة الإسلامية زاخرة وغنيّة بما كتب أئمتنا وعلماؤنا رحمهم الله تعالىٰ من دواوين وتآليف علمية في شتّى الموضوعات، وبالأخصّ ما لها مسيس وعلاقة بالإسلام.

ومن الموضوعات الهامّة التي طرقوها وأعاروها عنايتهم واهتمّوا بها، الفضائل والمناقب، وممّا هو في طليعتها مناقب أهل البيت النبوي الأطهار التي يوجد منها في عالم المطبوعات اليوم بين أيدي أهل العلم الكثير الطيّب، وقد كنت ساهمت في هذا الموضوع محبةً منّي في نشر مناقب أهل البيت الطاهرين الطيّبين، وذكر مزاياهم وما خصّهم الله به من المكارم والمناقب، حتّى يعرف الناس مقامهم السامي فيحترموهم ويجلّوهم ويعطوهم ما يجب لهم من الحقوق التي خوّلهم الله إياها، فوضعت رسالة لطيفة منذ إحدى وثلاثين سنة، أي في عام ١٣٨٥، وبقيت بين الدفاتر في زوايا الإهمال منذ ذلك الحين حتّى أمد قريب، فأخرجتها وألقيت عليها

نظرة ثانية، وأضفت إليها زيادات هامّة مفيدة فكانت كما يراها القارئ.

غير أنّني انفردت في هذه الرسالة بمنهج خاص لم أُسبق إليه والحمد لله، وهو أنّني لا أُورد فيها إلّا ما صحّ أو حسن من الأحاديث أو كان ضعيفاً منجبراً، وما عدا ذلك ممّا ذكره غيري من الواهيات والمنكرات بل والموضوعات فلا أعرج عليه أصلاً، فإنّ لنا في الصحيح غنية عمّا سواه، كما أنّني أتحاشى عن التحيّز والغلوّ، أو الترجيح بالهوى، أو ردّ النصوص الثابتة دفعاً بالصدر.

وكان الدافع والحامل لي على الكتابة في هذا الجانب الطاهر أموراً، وهي كالآتي:

أوّلاً: ما نشاهده من بعض الفرق الذين يكرهون سماع اسم الشريف والسيد فضلاً عن رؤيته! فأحرى بمحبّته وإكرامه وتعظيمه، وهؤلاء هم المعروفون بالنواصب[1] الذين يعادون أهل البيت الأطهار، ويضمرون لهم الأحقاد والأضغان

---

١. من النصب وهو المعاداة، يقال: نصبت لفلان إذا عاديته، ومنه الناصب: وهو الذي يتظاهر بعداوة أهل البيت، وفي القاموس: النواصب والناصبة وأهل النصب هم المتديّنون ببغض علي عليه السلام (مجمع البحرين ٤:٣١٦)، وقد صرّح العلّامة التليدي بأنّ أظهر مصاديق النواصب هم الخوارج وبني أمية. وقد اتّفقت كلمة الإمامية على كفر من أظهر النصب والعداء لأهل البيت عليهم السلام لما دلّ من روايات صحيحة عن النبي صلى الله عليه وآله تدلّ على كفر من عادى علياً وأهل البيت عليهم السلام كقوله صلى الله عليه وآله: «اشتد غضب الله على من آذاني في عترتي» (كنز العمال ١٢:٩٣ والجامع الصغير ١:١٢٨)، «وأنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم، وعدوّ لمن عاداكم» قاله لعلي وفاطمة والحسن والحسين (تقدّمت مصادره في المقدمة) وغيرها من العشرات بهذا المعنى من طرق الفريقين.
وبه قال أبرز وأكثر علماء السنّة، وخصوصاً علماء الجرح والتعديل، ففي ترجمة حريز بن عثمان، قال ابن حبّان في المجروحين ١:٢٣١: «إنّه كان يلعن علياً بالغداة سبعين مرة، وبالعشيّ سبعين مرة، وكان داعيةً الى مذهبه، وكان يشتم علي بن أبي طالب». وفي تاريخ بغداد ٨:٢٦٦: «ينتقص علياً وينال منه، وكان يشتم علياً على المنابر! قال: لا أُحبّه، قتل آبائي». وذكره العقيلي
←

والبغضاء، ولا شكّ في ضلال هؤلاء وانحرافهم... وسلفهم في ذلك الخوارج وسفهاء بني أُمية وجهلتهم... وأذنابهم.

ثانياً: إعرابي عمّا يكنّه صدري لهم من إجلال وتقدير ومحبّة وحنان وتعظيم واحترام، علماً بأنّ هذا شيء لست مختصّاً به، فإنّ كلّ مؤمن له نصيب من ذلك حسب إيمانه من قوّةٍ وضعفٍ، فمن وجد خيراً فليحمد الله عزّوجلّ.

ثالثاً ـ وهي من المهمّات ـ: ردّ مزاعم الغلاة[1] بصفة عامة الذين يرمون أهل

← في الضعفاء ١: ٣٢١، كما وضعّفه ابن معين.

ومثله إسحاق بن سويد العدوي، ففي تهذيب التهذيب ١: ٢١٤: «كان يحمل على علي تحاملاً شديداً، وقال: لا أُحبّ علياً» قال ابن حجر: «ومن لم يحبّ الصحابة فليس بثقة ولا كرامة».

ويروي المحدّثون حديث أُم سلمة ـ وهي ممّن شهد لها النبي بالجنّة ومن خيار أُمّهات المؤمنين ـ أنّها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سبّ علياً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله» رواه في مستدرك الحاكم ٣: ١٣١، أخرجه بطريقين وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه، ومسند أحمد ٦: ٣٢٣ وتاريخ دمشق ٤٢: ٥٣٣ وكنز العمال ١١: ٦٠٢ والسنن الكبرى للنسائي ٥: ١٣٣ والجامع الصغير ٢: ٩٣٥.

١. قال المحقّق الحلّي: الغلاة هم الذين قالوا بأُلوهية علي ﷺ أو أُلوهية أحد من الأئمة، بل كلّ من قال بأُلوهية أحد من الناس (الشرائع ١: ٩٨). والغلاة فرق كثيرة انتشرت في الأزمان الماضية وبادت، ولم يبق منها شيء.

وقال الشهرستاني: الغالية الذين غلوا في حقّ ائمّتهم حتّى أخرجوهم من حدود الخليقة، وحكموا فيهم بأحكام إلهية، وربّما شبّهوا واحداً من الأئمة بالإله. (الملل والنحل ١: ١٧٣).

ثم عدّ فرق الغلاة إلى أحد عشر صنفاً، إلّا أنّه كان كحاطب ليل لا يدري ما يقول، فخبط خبط عشواء، فإنّ بعض ما ذكره من الصنوف غير ثابت تاريخياً، وكذا ما نسبه إلى البعض الآخر منها كالهشامية أصحاب هشام بن الحكم، أو المنسوبة إلى مؤمن الطاق، فإنّ ما نسب إليهما جزاف من القول، وها هي كلمات هشام ومؤمن الطاق في التوحيد، واحتجاجاتهما مع علماء الفرق من الغلاة والقدرية وغيرهم، شاهد على براءتهما ممّا نسبه إليهما الشهرستاني.

←

السنّة بالنصب، ويتّهمونهم على الإطلاق بعداوة أهل البيت والانحراف عنهم.

وهذا شطط في القول، وظلم لأهل السنّة، فإنّ المسلمين من غير الشيعة لم يزالوا ولايزالون يحبّون أهل البيت ويحترمونهم، ويجلّونهم وينزلونهم المقام اللائق بهم، وهم أحسن حالاً من الشيعة، فإنّ أهل السنّة يحبّون أهل البيت الأطهار ومن تناسل

← قال الذهبي في ميزان الاعتدال ٤: ٢١٧ في ترجمة موسىٰ بن قيس: «قال العقيلي: من الغلاة، حكىٰ عن نفسه: أنّ سفيان سأله عن أبي بكر وعلي، فقال: علي أحبّ إليّ» فحكم عليه بالغلوّ مع أنّه لم يقل: إنّ علياً إله، ولم يظهر من كلامه البغض لأبي بكر، وغير ذلك من الشواهد التي تدلّ على أنّهم وصفوا أفراداً بالغلوّ وهم من ذلك براء.

وقد حارب أئمة أهل البيت عليهم السلام الغلاة بشتّى الوسائل، فحكموا بكفر الغلاة ونجاستهم، وحرمة التزويج منهم، ولعنهم والبراءة منهم، قال الإمام الصادق عليه السلام: «لعن الله الغلاة والمفوّضة» (علل الشرائع ١: ٢٢٧).

وعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنّه لعن الغلاة ولعن أشخاصاً بأعيانهم مثل القاسم اليقطيني وعلي بن حسكة وكانا من الغلاة (خاتمة المستدرك ٥: ٢٤٣).

وعن الرضا عليه السلام أنّه لعنهم وأمر بالبراءة منهم (عيون أخبار الرضا ١: ٢١٨).

وهذا من اعتقادات الإمامية، قال الشيخ المفيد: «اعتقادنا في الغلاة والمفوّضة أنّهم كفّار، وأنّهم شرّ من اليهود والمجوس والقدرية والحرورية، ومن جميع أهل البدع والأهواء المضلّة، وأنّه ما صغّر الله جلّ جلاله تصغيرهم شيء» (الاعتقاد: ٩٧).

وقال المحقّق الحلّي: «وأمّا الغلاة فخارجون عن الإسلام وإن انتحلوه» (المعتبر ١: ٩٨).

هذا وعقد الحرّ العاملي في الوسائل باباً بعنوان: «ذمّ الغلاة والمفوّضة والبراءة منهم».

وألّف علماء الإمامية منذ الزمن الأول كتباً في الردّ على الغلاة، وبيان ضلالهم والتحذير منهم، ككتاب «الردّ على الغلاة» للنوبختي، وكتاب الحسين الغضائري، وعقد ابن داود الحلّي في كتاب الرجال فصلاً ذكر فيه أسماء الغلاة من الرواة وضعّفهم، قال ابن داود: «فهؤلاء كلّهم وردت فيهم روايات تدلّ على أنّهم غلاة، وبعضهم اختلف فيه، وبعضهم وردت لعنته عن الأئمة عليهم السلام» (كتاب الرجال: ٢٩٦). وهكذا بقية كتب الرجال عند الشيعة.

فالشيعة الامامية تبعاً لائمتهم عليهم السلام لهم السهم الأكبر والنصيب الأوفر في محاربة الغلاة، وبيان ضلالهم، والتحذير منهم، والردّ عليهم.

منهم، كما يحبّون أصحاب رسول الله ﷺ ويحترمونهم ويترضّون عليهم كأهل البيت، فهم عندهم كأصابع اليدين، لا يفرّقون بينهم، ولا يوالون بعضاً ويتبرّؤون من البعض الآخر[1] بينما الغلاة[2] والروافض[3] يتغالون في أهل البيت ويتبرّؤون من

---

١. هذه الدعوىٰ تصطدم مع الروايات الصحيحة التي رواها الحفّاظ، وحفلت بها متون أهل السنّة، خصوصاً وأنّ بعض هذه الروايات صريحة بأفضليتهم ﷺ على جميع البشر، وعدم جواز مقارنتهم بغيرهم.

فقد روىٰ أنس عن النبي ﷺ أنّه قال: «نحن أهل بيتٍ لا يقاس بنا أحد» (الفردوس للديلمي ٥: ٣٤ رقم ٧٠٩٤، وفي كنز العمّال ١٢: ١٠٤، وسبل الهدىٰ ١١: ٧ عن الديلمي وعمر الملّا، وفي ينابيع المودّة ٢: ٦٨ عن كنوز الحقائق للمناوي، وذخائر العقبىٰ: ١٧، وفرائد السمطين ١: ٤٥).

وروي عن أنس عن النبي ﷺ أنّه قال: «إنّا معشر بني عبدالمطلب سادات أهل الجنّة: أنا وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي» (الفردوس للديلمي ١: ٨٦ رقم ١٤٥، وسنن ابن ماجة ٢: ١٣٦٨، وينابيع المودّة ٣: ٢٦٦ وقال: أخرجه أبونعيم والثعلبي وصاحب الأربعين والحمويني والحاكم والديلمي). وذكر الأسماء من باب ذكر الخاص بعد العام.

وقال عبدالله بن عمر ـ حينما سئل عن عدم ذكر اسم علي في التفضيل بين الصحابة ـ: «إنّ علياً من أهل البيت لا يقاس به أحد، وهو مع رسول الله ﷺ في درجته» (ينابيع المودّة ٢: ٦٨).

ونقل المناوي عن الفخر الرازي قوله: «جعل الله تعالىٰ أهل بيته مساوين له في خمسة أشياء: في المحبّة، وتحريم الصدقة، والطهارة، والسلام، والصلاة. ولم يقع ذلك لغيرهم» (فيض القدير ٢: ١٧٤) قال أبو عمر الجاحظ: «واعلم، أنّ الله لو أراد أن يسوّي بين بني هاشم وبين الناس لما اختصّهم بسهم ذوي القربىٰ، ولما قال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ ولو سوّاهم بالناس لما حرّم عليهم الصدقة، والرأي أن لا يدعوك حبّ الصحابة الىٰ بخس عترة الرسول حقوقهم وحظوظهم، وكيف يقاس أحد من الناس بقوم منهم رسول الله، والسبطان، والشهيدان: حمزة والطيّار، وسيد الوادي وحامي النبي... إلىٰ آخر كلامه» (ينابيع المودّة ١: ٤٥٧).

٢. تقدّم الكلام عن الغلاة وبيان موقف أئمة أهل البيت وشيعتهم منهم، وحكمهم بكفر الغلاة والبراءة ووجوب التبرّي منهم، وأنّ أئمة أهل البيت وشيعتهم كان لهم الدور الفاعل والأهمّ في محاربة وتقويض هذه الفرق الضالّة الكافرة، فراجع

٣. إن أراد بالرافضة تلك الفرق البائدة من الغلاة في تلك الأزمان، والتي حاربها الأئمّة وشيعتهم، ←

الصحابة، وخاصّةً الخلفاء الثلاثة: الصدّيق والفاروق وذا النورين، ويبغضونهم ويسبّونهم بل ويكفّرونهم، وقد أفردت كتاباً لفضائلهم رضي الله تعالىٰ عنهم ولعن

← فالكلام فيهم كالكلام في الغلاة لعنهم الله. وإن أراد بهم الشيعة الإمامية فقد أساء التعبير ولم يُحسن البيان ولم يعط الحقيقة حقّها.

فمن الظاهر الذي لا يخفىٰ على أحد، أنّ الشيعة الإمامية لا يقولون بأُلوهية أحد من الأئمة المعصومين عليهم السلام، والشيعة أغزر عقلاً وأنفذ بصيرةً وأصحّ تمييزاً من أن يقولوا بهذا القول. قال الشيخ المظفّر في عقائد الإمامية: ٧٣: «لا نعتقد ما يعتقده الغلاة والحلوليون (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) بل نعتقد أنّهم بشر مثلنا، لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وإنّما هم عباد مكرمون، اختصّهم الله تعالىٰ بكرامته وحباهم بولايته، إذ كانوا في أعلىٰ درجات الكمال اللائقة في البشر من العلم والتقوى والشجاعة والكرم والعفّة، وجميع الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، لا يدانيهم أحد من البشر فيما اختصّوا به، وبهذا استحقّوا أن يكونوا أئمةً وهداةً ومرجعاً بعد النبي صلى الله عليه وآله في كلّ ما يعود للناس من أحكام وحِكَم، وما يرجع للدين من بيان وتشريع، وما يختصّ بالقرآن من تفسير وتأويل».

وأمّا قوله: يتبرّؤون من الصحابة، فهو على إطلاقه باطل، فإنّا نرى الكثير من الصحابة من أولياء الله المخلصين؛ كعمار والمقداد وسلمان وأبي ذرّ وحذيفة وجابر وأضرابهم.

نعم، لا نقول بعدالة جميع الصحابة، ووافقنا علىٰ ذلك بعض أعلام السنّة: كالعلّامة المقبلي في العلم الشامخ، وأحمد أمين في ضحى الإسلام، وعلّامة المغرب ابن الصدّيق الغماري في أكثر كتبه، ومحمد عبده، ورشيد رضا، والشيخ أبوريّة، وحامد حنفي... وغيرهم.

يقول العلّامة المقبلي في العلم الشامخ (أضواء على السنّة المحمدية: ٣٤٩) بعد أن ذكر جملة من الطعون والشواهد من الكتاب والسنّة، قال: «فمن تتبّع تلك الموارد وسوّى بين الصحابة فهو أعمىٰ أو متعام».

ويقول أحمد أمين في ضحى الإسلام (٣: ٧٥): «الصحابة قوم من الناس، لهم ما للناس وعليهم ما عليهم، من أساء منهم ذممناه، ومن أحسن منهم مدحناه، وليس لهم على غيرهم كبير فضل إلّا بمشاهدة الرسول ومعاونته لا غير، بل ربّما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم، لأنّهم شاهدوا الأعلام والمعجزات، فمعاصينا أخفّ لأنّنا أعذر».

ويقول الأُستاذ حامد حفني المصري في كتابه (نظرات في الكتب الخالدة: ١٢٧): «ولو وقع هذه النقد من غير الشيعة لما استوجب النكير على الناقد».

مبغضهم وشاتمهم ومنتقصهم.

والمقصود: أنّ ما يرمون به أهل السنّة من النصب بإطلاق هو من ترهّاتهم، والواقع يكذّبهم، فإنّ الأمر لو كان كما يزعمون لما كانت كتب السنّة المشرّفة تزخر بذكر فضائلهم والتحدّث عنهم، فإنّ كتب الحديث التي آلّفها أهل السنّة ملآنة بمناقبهم، وهي تحمل أجنحة خاصةً بعناوين أبواب مناقب أهل البيت، ولنضرب لذلك أمثلة تكذّب دعاويهم[١].

فهذا البخاري رحمه الله تعالىٰ ـ وهو من أول من أصابته سهام مطاعن الروافض[٢] ـ يذكر في صحيحه في المناقب، باب: مناقب علي بن أبي طالب القرشي

---

١. لا ينكر وجود بعض روايات المناقب في كتب أهل السنّة، وذكرنا في المقدّمة أنّ منهم من عاني الكثير، ومنهم من قُتل بسبب روايته لأحاديث المناقب كالنسائي والكنجي الشافعي، لكنّ حبّ أهل البيت عليهم السلام الذي هو بمعنى الميل القلبي لهم، فهو وإن كان فرضاً واجباً عينياً على كلّ مسلم بمقتضىٰ ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى: ٢٣) وصريح الصحاح والحسان، إلّا أنّ مراد الباري تعالىٰ ورسوله صلى الله عليه وآله هو وجوب الاتّباع والاقتداء بهم في القول والعمل، ووجوب التمسّك بهم دون غيرهم بما أنّهم أوصياؤه وخلفاؤه عليهم السلام، وهذا هو ما تدلّ عليه الروايات الصحيحة الصريحة.

فقوله صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً» هو وجوب التمسّك بهما، لا الحبّ المجرّد عن الاتّباع، خصوصاً وأنّ النبي صلى الله عليه وآله قرنهم بالكتاب وجعلهم عدل الكتاب، وحكم صلى الله عليه وآله بضلال من لم يتمسّك بهما معاً، فحكمهما واحد من جهة وجوب الرجوع والأخذ منهما، وإلّا لا معنى لقول القائل: إنّي أحبّ كتاب الله، وهو لا يأخذ بأوامره ونواهيه!

وهكذا حديث السفينة المتواتر عند الفريقين، قال صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها هلك» والمعنىٰ: من لجأ إليهم وتمسّك بهم في الدين كان من الناجين، ورتّب الهلاك على التخلّف عنهم، فالنجاة معهم، والهلاك بالتخلّف عنهم، وهذا هو الإلزام باتّباعهم.

٢. يبدو أنّ من بين من أصاب البخاري وكتابه بسهام النقد والاعتراض هم من أئمة الحديث ←

الهاشمي أبي الحسن رضي الله تعالىٰ عنهما، ويورد تعليقاً حديث «أنت منّي وأنا منك» وذكره موصولاً في موضع آخر كما يأتي لنا، ويذكر قول عمر ﷺ: «توفّي رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ يعني علياً». ثم أسند أحاديث في فضائله رضي الله تعالىٰ عنه، كحديث «لأعطينّ الراية غداً رجلا يحبّه الله ورسوله» في أحاديث أُخرى[1].

كما أخرج حديث: «أما ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى» في

← وحفّاظه كالإمام الذهلي والإمام أبو زرعة والحافظ الدمشقي والإمام الرازي والبدر العيني وعميد الأزهر رشيد رضا ومحمد عبده، ومشايخ كأبي ريّة ومحمد فوزي وأحمد أمين وأحمد شاكر وطه حسين وغيرهم.

فهذا الإمام الذهلي كان يقول: «من ذهب إلى البخاري فاتّهموه» (سير أعلام النبلاء ١٢:٤٥٦، تاريخ دمشق ٥٢:٩٤).

وكان الإمام أبو زرعة يصف البخاري ومسلم فيقول: هؤلاء قوم أرادوا التقدّم قبل أوانه، فعملوا شيئاً يتسوّقون به، فألّفوا كتباً ليقيموا لأنفسهم رياسة قبل وقتها» (ميزان الاعتدال ١:١٢٦).

وقال الحافظ الدمشقي: «الحكم بأصحيّة ما في الكتابين عين التحكّم، ومن قال: أصحّ الأحاديث ما في الصحيحين ثم ما انفرد به البخاري ثم مسلم، تحكّم لايجوز التقليدبه» (توجيه النظر: ١٢٠).

وقال البدر العيني في عمدة القاري، والدمشقي في توجيه النظر، وابن حجر في مقدّمة الفتح، وابن الصلاح في المقدّمة: «إنّ البخاري احتجّ بجماعة سبق من غيره الطعن بهم، أو جرحهم بعض المتقدّمين» (عمدة القاري ١:٨، وأضواء على السنّة المحمدية: ٣٠٣).

وقال الدكتور أحمد أمين: «إنّ بعض الرجال الذين روىٰ لهم البخاري غير ثقات، وقد ضعّف الحفّاظ من رجال البخاري نحو الثمانين، وهي في الواقع مشكلة المشاكل «(ضحى الإسلام ٢:١١٧).

ومن راجع المنار للسيد رشيد رضا يجد الكثير من الكلام والإشكالات علىٰ صحيح البخاري؛ كالرواية بالمعنىٰ، وتقطيع الروايات، ومن لطيف ما قال: «ليس من أُصول الإيمان ولا من أركان الإسلام أن يؤمن المسلم بكلّ حديثٍ رواه البخاري مهما كان موضوعه، بل لم يشترط أحد في صحّة الإسلام ولا في معرفته التفصيلية الاطّلاع على صحيح البخاري والإقرار بكلّ ما فيه» (المنار ٢٩:١٠٤).

١. صحيح البخاري ٣:١٣٥٧ باب: مناقب علي بن أبي طالب.

غزوة تبوك، وأخرج أحاديث قتاله للخوارج في كتاب استتابة المرتدّين، وأخرج حديث: «ويح عمّار! تقتله الفئة الباغية» إلى آخره، ذكره في مواضع من صحيحه[١].

ويذكر أيضاً في المناقب، باب: مناقب فاطمة رضي الله تعالىٰ عنها، ويعلّق حديث: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة» الذي أسنده في علامات النبوّة، ثم يسند حديث: «فاطمة منّي فمن أغضبها أغضبني»[٢] كما أخرجه في مواضع أُخرى مع أحاديث شتّىٰ.

ويذكر أيضاً باب: مناقب الحسن والحسين رضي الله تعالىٰ عنهما، ثم يسند أحاديث في فضائلهما؛ كحديث: «إنّ ابني هذا سيد، ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين» وحديث: «اللّهم إنّي أحبّه فأحبّه» وحديث: «هما ريحانتاي من الدنيا»[٣] في أحاديث أُخرى. هذا البخاري الذي يقولون فيه: إنّه ناصبي عدوّ لأهل البيت[٤].

أمّا تلميذه الكبير مسلم بن الحجّاج؛ فيقول في الفضائل من صحيحه: باب من فضائل علي بن أبي طالب، ثم يسند من عدّة طرق حديث: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى» مطوّلاً مع حديث: «لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّه الله ورسوله» إلى آخره، ثم حديث الثقلين المطوّل إلى آخر الجريدة[٥].

أمّا تلميذ البخاري البارّ أبو عيسى الترمذي؛ فهو أوسع السابقين وأكثرهما إيراداً لمناقب آل البيت، فقد أورد لهم من الأحاديث جملةً وأفراداً أكثر من خمسين

---

١. المصدر السابق ١:١٧٢ باب: التعاون في بناء المسجد.

٢. المصدر نفسه ٣:١٣٧٤ باب: مناقب فاطمة.

٣. المصدر نفسه ٣:١٣٦٩ باب: مناقب الحسن والحسين.

٤. لم يذكر المصنّف كتاباً واحداً قيل فيه: إنّ البخاري ناصبي وعدوّ لأهل البيت، بل رجّح إرسال كلامه من دون دليل.

٥. صحيح مسلم ٤:١٨٧٠.

حديثاً، انظر كتاب المناقب[١].

وأبو داود السجستاني‎ﷺ هو الآخر أورد عدّة أحاديث في مناقبهم أيضاً مفرّقة في الكتاب، وذكر جملة منها في كتاب السنّة؛ كحديث سعيد بن زيد في سبّ بعض عمّال بني أُمية الإمام علي وإنكاره عليه[٢].

وحديث: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحقّ»[٣] وحديث قتال علي للخوارج، وحديث: «إنّ ابني هذا سيد»[٤] إلى آخره.

وابن ماجة القزويني‎ﷺ هو الخامس أورد في مقدّمة سننه نحواً من خمسة عشر حديثاً في مناقب الإمام علي والحسنين‎ﷺ[٥].

وأمّا أحمد بن شعيب النسائي وهو مسك ختام الجماعة الستّة فقد استقصىٰ ذلك في سننه الكبرىٰ، وهو الذي أفرد كتاباً خاصاً أطلق عليه كتاب «الخصائص» أورد فيه نحواً من مائة وثمانين حديثاً في مناقب الإمام علي وأهل بيته‎ﷺ، انظر السنن الكبرى الجزء الخامس[٦].

فهذه هي الأُمّهات الستّ وأُصول أهل السنّة، وهي كما ترىٰ كلّها ذكرت مناقب أهل البيت‎ﷺ، فكيف يتّهمون بالنصب والعداوة لذرّية النبي وآله الأطهار؟ وهكذا الشأن في باقي كتب السنّة لاتخلو من ذكر مناقبهم.

---

١. الجامع الصحيح للترمذي ٥:٦٣٣ مناقب علي بن أبي طالب و٦٩٨ مناقب فاطمة و٦٥٦ مناقب الحسن والحسين و٦٦٢ مناقب أهل البيت.

٢. سنن أبي داود: ٥ ٧٠٥ رقم الحديث ٤٦٤٨، وقد سمّي هذا البعض في بقية الكتب؛ كمسند أحمد ١:١٨٨ والسنّة لابن أبي عاصم: ٦٠٦ وهو المغيرة بن شعبة.

٣. سنن أبي داود: ٨ ٧٠ رقم ٤٦٦٧.

٤. المصدر السابق رقم ٤٦٦٢.

٥. سنن ابن ماجة ١:٤٢ مناقب علي بن أبي طالب و٥١ مناقب الحسن والحسين. ومجموع الأحاديث في البابين اثنا عشر حديثاً.

٦. السنن الكبرى للنسائي ٥:١٠٥ إلى ١٦٩.

وما يقال في المحدّثين يقال في المفسّرين والفقهاء والمتكلّمين والأُصوليّين وغيرهم، فكتبهم ملآنة بذكر فضائلهم والأمر بمحبّتهم واحترامهم...

كما يعرف من قراءتها وتتبّعها، وبذلك تنهار دعوى الروافض وتُنسف نسفاً.

* * *

هذا ما دعاني إلى جمع هذه الرسالة المباركة، جعلها الله خالصةً لوجهه الكريم، وجعلني من شيعة نبيّنا وذرّيته[1] المخلصين الصادقين غير الغالين ولا الناصبين، وأن يحشرني معهم في جملة النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين.

وجعلتها أربعة أبواب:

الأول: في فضائل أهل البيت على العموم.

الثاني: في فضائل سيدنا علي.

الثالث: في فضائل مولاتنا فاطمة.

الرابع: في فضائل الحسنين.

---

١. قال رسول الله ﷺ: «من أحبّ أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنّة الخلد التي وعدني ربّي، فإنّ ربي عزوجل غرس قضبانها بيده، فليتولّ علي بن أبي طالب وذرّيته من بعده، فإنّهم لن يخرجوكم من باب هدى، ولن يدخلوكم في باب ضلالة» (كنز العمال ١١:٦١١ رقم ٣٢٩٦٠) وهذا صريح في الاتّباع والاقتداء بعلي وبذرّيته من بعده، وليس مجرّد الحبّ وإن كان صادقاً. قال الامام الشافعي:

لو كان حبك صادقاً لأطعته إنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع

وأحاديث أخرى؛ كحديث الثقلين، والسفينة، وباب حطّة، والمنزلة، والمباهلة، والكساء، وباب مدينة العلم، وحديث الطائر، والراية، والغدير، والدار، والتصدّق بالخاتم... وهي من المتواترات عند الفريقين.

وقد تقدّم عن الإمام أحمد: «ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب» مستدرك الحاكم ٣:١١٦. وقال الغماري في القول الجلي: ٥٣: «لم يرد من الأحاديث بالأسانيد الصحاح في فضل أحد من الصحابة مثل ما ورد في علي».

الباب الأوّل

في فضائل أهل البيت على العموم

من هم أهل البيت

الآل في اللغة

[هم] الأهل، ويقال: الآل هم في اللغة: أقارب الرجل وعشيرته وعترته، وكلّ من يجمعه وإيّاهم نسب، وكذا من يحويهم بيته من أزواج وغيرهنّ، فيدخل في ذلك الآباء والأُمّهات والأُصول وإن علوا، والأعمام والعمّات والأخوال والخالات، والأزواج والأولاد والأحفاد، وكلّ من ينتمي إليه بقرابة، وكذا بمصاهرة. هذا مضمون ما جاء في مختلف دواوين اللغة وغيرها. وهو المتعارف بين الناس في سائر الأصقاع والعصور.

الآل في الشرع

وجاء في الشرع علىٰ عدّة إطلاقات:

الأول: أُطلق على كل من يتّصل بالنبيﷺ بنسب وقرابة، وعليه قوله تعالىٰ في سورة الشورىٰ: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [1] ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [2] فإنّ المراد بهم سكّان الحرم من قريش بجميع

---

١. الآية: ٢٣.

٢. الشعراء: ٢١٤.

أفخاذهم وبيوتاتهم كما يفسّره حديث الصحيحين عن أبي هريرة قال:

قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قال: «يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم، لا أُغني عنكم من الله شيئاً... يا بني عبد مناف... يا عباس بن عبدالمطّلب... ويا صفيّة عمّة رسول الله... ويا فاطمة بنت محمد ﷺ» لفظ البخاري في التفسير.

ولفظ مسلم: «يا معشر قريش، أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني كعب كذلك، يا معشر بني هاشم كذلك، يا معشر بني عبدالمطّلب...» إلى آخره[١].

---

١. هذا المعنىٰ يحتاج إلىٰ مزيد تأمّل، فإنّ المطلوب هو تعيين معنى الآل شرعاً وما هو المراد منه، مع أنّ الآيتين خاليتان من لفظ الآل ولفظ أهل، وكذا حديث أبي هريرة الذي جعله شارحاً ومفسّراً، فهما أجنبيّان عن محل البحث.

نعم، آية الإنذار تثبت أنّ من جمعهم النبي ﷺ هم عشيرته، وهذا غير محلّ البحث.

وأمّا آية المودّة فقد فسّرت بأصحاب الكساء فقط، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لمّا نزلت آية ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ قيل: يا رسول الله، من قرابتك الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال ﷺ: «هم علي وفاطمة والحسن والحسين» أخرجه في الصواعق ٤٨٧:٢، وفي المعجم الكبير ٤٧:٣ رقم ٢٦٤١.

وأمّا حديث أبي هريرة، ففيه مضافاً لما تقدّم: أنّه في قضية أُخرى غير قضية الدار ونزول آية الإنذار، فراجع التفاسير في ذلك، مع أنّ فيه قوله: «يا بني كعب» وهم ليسوا من عشيرة النبي ﷺ ولا من قرابته.

والملاحظ أنّ مستمسك هذا القول أمران:

الأول: الاشتراك في حكم الصدقة، وأنّها محرّمة على أهل البيت وبني هاشم، فيكون بنوهاشم من أهل البيت. وهذا باطل جزماً، فإنّ الصدقة إذا كانت محرّمة على بني هاشم، فهذا لا يستدعي كونهم من أهل البيت الذين عناهم النبي ﷺ بحديث الثقلين والسفينة والكساء، ووجوب التمسّك والاقتداء والاتّباع، بل لا أحد يقول به، وهذا الحكم حاله حال بقيّة الأحكام المشتركة بين أهل البيت وعامّة المسلمين؛ كالحج والصوم والصلاة، فليس كلّ حاجّ هو من أهل البيت

←

الثاني: وأُطلق علىٰ من تحرم عليهم الصدقة، وهم: آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس، وعليه حديث زيد بن أرقم الآتي قريباً مع أحاديث تحريم الصدقة على آله، كما سيأتي في محلّه.

الثالث: وأُطلق على نسائه ﷺ أُمّهات المؤمنين رضي الله عنهنّ، كما جاء في آية الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[١] فإنّ سياق الآية جاء في أزواجه بلاشك، وغيرهنّ من الآل دخلوا بأدلّة أُخرى كما سيأتي[٢].

← لاشتراك الحكم، نعم حكم حرمة الصدقة فيه تشريف لبني هاشم وتفضيل لهم علىٰ من سواهم من الناس؛ إلّا أنّه لا يستدعي المساواة بوجه.

الثاني: رواية زيد بن أرقم التي أخرجها مسلم ٤:١٨٧٣.

إلّا أنّ فيها: أولاً: أنّ زيد بصدد بيان من تحرّم عليهم الصدقة، وليس بصدد بيان معنى أهل البيت وتعيين مصاديقه، بل هو في مقام تعيين مصاديق من تحرم عليهم الصدقة، بدليل آخر الحديث: «كلّ هؤلاء حرم الصدقة».

وثانياً: أنّ هذا التفسير هو من زيد، ولا شأن لنا به، لأنّ محلّ البحث هو تعيين معنى الآل شرعاً.

وثالثاً: أنّ رواية زيد معارضة بالمتواترات الدالّة علىٰ أنّ أهل البيت هم علي وفاطمة والحسن والحسين. وستأتي الروايات مفصّلاً.

١. الآية: ٣٣.

٢. ويمكن مناقشة كلامه:

أولاً: أنّ السياق علىٰ خلاف ما يقول؛ لأنّ آية التطهير لو كانت شاملة لنساء النبي ﷺ وفي نفس السياق لجاءت الآية بصيغة المؤنّث كما في الآيات المتقدمة، كقوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ ... وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ﴾ فذكر كلّ ذلك بصيغة المؤنّث، فكان يجب أن يقول: ليذهب عنكنّ الرجس ويطهّركنّ، فلمّا أتى بصيغة المذكّر دلّ ذلك على أنّ النساء لا مدخل لهنّ، ولا سياق يتمسّك به، والآية غير شاملة لهنّ.

وثانياً: أنّ حديث أُمّ سلمة المتواتر يكذّب هذه الدعوى: «قالت: يا رسول الله، هل أنا من أهل
←

وفي حديث عائشة: «ماشبع آل محمدﷺ منذ قدم المدينة من طعام برٍّ ثلاث ليال تباعاً حتّى قُبض». ومنه الحديث الآخر: «ما أكل آل محمدﷺ أكلتين في يومٍ إلّا إحداهما تمر». ومن ذلك حديث أبي هريرة قال: قال رسول اللهﷺ: «اللّهم اجعل رزق آل محمد قوتاً»[١].

فالآل في كلّ ذلك المراد به أزواجه الطاهرات رضوان الله عليهنّ، وبذلك فسّر

← بيتك؟ قال: لا، ولكنّك إلى خير» وفي بعضها: «على مكانك وأنت على خير» فدلّ على خروج الأزواج منها بلا ريب.

وثالثاً: أنّ الروايات المتواترة الدالّة على سبب نزول آية التطهير واختصاصها بعلي وفاطمة والحسن والحسين تدلّ على بطلان هذا القول.

ورابعاً: رواية أُم سلمة ورواية عائشة تدلّان وبوضوح على أنّ آية التطهير نزلت لوحدها، ولم تنزل مع بقيّة الآيات: «قالت أم سلمة: نزلت هذه الآية في بيتي». وسيأتي جميع ذلك مفصّلاً مع شواهده في محلّه.

١. صحيح البخاري ٥: ٢٣٧١ كتاب الرقاق.

ويبدو أنّ التمسّك بهذه الأحاديث لإدخال الزوجات في (الآل) غير صحيح. فقد قال السيوطي في شرح سنن ابن ماجة ١: ٢٤٠ رقم ٣٣٤٦ في شرح قوله: «ما شبع آل محمد» قال: «إنّ لفظ آل مقحم زائد، والمراد ذاتهﷺ، وهذا محمول على زهده» ثم قال: «وكانﷺ يعطي أزواجه قوت سنة مائة وسق من تمر وشعير».

ويدلّ على خروج الأزواج من لفظ (آل محمد) مارواه يزيد بن حيّان قال: سألت زيد بن أرقم: من آل محمد؟ قال: آل علي وآل العباس وآل عقيل وآل جعفر. أخرجه في المعجم الكبير ٥: ١٨٤.

وقول زيد الآخر حين سئل: نساؤه من أهل بيته؟ قال: لا، ليس نساؤه من أهل بيته، لكن أهل بيته من حرم الصدقة. وفي رواية أُخرى قال: إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلّقها فترجع الى أبيها وقومها، أهل بيته عصبته الذين حرموا الصدقة. أخرجه في فيض القدير ٢: ١٧٥، المعجم الكبير ٥: ١٨٢، شرح مسلم للنووي ١٥: ١٧٥ وقال: والمعروف في غير مسلم أنّه قال: «نساؤه لسن من أهل بيته». وهذا الكلام من النووي دليل على وجود تحريف في الرواية.

قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً﴾ [١] وقوله تعالىٰ: ﴿رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [٢] فإنّ المراد بهما زوجة موسىٰ وزوجة إبراهيم عليه السلام بالاتّفاق.

وأمّا قوله تعالىٰ في سيدنا إسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ [٣] فقيل: زوجته وأولاده، وقيل: عشيرته...

أمّا قوله عزوجل: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [٤] فالظاهر أنّها عامّة في نسائه وغيرهنّ [٥]. بدليل ما جاء في حديث أنس رضي الله عنه قال:

---

١. النمل: ٧.

٢. هود: ٧٣.

٣. مريم: ٥٥.

٤. طه: ١٣٢.

٥. أقول: هذه مغالطة، فإنّ ألفاظ القرآن تحمل على المعاني اللغوية بما لها من القرائن، وهي بحسب الاستعمال اللغوي، ومحلّ بحثنا هو في تعيين معنى الآل في الشرع.

فإنّ لفظ (الأهل) استعمل في القرآن في عدّة مواضع، وفي كلّ واحد منها أريد به معنىً من المعاني اللغوية، ففي قوله: ﴿فَانتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً﴾ أريد به القوم، وفي قوله: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ أريد به كلّ أهل المدينة، وفي قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ أريد به الأولاد فقط دون الزوجات. راجع تفسير ابن كثير ٤:٤٣، وتفسير الجلالين: ٦٠٣. فهذه جميعاً معانٍ لغويّة ساعدت القرائن عليها أو ورد تفسيرها في الخبر.

وأمّا آية التطهير فالقرائن تدلّ على خروج الأزواج منها، وأوّلها اختلاف الضمير كما تقدّم، ورواية أُم سلمة، وحديث عائشة وغيره من الأحاديث الدالّة على الاختصاص بعلي وفاطمة والحسن والحسين، وما دلّ على أنّ آية التطهير نزلت لوحدها في بيت أُم سلمة ولا ربط لها بآيات الزوجات، مضافاً إلى أدلّة أُخرى تأتي في محلّها.

ثم إنّ بعض الآيات التي ذكرها لا تدلّ على مراده، مثل آية: ﴿رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ فإنّ دخول زوجة إبراهيم هنا لأنّ سارة زوجة إبراهيم هي ابنة عمّه، ودخولها في الأهل من جهة القرابة، لا من جهة الزوجية.

كان رسول الله ﷺ يمرّ بباب فاطمة ستّة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: «الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾»[1].

الرابع: وأُطلق بصفة خاصّة علىٰ أصحاب الكساء، وهم ساداتنا: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم من الله السلام والرضوان، وعليه حديث الكساء، وحديث المباهلة الآتيان مع آية الأحزاب، كما يأتي بيان ذلك بحول الله.

وعلىٰ هذا الإطلاق أكثر الأحاديث، وهو المتعارف بين الناس في سائر الأقطار والعصور حتّى أصبح علماً عليهم[2] وعلىٰ من تناسل منهم، فيقال لهم: أهل البيت،

---

١. مستدرك الحاكم ٣:١٧٢ وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي في التلخيص، ومسند أحمد ٣:٢٥٩، والجامع الصحيح ٥:٣٥٢، ومسند الطيالسي: ٢٧٤ رقم ٢٠٦٠، ومسند أبي يعلى ٧:٥٩، ومصنّف ابن أبي شيبة ٧:٥٢٧، ومجمع الزوائد ٩:٢٦٧ رواه عن أبي برزة وفيه: سبعة أشهر، وعن أبي سعيد وفيه: أربعون يوماً، وعن أبي الحمراء وفيه: ستة أشهر، والآحاد والمثاني ٥:٣٦٠، فتح القدير ٤:٢٨٠ وقال: أخرج ابن أبي شيبة وأحمد وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصحّحه وابن مردويه عن أنس: أنّ رسول الله ﷺ كان يمرّ بباب فاطمة... إلى آخره.

ومن الغريب أن يجعل التليدي هذه الرواية من أدلّة دخول الزوجات في معنى الأهل، مع وضوح الدلالة، فهذه الرواية دليل واضح وصريح على خروج الأزواج من آية التطهير، بل من معنى الآل، واختصاصها بعلي وفاطمة والحسن والحسين، فإنّ فعل النبي ﷺ حجّة بلا شكّ، وتلاوة هذه الآية لمدة ستة أشهر أو سبعة علىٰ بيت فاطمة بالخصوص دون بقيّة البيوت دليل على الاختصاص؛ تنزيهاً لفعل النبي ﷺ عن العبث وحاشاه من ذلك.

هذا مع ملاحظة أنّ النبي ﷺ كان يتلو آية التطهير عند باب بيت فاطمة عند كلّ صلاة، وهو وقت اجتماع الأصحاب، وتأكيد ذلك لمدّة ستة أو سبعة أشهر، فكان النبي يقصد من وراء ذلك إسماعهم، وبيان اختصاص الآية بهم دون غيرهم، وإلّا فللنبيّ ﷺ تسعة بيوت، ولم يرو أنّه تلا الآية علىٰ واحد منها.

٢. وهو ما دلّت عليه آية التطهير والمباهلة، وحديث الكساء، والثقلين، ومرور النبي ﷺ على بيت فاطمة وغيرها من الأحاديث.

والأشراف، والسادات، والذرّية الطاهرة، والعترة الطاهرة، رضي الله تعالىٰ عنهم وعنّا معهم، آمين.

الوصية بأهل البيت

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال:

قام رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فينا خطيباً بماء يدعىٰ خمّاً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر، ثم قال: «أمّا بعد، ألا أيها الناس، فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتني رسول ربي عزّ وجلّ فأُجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين: أولهما: كتاب الله عزّ وجلّ، فيه الهدىٰ والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحثّ علىٰ كتاب الله ورغّب فيه ثم قال: «وأهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي».

فقال له حصين ــ أحد الرواة ــ: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟

قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده،

قال: ومن هم؟ قال: هم: آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس،

قال: كلّ هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم[1].

---

١. صحيح مسلم ٤:١٨٧٣، مسند أحمد ٣:٣٧٦.

والظاهر أنّ ذيل رواية زيد (أي قوله: «قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده») ممّا تلاعبت به أيدي الوضّاعين والمحرّفين، فأصل الرواية هو «أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: لا، نساؤه لسن من أهل بيته»، ويدلّ على ذلك أُمور:

الأول: قول الإمام النووي في شرح مسلم ١٥:١٧٥: «والمعروف في معظم الروايات في غير مسلم أنّه قال: نساؤه لسن من أهل بيته».

←

← **الثاني**: رواها مسلم في باب فضائل علي بن أبي طالب ٤:١٨٧٣ هكذا: «فقلنا: من أهل بيته، نساؤه؟ قال: لا، وأيم الله إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته من حرم الصدقة».

الثالث: رواها الطبراني في المعجم الكبير ٥:١٨٢ رقم ٥٠٢٦ قال: «فقلنا: من أهل بيته، نساؤه؟ قال: لا، إنّ المرأة يتزوّج بها الرجل العصر من الدهر ثم يطلّقها فترجع إلى بيتها وأُمها، أهل بيته وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده».

الرابع: أخرجها المناوي بطريقين هكذا قال: لفظه من أحدهما: «قيل لزيد: أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: لا، ليس نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده». ثم قال: «وفي رواية: أنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة».

الخامس: أخرجها ابن أبي شيبة في المصنّف ٣:١٠٤ بلفظ: «قال يزيد وحصين: أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: لا، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة».

وممّا يدلّ على خروج نساء النبي ﷺ من أهل بيته أُمور:

الأول: رواية زيد المتقدّمة برواية مسلم والطبراني والنووي وابن أبي شيبة والمناوي: «أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: لا، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة» وفي بعضها: «لا، ليس نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة» وفي بعضها الآخر: «إنّ المرأة تكون مع الرجل ثم يطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة».

وهذا صريح جداً في خروج أزواج النبي ﷺ من أهل بيته، بل هو من أوضح الواضحات.

الثاني: الاتّفاق على أنّ أهل البيت ﷺ تحرم عليهم الصدقة، وأمّا نساؤه ﷺ فلا تحرم عليهنّ الصدقة وبشهادة قول الأعلام:

قال ابن حجر في فتح الباري ٥:٢١٩: «أزواج النبي ﷺ لا تحرم عليهنّ الصدقة كما حرمت عليه، لأنّ عائشة قبلت هدية بريرة وأُمّ عطيّة مع علمها بأنّها كانت صدقة عليها، ولذا لم تقدّمها للنبي ﷺ لعلمها أنّه لا تحلّ له الصدقة».

وقال المقدسي في الفروع ٢:٤٨٣: «ولا تحرم الزكاة على أزواجه ﷺ في ظاهر كلام أحمد والأصحاب».

←

← وقال الشوكاني في نيل الأوطار ٤:١٧٥: «قال ابن المنير: إنّها لا تحرم الصدقة على الأزواج قولاً واحداً». ثم قال الشوكاني: «ونقل ابن بطّال اتّفاق الفقهاء علىٰ عدم دخول الزوجات في ذلك، أي في حرمة الصدقة».

فالنتيجة: أنّ الزوجات لسن من أهل البيت؛ لعدم حرمة الصدقة عليهنّ اتّفاقاً، قولاً واحداً.

الثالث: وممّا يدلّ على خروج الأزواج عن أهل بيته، تفريق النبي ﷺ في ذلك، قال ﷺ: «أول من يلحقني من أهل بيتي أنت يا فاطمة، وأول من يلحقني من أزواجي زينب» أخرجه كنز العمال ١٢:١٠٨ و١٣:٧٠٣، سبل الهدىٰ والرشاد ١٠:١٠٠ وقال: «رواه تمام وابن عساكر»، وتاريخ دمشق ١٧:٧٣ من حديث الأوزاعي، والجامع الصغير ١:٣٢٧.

الرابع: رواية أمّ سلمة: «أنّ النبي ﷺ جلّل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساءً، ثم قال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي وحامّتي، أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: إنّك على خير، أو في مكانك، أو أنت علىٰ خير أو إلىٰ خير. أخرجه مسند أحمد ٦:٢٩٢ و٤:١٠٧، والمعجم الكبير ٩:٢٦ و٢٣:٢٤٩.

والحديث بهذا المعنىٰ مرويّ عن عائشة وأبي سعيد وابن عباس وواثلة بن الأسقع وسعد بن أبي وقّاص. انظر صحيح مسلم ٤:١٨٨٣ عن عائشة، ومستدرك الحاكم ٣:١٥٦ و٢:٤٥١، ومجمع الزوائد ٩:٢٦٤، ومختصر البزّار للعسقلاني ٢:٣٣٢ عن أبي سعيد، وشرح السنّة للبغوي ٨:٨٧ عن عائشة، وقال: «صحيح أخرجه مسلم» والمعجم الكبير ٣:٥٣، ومسند ابن راهويه ٣:٦٧٨ عن عائشة، والسنّة لابن أبي عاصم ٢:٩٠١ عن ابن عباس، وفتح القدير ٤:٢٧٩ وقال: «أخرجه الترمذي وصحّحه وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصحّحه وابن مردويه والبيهقي في سننه من طرق عن أمّ سلمة. وقد ذكر ابن كثير في تفسيره لحديث أمّ سلمة طرقاً كثيرة في مسند أحمد وغيره»، وقد ذكر بعض طرقه السيوطي في الدرّ المنثور ٦:٦٠٣، وابن كثير في تفسيره ٣:٤٩٣.

الخامس: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فلو قلنا: إنّ الآية تشمل الزوجات كالآيات السابقة يلزم منه مخالفة السياق، لأنّ الآيات السابقة كان الضمير فيها ضمير المؤنّث «منكنّ... وأطعن... ولاتبرجنّ... ولا تخضعنّ... وقرن... وأقمن الصلاة... وآتين الزكاة» بينما الضمير في آية التطهير هو ضمير المذكّر «ليذهب عنكم» فدلّ ذلك على خروج الأزواج منها.

←

← ثم إنّ آية التطهير جاءت في مقام المدح والتشريف والتطهير، بينما الآيات السابقة التي تخصّ الأزواج لسانها لسان العتاب والتحذير والتأديب، كقوله: ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ ... فَلَا تَخْضَعْنَ﴾ ومن هنا نعرف انّه لافضل لأزواج النبي ﷺ على بقية النساء إلّا بالتقوىٰ، وهذا صريح قوله تعالىٰ: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ فالفضيلة مشروطة بالتقوىٰ، وبدون التقوىٰ لافضل للزوجية ولا للصحبة، وأين هذا من التطهير المطلق لأهل البيت ﷺ.

خاصةً وقد صدر من بعضهنّ في حياته ﷺ وبعد وفاته. ما لم يكن يرضيه ﷺ. راجع سير أعلام النبلاء ٢: ٢٢٩، وانظر: صحيح البخاري ٤: ١٨٦٨، وصحيح مسلم ٢: ١١٠٧، ومصنّف ابن أبي شيبة ٧: ٥٣٦، ومسند أبي يعلىٰ ٥: ٥٧.

السادس: ما ورد في تفسير آية المباهلة واختصاصها بهم ﷺ، روىٰ مسلم ٤: ١٨٧١ قال: لمّا نزلت هذه ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ﴾ آل عمران: من الآية ٦١، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة والحسن والحسين: فقال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي».

السابع: إنّ القائل بأنّ الآية في نساء النبي هم عكرمة ومقاتل بن سليمان وعروة بن الزبير فقط. فأمّا عكرمة، فهو من الخوارج، وكان يرىٰ رأي الأباضية والخوارج الذين بالمغرب أخذوا عنه، وكان من الكذّابين المشهورين، وقد كذّبه يحيى بن معين وابن المسيّب وعطاء بن رباح ومحمد ابن سيرين وابن المديني، وتجنّبه مسلم ومالك وقال: «لا أرىٰ أن يروىٰ عنه» راجع: ميزان الاعتدال ٣: ٨٩، وسير أعلام النبلاء ٥: ٢١.

وأمّا مقاتل بن سليمان، فقد قال وكيع والنسائي: «كان مقاتل كذّاباً»، وقال الجوزجاني: «كان دجّالاً جسوراً»، وقال ابن حبّان: «كان يأخذ من اليهود والنصارىٰ علم القرآن، وكان يكذب في الحديث»، وقال ابن حجر: «كذّبوه وهجروه»، وأورده العقيلي في الضعفاء وكذّبه، ونقل أكثر الطعون عليه، وكذا الرازي في الجرح والتعديل. راجع: ميزان الاعتدال ٤: ١٧٣، والمجروحين ٣: ١٤، وتقريب التهذيب ٢: ٢٧٧، والضعفاء للعقيلي ٤: ٢٣٤، والجرح والتعديل ٨: ٣٥٤.

وأمّا عروة بن الزبير، فقد كان ابن يحيىٰ يقول: «كان أبي إذا ذكر علياً نال منه»، وروىٰ جرير عن محمد بن شيبة قال: «شهدت مسجد المدينة، فإذا الزهري وعروة بن الزبير جالسان يذكران علياً وينالان منه» وكان الزهري يتّهمه في بني هاشم (شرح النهج ٤: ٦٤ و١٠٢)، وكان عروة

←

هكذا يذكّرنا نبيّنا نبي الإسلامﷺ بأنّه سيجيب داعي ربّه، وسيترك فينا أمرين هامّين عظيمين ثقيلين، هما: كتاب الله المقدَّس وعترته الطاهرة، وأمرنا بـالتمسّك بهما، والاهتداء بهديهما، والاهتمام بشأنهما.

أمّا القرآن الكريم فأمره واضح وأنّه أعظم مقدّساتنا، وطريق ديـننا وسـعادتنا ودستور نظام حياتنا، ومصدر حكمنا، ومرجع حلّ مشاكلنا، وأنّه أساس الفضائل والأخلاق، وأصل العلوم والمعارف والحقائق، فأمره لا يخفىٰ.

والوصية به كانت ديدن نبيّناﷺ في كلّ المناسبات، وخاصّةً في خطبه الجامعة، وقد جاء في كتاب الوصايا من الصحيحين عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه أنّه سئل: أوصىٰ رسول اللهﷺ؟ قال: لا، وكيف كتب الوصية، وكيف أمرَ الناس؟ قال: أوصىٰ بكتاب الله [١].

أمّا أهل بيته فقد علم بطريق الوحي أنّه سيوجد في أُمته من يهضم حـقوقهم، ويقاتلهم ويشرّدهم، ويضايقهم ولايراعي جانبهم، ولذلك كرّر الوصـاية بـهم لفـتاً للأنظار إلىٰ عظيم منزلتهم، وسموّ مقامهم، لأنّهم آل النبيﷺ، وأقرب الناس إليـه وألصقهم به [٢].

← يحدّث بحديث ينتقص فيه فـاطمة عليها السلام (مـختصر زوائـد البـزّار ٢: ٣٥٨، مشكـل الآثـار للطحاوي ١: ٤٨). فيظهر أنّ سند الأخبار هذه مخدوشة فلا معوّل عليها.

١. صحيح مسـلم ٣: ١٢٥٦. لكنّ المشهور والمتواتر أنّهﷺ أوصىٰ بكتاب الله وعترته أهـل بـيته، وجعلهم عدل القرآن في حديث الثقلين، وأمر بالتمسّك بهما وقال: «ما إن تمسّكتم بـهما فـلن تضلّوا بعدي أبداً» كما وأوصىٰ لعلي في حديث الغدير: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» وسيأتي كلّ ذلك مفصّلاً.

٢. ممّا يلاحظ عليه هنا أنّ المصنّف جعل الوصية بأهل البيت عليهم السلام لأنّ النبيﷺ تنبّأ أنّ أُمّته سوف تظلمهم وتهضم حقوقهم وتقاتلهم، وسكت عن الوصية لهم، ووجوب الرجوع إليهم واستحقاقهم ←

وقد جاء عن الصدّيق: «أرقبوا محمداً في أهل بيته»[١]. ومعناه: احفظوه فيهم، فلاتسيئوا إليهم، ولاتؤذوهم، ولذلك قال في مقام آخر: «والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺ أحبّ إليّ أن أصل من قرابتي»[٢]. وهذا هو الظنّ بالصدّيق.

قال القرطبي ﵀: هذه الوصية وهذا التأكيد العظيم يقتضي وجوب احترام أهله والبرور بهم وتوقيرهم ومحبّتهم، ووجوب الفروض المؤكّدة التي لا عذر لأحدٍ في التخلّف عنها، هذا مع ما علم من خصوصيتهم بالنبي ﷺ وبأنّهم جزء منه، فإنّهم أُصوله التي نشأ عنها، وفروعه التي نشأوا عنه، كما قال: «فاطمة بضعة منّي»[٣] ومع ذلك فقابل بنو أُمية عظيم هذه الحقوق بالمخالفة والعقوق، فسفكوا من أهل البيت دماءهم، وسبوا نساءهم، وأسروا صغارهم، وخرّبوا ديارهم، وجحدوا شرفهم وفضلهم،واستباحوا سبّهم ولعنهم، فخالفوا المصطفىٰ ﷺ في وصيته، وقابلوه بنقيض مقصوده وأُمنيّته، فواخجلهم إذا وقفوا بين يديه، ويا فضيحتهم يوم يعرضون عليه[٤].

وقرانه ﷺ بين القرآن وبين عشيرته[٥] في التمسّك بهما يؤذن بأنّ المراد

← ذلك؛ كحديث السفينة والنقلين، وأنّه ﷺ جعلهم عدل الكتاب بوجوب التمسّك، وحديث الغدير وأنّ علياً أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ووليّ الأمر بصريح آية التصدّق بالخاتم.

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٩: ٣٢٨: «قال سبط ابن الجوزي: حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» أنّ عمر قال لعلي: بخ بخ أصبحت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة. قال أبو حامد الغزالي: وهذا تسليم ورضىٰ...».

١. صحيح البخاري ٣: ١٣٦١.

٢. المصدر السابق: ١٣٦٠.

٣. المصدر نفسه: ١٣٦١، وسيأتي الكلام عنه في الباب الثالث: ضمن فضائل فاطمة.

٤. نقله المناوي في فيض القدير ٣: ٢٠ و٦: ٤٥٩. وهذه شهادة صريحة من القرطبي والمناوي علىٰ ما فعله بنو أُمية بالإسلام وبأهل البيت ﷺ.

٥. لكن كلّ من روىٰ حديث الثقلين رواه بلفظ: «كتاب الله وعترتي أهل بيتي» بل هو متواتر بهذا ←

بأهل البيت علماؤهم، فهو عامّ أُريد به الخصوص كما قال الإمام الحكيم الترمذي: فالجاهل والفاسق منهم حظّهما من الأُمة الاحترام والبرور والإحسان فقط. أمّا الاقتداء والتمسّك فإنّما يكون بعلمائهم العاملين بالكتاب والسنّة، السالكين هدي النبي ﷺ ونهجه القويم[١]، وطريق السلف الصالح من الصحابة والتابعين فمن بعدهم.

← اللفظ، وإليك بعضاً من مصادر الحديث، وكلّها بلفظ «كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضّلوا بعدي».

«فضائل الصحابة لأحمد: ١٥، مسند أحمد ٣: ١٤ و٥: ١٨٢، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٤٥، المعجم الكبير ٣: ٦٥ و٦٦ و٦٧ و٥: ١٥٤ و١٦٦ و١٧٠ أخرجه من عدّة طرق، البداية والنهاية ٥: ٢٢٨ و٧: ٣٨٦، كنز العمّال ١: ١٧٢ رقم ٨٧٠ و٨٧١ و٨٧٢ و٨٧٣ عن جابر وزيد ابن ثابت وزيد بن أرقم، و١: ١٨٥ رقم ٩٤٣ إلى رقم ٩٥٣ عن أبي سعيد وزيد وجابر، و٥: ٢٩٠ عن ابن جرير و١٤: ٤٣٥ عن حذيفة.

هذا والحديث مرويّ بعدّة طرق في المعجم الصغير والأوسط للطبراني، وسنن الترمذي، ومستدرك الحاكم، ونظم درر السمطين، ومسند أبي يعلى، وكتب التاريخ والسيرة، وفي الجميع بلفظ «وعترتي» وليس «وعشيرتي»».

١. قد نصّ رسول الله ﷺ عليهم، وهم من يجب اتّباعهم والتمسّك بهم:

فعن الأصبغ عن عبدالله بن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون» (فرائد السمطين ٢: ٣١٣، ينابيع المودّة ٢: ٣١٦).

وعن عباية بن ربعي مرفوعاً: «أنا سيّد النبيين وعلي سيّد الوصيين، [و] إنّ أوصيائي بعدي اثنا عشر، أولهم علي وآخرهم القائم المهدي» (ينابيع المودّة ٢: ٣١٦).

وعن سعيد بن جبير قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي لإثنا عشر، أولهم أخي وآخرهم المهدي» قيل: يا رسول الله، ومن أخوك؟ قال: «علي بن أبي طالب».

وعن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا سيّد المرسلين وعلي بن أبي طالب سيد الوصيين، وإنّ أوصيائي بعدي اثنا عشر، أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم القائم» (فرائد

←

وليس المراد بهم علماء غلاة الشيعة الذين يوالون أهل البيت، ويضلّلون الصحابة من المهاجرين والأنصار ويسبّونهم، وينالون منهم وينتقصونهم، وينتقدون أعمالهم، ويتبرّؤون من أكابرهم؛ كالخلفاء الثلاثة...[1].

وفي قوله ﷺ: «ولن يفترقا» إشارة إلىٰ أنّه ـ كما قال الشريف السمهودي ـ لابدّ وأن يكون في كلّ زمان من هم أهلٌ للتمسّك بهم ويهديهم مع القرآن الكريم، وأنّهم لا يفترقون عن القرآن حتّىٰ يلقوه ﷺ، وأنّ التمسّك بهما أمان من الضلال والخروج عن الحقّ، جعلنا الله تعالىٰ منهم ومن شيعتهم الصادقين المعتدلين.

← السمطين للجويني الشافعي ٢: ٣١٢ و٣١٣).

وقال ﷺ: «من أحبّ أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنّة الخلد التي وعدني ربي، فإنّ ربي عز وجل غرس قضبانها بيده، فليتولّ علياً وذرّيته من بعده، فإنّهم لن يخرجوكم من باب هدىً ولن يدخلوكم في باب ضلالة» (كنز العمال ١١: ٦١١).

وهذا هو الذي عناه النبي ﷺ بقوله: «اثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش» (كنز العمال ١٢: ٣٣).

وقال في عون المعبود (١١: ٢٤٥) نقلاً عن قرّة العينين قال: «إنّ الحديث ـ اثنا عشر خليفة ـ ناظر إلى مذهب الاثني عشرية الذين أثبتوا اثني عشر إماماً».

١. وقد تقدّم الكلام عن الغلاة، وأنّ الشيعة الإمامية وأئمتهم أئمة أهل البيت حاربوا الغلاة، وكفّروهم وأمروا بالبراءة منهم ولعنهم، فراجع.

وأمّا الصحابة، فالإمامية حالهم حال الكثير من أعلام السنّة ـ كما تقدّم ـ لا يقولون بعدالة الجميع، ولا يقبلون الصحابة علىٰ علّاتهم، وكيف نقول بعدالة أمثال مروان قاتل طلحة، وأبو الغادية قاتل عمار بن ياسر، وسمرة بن جندب الذي كان يبيع الخمر في زمان عمر بن الخطاب (صحيح مسلم ٣: ١٢٠٧)، وهل يرضىٰ أحد من العقلاء أن يقول بعدالة من رمىٰ زوجة النبي ﷺ بالإفك العظيم، أو من أراد قتل النبي ﷺ عند العقبة، أو من سرق أموال المسلمين؟

قال عمر لأبي هريرة: «يا عدوّ الله وعدوّ كتابه، سرقت مال الله!» (سير أعلام النبلاء ٢: ٦١٢).

والقرآن يخبر ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ التوبة: ١٠١.

وقال رسول الله ﷺ: «في أصحابي اثنا عشر منافقاً، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنّة» (صحيح مسلم ٤: ٢١٤٣)، وأيّ منصف عادل يرضىٰ بتوثيق القتلة والسرّاق والمنافقين وأهل الإفك؟

أهل البيت مطهّرون من الرجس ومغفور لهم

عن عائشة رضي الله عنها قالت:

خرج النبيﷺ غداة وعليه مِرْطٌ مُرحَّل[١] من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٢].

اختلف العلماء من المفسّرين وغيرهم في سبب نزول هذه الآية وفي المراد بها، فذهب ابن عباس وعكرمة وعطاء ومقاتل وسعيد بن جبير إلىٰ أنّها في زوجات النبيﷺ بدليل سياق الآية قبلها وبعدها[٣].

وذهب آخرون، منهم أبو سعيد الخدري ومجاهد وقتادة وغيرهم[٤] إلىٰ أنّها في علي وفاطمة والحسن والحسين: بدليل هذا الحديث[٥]، وحديث أُم سلمة أُم المؤمنينعليها السلام:

أنّ النبيﷺ جلّل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساءً ثم قال: «اللّهم

---

١. مرط: كساء من صوف أو خزّ يؤتزر به. والمرحّل: الموشّى والمنقوش.

٢. صحيح مسلم ٤:١٨٨٣، شرح السنّة للبغوي ٨:٨٧، مستدرك الحاكم ٣:١٥٩ وصحّحه علىٰ شرطهما، مسند ابن راهويه ٣:٦٧٨، فتح القدير ٤:٢٧٩ وقال: أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم عن عائشة.

٣. تقدّم الكلام عن ذلك مفصّلاً في الهامش تحت عنوان «زوجات النبي لسن من أهل البيت» فراجع. وأمّا قول عكرمة ومقاتل فلا يؤخذ به، لما تقدّم من كونهما من الكذّابين المشهورين. ومن اللطيف أنّ ابن كثير لم يرض بذلك وقال: «إن أراد أنّهنّ سبب النزول ففيه نظر» (مسند ابن راهويه ٤:١٥).

مع أنّ المروي عن ابن عباس في أكثر الكتب هو نزولها في أصحاب الكساء الخمسة فقط، راجع مسند ابن راهويه ٣:٦٧٨، السنّة لابن أبي عاصم ٢:٩٠١، المعجم الكبير ١٢:٧٧.

٤. كأُم سلمة وابن عباس وعائشة وواثلة بن الأسقع وسعد بن أبي وقّاص.

٥. حديث عائشة المتقدم: (خرج رسول الله ﷺ وعليه مرط مرحّل...).

هؤلاء أهل بيتي وحامّتي أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» فقالت أُم سلمة رضي الله عنها: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: «إنّك على خير»[١].

---

١. هامش من المصنّف ونصّه: رواه أحمد والترمذي وحسّنه وقال: هو أحسن شيء روي في هذا الباب، وله طرق وشواهد صحيحة، فرواه عنها الحاكم وصحّحه على شرط البخاري ووافقه الذهبي، وفيه: قالت: في بيتي نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ إلى آخره، فأرسل رسول الله ﷺ إلى علي وفاطمة وابنيها فقال: «هؤلاء أهل بيتي». ورواه أيضاً عنها أحمد مطوّلاً، وله شاهد عن عمر بن أبي سلمة رواه الترمذي، وشاهد ثانٍ عن أنس رواه الترمذي في التفسير، وشاهد ثالث عن واثلة بن الأسقع رواه أحمد والحاكم وصحّحه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، فالحديث صحيح. انتهى.

والحديث في مسند أحمد ٦:٣٠٤، والجامع الصحيح ٥:٣٥١، وتفسير الطبري ٢٢:١٢ رقم ٢١٧٣٦، وفي تحفة الأحوذي ٩:٤٨ قال: «أنت على خير وإن لم تكوني من أهل بيتي».

وأمّا حديث أُم سلمة الآخر قالت: في بيتي نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين، فجلّلهم رسول الله ﷺ بكساءٍ كان عليه ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً».

قال السيوطي في الدرّ المنثور ٦:٦٠٤: أخرجه الترمذي وصحّحه وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصحّحه وابن مردويه والبيهقي في سننه من طرق عن أُم سلمة.

وأخرجه في الجامع الصحيح ٥:٣٥١، والمعجم الكبير ٣:٥٢، و٢٣:٢٤٩، ونظم درر السمطين: ٢٣٨، ومستدرك الحاكم ٣:١٥٨ وقال: «صحيح على شرط البخاري ولم يخرّجاه»، وتفسير فتح البيان ١١:٨٦ وقال: «وقد ذكر ابن كثير لحديث أُم سلمة طرقاً كثيرة في مسند أحمد وغيره»، وتفسير روح المعاني ٢٢:١٤ وفيه: «فجذبه ـ الكساء ـ من يدي وقال: إنّك على خير»، وزاد في بعض الروايات: إنّه ﷺ أخرج يده من الكساء وقال: اللّهم هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، ثلاثاً» ونفسير الخازن ٣:٤٢٥ وقال: «أخرجه الترمذي وقال: حديث صحيح»، ومسند أحمد ٦:٢٩٢.

وأمّا رواية أبي سعيد الخدري فهي: «قال: إنّما يريد الله ليذهب... نزلت في خمسة: في النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين» أسباب النزول للواحدي: ٢٣٩، ومختصر البزّار للعسقلاني ٢:٣٣٢، ومجمع الزوائد ٩:٢٦٤.

←

ومداره علىٰ أنّ الآية نزلت في أصحاب الكساء، وأنّهم المراد بها، وانظر ما يأتي في حديث سعد في فضائل علي...

وتوسّط فريق ثالث وهو المعتمد، فجعلوا الآية شاملة للزوجات ولأهل الكساء، وأنّ سبب نزولها لايمنع من عمومها، أمّا النساء فلكونهم المرادات في سياق الآيات، ولأنهنّ الساكنات في بيوتهﷺ، وأمّا دخول علي وفاطمة والحسنين فلكونهم قرابته وأهل بيته بنصّ الأحاديث مع التصريح من أم سلمة وغيرها بأنّهم سبب نزول الآية الكريمة، فمن قصر الآية علىٰ أحد الفريقين فقد أعمل بعض مايجب إعماله، وأهمل ما لا يجوز إهماله[1].

وقد رجّح هذا القول القرطبي في تفسيره[2]، وابن كثير كذلك حيث قال: ليس

← وروايته الأُخرىٰ: «سئل من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس، فعدّهم في يده خمسة: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين» المعجم الأوسط ٢:٤٩١ رقم ١٨٤٧.

١. للتليدي هنا عدّة دعاوى ينبغي الوقوف عندها وتوضيحها:

الدعوى الأُولىٰ: أنّ الفريق الثالث هو المعتمد.

لا أدري كيف أصبح هذا القول معتمداً وليس له دليل يعتمد عليه، فالسياق علىٰ خلاف ذلك بدليل اختلاف الضمير، والروايات ليس فيها إلّا رواية عكرمة وقد شهد عليه الذهبي وغيره، وقد عرفت ما فيه.

الدعوى الثانية: أنّ سبب نزولها لايمنع من عمومها.

وهذا خطأ فاحش بعرفه أهل العلم والأُصوليّون منهم، فليست الآية حكماً شرعياً حتّىٰ يقال: إنّ المورد لا يخصّص الوارد، وإنّ سبب النزول لا يمنع من العموم، بل هي قضيّة شخصيّة خارجية محصورة الأفراد، فلا يمكن تعميم ذلك، والسبب: انحصار أفرادها بنحو القضيّة الخارجية، وهذا معلوم من قول أُم سلمة وأبي سعيد الخدري، وفعل النبيﷺ من جعلهم تحت الكساء، وقوله: هؤلاء أهل بيتي، وعدم الإذن لأُم سلمة بالدخول معهم، فكلّ ذلك يدلّ علىٰ أنّ هذه القضيّة خارجية شخصية محصورة الأفراد لا يمكن تعميمها أبداً.

٢. تفسير القرطبي ١٤:١٨٣ ولقد حار القرطبي في تأويل الآية وتردّد، وبنىٰ رأيه في دخول ←

المراد بالأهل الأزواج فقط، بل هم مع آل محمد، وهذا الاحتمال أرجح؛ جمعاً بينها وبين الرواية التي قبلها، وجمعاً بين القرآن والأحاديث المتقدّمة قال: ولكن إذا كان أزواجه من أهل بيته فقرابته أحقّ بهذه التسمية.

وأقرّ هذا القول محمد صدّيق حسن خان القنوجي في فتح البيان مختاراً له[١].

وقوله في حديث أُم سلمة: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي» هو نصّ في أنّ هؤلاء الأربعة هم آل بيته الأطهار، فإذا أُطلق الآل انصرف إليهم[٢]. ويقال لأولادهم في العرف: العترة، والذرّية الطاهرة، والسادات، والأشراف، والعلويّون... وانظر لهذا وغيره ماسبق.

فقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ الآية، معناه: إنّما يشاء الله بقدرته وإرادته تفضّلاً منه أن يخلّصكم من دنس المعاصي والأقذار، ويطهّركم ياأهل بيت النبوّة نساءً ورجالاً! من أوضار الآثام والفواحش التي تتدنّس بها الأعراض، كما تتلوّث الأبدان بالنجاسات تطهيراً بليغاً، حتى لايبقىٰ عليكم أيّ ذنب... فهم مطهّرون مغفور لهم بالتبعية لهﷺ ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[٣].

ويؤيّد هذا التعميم حديث ابن عباس؛ قال: قال رسول اللهﷺ لفاطمة؛:

← الأزواج على تأويل القشيري لرواية أُم سلمة، فإنّه أوردها هكذا: «قالت: وأنا منهم؟ قال: نعم» وهذا لم يأت في رواية، وكلّ من روىٰ حديث أُم سلمة رواه بلفظ: مكانك وأنت علىٰ خير، أو أنت علىٰ خير، أو إلىٰ خير» وفسّره في تحفة الأحوذي (٤٨:٩) قال: «وأنت الىٰ خير وإن لم تكوني من أهل بيتي» وقد تقدّمت مصادر الرواية فراجع.

١. فتح البيان ١١:٨٥.

٢. هذا إقرار من المصنّف بالاختصاص بهم؛ دون غيرهم، وتأييد لما سبق منه من كون لفظ الآل والأهل أصبح علماً على أصحاب الكساء؛ دون غيرهم.

٣. الفتح: ٢.

«إنّ الله غير مُعذّبك ولا ولدك»[١].

واستدلّ بهذه الآية الكريمة الشيعة الإمامية على عصمة أئمّة أهل البيت ـ رضي الله تعالىٰ عنهم ـ من المعاصي[٢]. وهو خطأ فاحش فإنّ الآية الكريمة جاءت في نساء النبي[٣] وأهل الكساء الأربعة، فأين الدليل بعموم العصمة؟[٤]

---

١. المعجم الكبير ١١: ٢١٠ رقم ١١٦٨٥، مجمع الزوائد ٩: ٢٢٦ وقال: «رواه الطبراني ورجاله ثقات»، سبل الهدى ١١: ٥، كنز العمال ١٢: ١١٠ رقم ٣٤٢٣٦، نور الأبصار: ٥٢ وقال: «أخرجه الطبراني بسند رجاله ثقات». والحديث مطلق، وفي بعض النسخ بزيادة «يعني الحسن والحسين» والتفسير بـ«يعني» من راوي الحديث ابن كريب، نصّ علىٰ ذلك الصالحي الشامي في سبل الهدى ١١: ٥.

٢. والأدلّة على عصمة الأئمّة من أهل البيت عند الشيعة الإمامية، هي هذه الآية وآيات أُخر من القرآن الكريم، والروايات الواردة من طرق الفريقين، مضافاً للأدلّة العقلية علىٰ لزوم عصمة الأئمة بعد النبي ﷺ، وكلّها مذكورة في كتبهم المطبوعة والمنتشرة في كلّ مكان.

٣. لكنّه قبل قليل نفىٰ نساء النبي من الآية بالانصراف، وفي أول البحث نفاهُنَّ، بكون لفظ الآل والأهل علماً على أصحاب الكساء فقط.

٤. وممّا يجدر ذكره أنّ مبحث الإمامة والعصمة من أهمّ وأكثر البحوث التي بحثها علماء الشيعة الإمامية، ولهم فيها كتب ورسائل كثيرة، أثبتوا فيها وجوب الإمامة، ووجوب عصمة الإمام، بالأدلّة العقلية والنقلية من الكتاب والسنّة الواردة من طرق الفريقين. ونجد من الضروري هنا التعرّض بما يناسب المقام هنا، فنقول:

إنّ دلالة الآية على عصمة أصحاب الكساء، ممّا لاتنكر، وهو مقتضى إرادة التطهير وإذهاب الرجس، وقد اعترف الكثير من علماء السنّة بدلالتها على عصمتهم ﷺ:

قال القاسمي في تفسيره (محاسن التأويل ٧: ٦٥٨): «فهبْ أنّ القرآن لا يدلّ على وقوع ما أُريد من التطهير وإذهاب الرجس، لكنّ دعاء النبي ﷺ بذلك يدلّ علىٰ وقوعه، فإنّه دعاء مستجاب» وقال في الصفحة ٦٥٩: «ولفظ الرجس عامّ يقتضي أنّ الله يذهب جميع الرجس، فإنّ النبي ﷺ دعا بذلك».

وواضح أنّه يسلّم دلالة الآية علىٰ إذهاب الرجس، لكنّه يترقّى في الاستدلال، فحتّى لو شكّك

←

← أحد بدلالة الآية. فإنّ دعاء النبي ﷺ مستجاب، وقد دعا ﷺ بإذهاب الرجس عنهم. فالقول بالعصمة في خصوص الخمسة ﷺ ممّا لا ينكر. وأمّا القول في التعميم لأئمة أهل البيت ﷺ:

الدليل على عصمة الأئمة من أهل البيت ﷺ

الأول: آية التطهير بهذا التقريب: أنّه من المعلوم أنّ لكلّ رجلٍ أهل بيت واحد. وتقدّم أنّ أهل بيت النبي ﷺ هم أصحاب الكساء، الخمسة فقط، دون غيرهم. وقد دلّت الروايات على ذلك، وتقدّم الكلام عنه في عدّة مواضع. وهؤلاء هم من عناهم النبي ﷺ في دعائه عند نزول آية التطهير آخذاً بأطراف الكساء: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» وهم الذين أوصىٰ بوجوب التمسّك بهم في حديث الثقلين بقوله: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً» فأهل بيته هم عترته الذين أوصىٰ لهم وأوجب التمسّك بهم.

وكذا في قوله: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها هلك».

وعلمنا أيضاً أنّ خلفاءه وأوصياءه ﷺ اثنا عشر، قال: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة وكلّهم من قريش» (صحيح مسلم ٣:١٤٥٢ ومسند أحمد ٥:٨٩، ٩٢، ١٠٧ وصحيح ابن حبّان ١٥:٤٣).

ولا يعقل أن يوصي بالإمامة والخلافة لشخصين أو أشخاص على نحو الاستقلال والانفراد وفي آن واحد. وعليه، فلابدّ أن يكون الاثنا عشر خليفة هم أهل بيته وعترته الذين أوجب التمسّك بهم والرجوع إليهم. فثبت أنّ الأئمة من أهل البيت اثنا عشر خليفة وهم عترته وأهل بيته، وقد دلّت الآية على طهارة أهل البيت ﷺ، فثبت عموم العصمة لهم.

ولا ينافيه توهّم الحصر في الآية بخصوص الخمسة أصحاب الكساء، فإنّ الحصر نسبي، بمعنىٰ أنّ الآية دلّت علىٰ عصمة أهل البيت، لكن لم يوجد منهم في ذلك الزمان إلّا هؤلاء الخمسة، ومن هذا في اللغة كثير.

وهذا التقريب والجمع بين الأحاديث يثبت عصمة الأئمة من أهل البيت ﷺ، وأنّ عددهم اثنا عشر. وهم خلفاء النبي ﷺ وأوصياؤه الذين وجب التمسّك بهم والرجوع إليهم في القول والعمل. وأمّا فاطمة ﷺ فلا شكّ في عصمتها لأنّها من أصحاب الكساء. وممّن شملها دعاء النبي ﷺ ومن المعنيّين بالتطهير في الآية.

• • •

←

← الثاني: وممّا دل على عموم العصمة لأهل البيت ﷺ، والنصّ عليهم، الروايات:

فعن الأصبغ عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون» (فرائد السمطين للجويني ٢:٣١٣، وينابيع المودّة ٢:٣٦١)

وعن عباية بن ربعي مرفوعاً: «أنا سيد النبيّين وعلي سيد الوصيّين، إنّ أوصيائي بعدي اثنا عشر، أولهم علي وآخرهم المهدي» (فرائد السمطين ٢:٣١٢).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد المرسلين وعلي بن أبي طالب سيد الوصيّين، وإنّ أوصيائي بعدي اثنا عشر، أوّلهم علي بن أبي طالب وآخرهم القائم» (فرائد السمطين ٢:٣١٣).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي لاثنا عشر، أوّلهم أخي وآخرهم المهدي» (فرائد السمطين ٢:٣١٢).

وقد نصّت الأحاديث على عدد الأئمة من أهل البيت، وأنّهم أوصياؤه وخلفاؤه، وأنّهم معصومون مطهّرون، وأنّ عددهم اثنا عشر، كما رواه أهل السنّة، ودلالة الأحاديث على العصمة تامّة لصريح أكثر الأحاديث، وأمّا من طرق الشيعة الإمامية فالأحاديث كثيرة وواضحة الدلالة فراجع.

• • •

الثالث: قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: من الآية ١٢٤) دلّت على أنّ الإمامة من عهد الله تعالى، واعتبار العصمة من الله حين الإمامة وقبلها، لأنّ كلّ عصيان ظلم، وكلّ عاصٍ ظالم، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة: من الآية ٢٢٩)، فدلّت على عصمة الإمام. وقد فهم ذلك علماء أهل السنّة:

قال السيوطي في (الدرّ المنثور ١:٢٨٨): عن وكيع وعبدالحميد وابن جرير: المعنى: لا أجعل إماماً ظالماً يقتدى به. ومعناها: إنّه كائن لا ينال عهده من هو في رتبة ظالم، ولا ينبغي أن يولّيه شيئاً من أمره.

• • •

←

ثم إذا عمّمنا فلا يبقىٰ فرق في ذلك بين أئمة أهل البيت رضي الله عنهم وغيرهم من سائر آل البيت إلى يوم القيامة[١]، وهذا فاسد باطل يخالفه الواقع، فإنّ في أهل البيت من المنحرفين والمسرفين علىٰ أنفسهم ما هو معروف في كلّ الأزمنة والأمكنة، فهم وغيرهم سواء في صدور المعاصي منهم، وتخصيص الأئمة الاثني عشر أو من يقوم مقامهم عندهم بالعصمة دون غيرهم هو تخصيص بدون مخصّص

← الرابع: قوله تعالىٰ: ﴿أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء: من الآية ٥٩) فإنّه أوجب طاعة أُولي الأمر على الإطلاق، كطاعته وطاعة رسوله، وهذا لا يتمّ إلّا بعصمة أُولي الأمر لأنّ غير المعصوم قد يأمر بمعصية، وتحرم طاعته فيها، فلو وجبت طاعته اجتمع الضدّان: وجوب طاعته وحرمتها، وقد أقرّ الرازي بدلالة الآية على عصمة أُولي الأمر بهذه الآية. وتقدّمت دلالة الأحاديث علىٰ أنّ الأئمة من أهل البيت ﷺ هم أوصياؤه وهم حجج الله على الخلق، ومن أمر العباد بطاعتهم والتمسّك بهم، فهم أُولي الأمر، فتجب عصمتهم.

• • •

الخامس: أنّ الإمام لو صدرت منه المعصية، لسقط محلّه من القلوب، فلا تنقاد لطاعته، فتنتفي فائدة نصبه.

• • •

السادس: أنّ الإمام لطف يمنع التعدّي ويحمل الناس علىٰ فعل الطاعات واجتناب المحرّمات، ويقيم الحدود والفرائض، فلو جازت عليه المعصية وصدرت عنه، انتفت هذه الفوائد وافتقر إلى إمام آخر، فيلزم التسلسل.

• • •

السابع: أنّ الإمام حافظ للشرع بعد النبي ﷺ فتجب عصمته لذلك، إذ لا يقدر علىٰ حفظ الشرع بتمامه إلّا معصوم.

هذه بعض الأدلّة العقلية والنقلية على عموم العصمة، ومن أراد المزيد فليراجع كتب العقائد وبحوث الإمامة والعصمة في المطوّلات.

١. ليس المراد من العموم هو إثباتها لكلّ من تناسل من النبي ﷺ، إنّما المراد بعموم العصمة، هو شمولها لما دلّ عليه مفهوم أهل البيت وهم الأئمة من أهل البيت وفاطمة، وهذا هو مقتضى الآية وحديث الكساء، للأدلّة المتقدّمة الدالّة على ذلك.

من الشارع[١]. على أنّ القول بعصمة غير الأنبياء يخالف نصوص القرآن والسنّة والإجماع والواقع[٢].

فإنّ الإنسان من حيث هو ناقص ومعرض للزلّات والهفوات فلا يخلو من ذلك الآونة بعد الآونة، ولو بلغ ما بلغ في الاستقامة ما عدا الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم. فعقيدة الشيعة في أئمّتهم من أبطل الباطل كباقي عقائدهم الخرافية[٣].

فضل من صاهر أهل البيت

عن جابر بن عبدالله ﷺ أنّه سمع عمر بن الخطّاب يقول للناس حين تزوّج بنت علي ﷺ: ألا تهنّئوني؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ينقطع يوم القيامة كلّ سبب

---

١. المخصّص هو النصوص والأدلّة المتقدّمة، فراجع.

٢. بل إنّ البعض لم يقل حتّىٰ بعصمة الأنبياء ﷺ فكيف بغيرهم، وهذا بعض ما رووه:

الأول: أنّ النبي ﷺ سُحِرَ! وأنّه يفعل ولا يدري ما يفعل، ويخيّل أنّه صنع الشيء، ولم يصنعه!! (صحيح البخاري ٣:١١٩٢ و٥:٢١٧٦).

الثاني: أنّ النبي ﷺ كان يشرب الخمر ويشتريه!! (صحيح مسلم ٣:١٢٠٦، صحيح ابن حبّان ١١:٣١٧ و٣١٩، مجمع الزوائد ٤:١٥٦).

الثالث: قصّة الغرانيق، وسجود النبي ﷺ للأصنام، وتدخّل الشيطان في الوحي!! (تفسير الطبري ١٧:١٨٩، شرح سنن ابن ماجة ١:٢٧٨، مجمع الزوائد ٧:٢٤٨).

الرابع: أنّ النبي ﷺ كان سبّاباً شتّاماً يؤذي المسلمين بغير حقّ!! (مسند أحمد ٦:١٦٠).

الخامس: أنّ إبراهيم ﷺ كان كذّاباً (صحيح مسلم ٤:١٨٤٠ قال: لم يكذب إبراهيم إلّا ثلاث كذبات، وصحيح البخاري ٤:١٧٤٦ قال: وإنّي كذبت ثلاث كذبات، و٥:١٩٥٥).

٣. لم يتّبع الشيعة الإمامية إلّا النبي ﷺ وأهل البيت، وأخذوا منهم دينهم وعقائدهم، والشيعة هي الفرقة الوحيدة من بين الفرق الإسلامية قالوا بعصمة الأنبياء من الصغائر والكبائر، ومن السهو والنسيان، ومن كلّ رجس، قبل البعثة وبعدها. ولهم علىٰ كلّ عقيدة آية ورواية عن أئمة أهل البيت ﷺ.

ونسب إلّا سببي ونسبي»[1].

---

١. المعجم الأوسط ٦:٢٨٢ رقم ٥٦٠٢، وسندها كما يلي: محمد بن عبدالله الحضرمي عن الحسن ابن سهل الخيّاط عن سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد.

أمّا سفيان بن عيينة:

قال الذهبي: «وقد كان مشهوراً بالتدليس» (سير أعلام النبلاء ٨:٤٦٥) وأورده الذهبي في الضعفاء (٢:٤١٨ رقم ٢٤٨٥).

وقال ابن حجر في التقريب: «تغيّر حفظه بآخره، وكان ربّما دلّس» (التقريب ١:٣٠٣)

وعن يحيىٰ بن سعيد القطّان: «اشهدوا أنّ سفيان بن عيينة اختلط سنة سبع وتسعين ومائة، فمن سمع منه في هذه السنة وبعدها فسماعه لا شيء» (تهذيب التهذيب ٤:١٠٨، وتاريخ بغداد ٨:١٨٣).

ومثل هذه الرواية بسند آخر رواها البيهقي في السنن الكبرى (٧:٦٤) وفي سندها سفيان بن وكيع الجرّاح، وروح بن عبادة.

أمّا سفيان بن وكيع:

قال ابن حجر: «أدخل عليه ما ليس من حديثه» (التقريب ١:٣٠٢)

وقال في تهذيب التهذيب (٤:١١١): «قال البخاري: يتكلّمون فيه لأشياء، وقال ابن أبي حاتم: سألت أبا زرعة عنه فقال: لا يشتغل به، كان يكذب، وقيل له: كان سفيان يتّهم بالكذب، قال: نعم، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال الآجري: امتنع أبو داود من التحديث عنه، وقال ابن مهدي: إنّما بلاؤه أنّه كان يتلقّن ما لقّن».

وأورده الذهبي في الضعفاء والمتروكين (١:٣٣٦)، وأكثر من الطعون عليه في الميزان (٢:١٧٣).

ونقل أكثر ذلك الرازي في الجرح والتعديل (٤:٢٣١).

وأمّا روح بن عبادة:

قال ابن أبي حاتم: «لا يحتجّ به، وكان ابن مهدي يطعن علىٰ روح وينكر عليه أحاديث، وقال الآجري: «سمعت أبا داود يقول: أنكر القواريري علىٰ روح تسعمائة حديث حدّث بها» (ميزان الاعتدال ٢:٦٠).

ثم إنّهم قالوا: إنّ أُم كلثوم تزوّجت بعد وفاة عمر محمد بن جعفر ثم بأخيه عون بن جعفر، وهذا غير صحيح، لأنّهما قتلا في حرب تستر في زمن عمر بن الخطاب، نصّ علىٰ ذلك ابن حجر في ←

فالأنساب والأسباب كلّها ستنقطع يوم القيامة، وتضمحلّ وتتلاشىٰ ويتبرّأ الناس بعضهم من بعض، ويفرّ المرء من أخيه وأُمّه وأبيه وصاحبته وبنيه لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ﴾ [١]، غير نسب النبيﷺ وسببه، والنسب يكون بالولادة، والسبب بالمصاهرة كما قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً﴾ [٢]، وكلّ ما يتوصّل به إلى الشيء لبعد عنه فهو سبب. فسببه ونسبهﷺ لا ينقطعان، فكلاهما نافع يوم القيامة لمن لم يرجع القهقرى، ولم يبدّل دينه من ذرّيته.

لحديث أبي سعيد الخدريﷺ قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول على هذا المنبر: «ما بال رجال يقولون: إنَّ رحم رسول اللهﷺ لا تنفع قومه؟ بلىٰ والله إنّ رحمي موصولة في الدنيا والآخرة، وإنّي أيّها الناس، فرط لكم إذا جئتم، قال رجل: يا رسول الله، أنا فلان بن فلان فأقول لهم: أمّا النسب فقد عرفت ولكنّكم أحدثتم بعدي وارتددتم القهقرى» [٣].

فهؤلاء لا ينفعهم رسول اللهﷺ ولاحظٌ في انتسابهم إليه بنسب أو سبب، وذلك لخروجهم عن دينه، وإسرافهم في الانحراف عنه.

← الإصابة (٤:٦١٨) وابن عبدالبرّ في الاستيعاب (٣:٣١٥)

وقالوا أيضاً: «تزوّجها بعد ذلك عبدالله بن جعفر، وهذا غير صحيح أيضاً، فإنّ عبدالله بن جعفر هو زوج زينب بنت أمير المؤمنين، فيكف يجمع بين الأُختين؟!

ثم المذكور في التاريخ أنّ عمر تزوّج أُمّ كلثوم بنت أبي بكر، كما في الأغاني (١٦:١٠٣)، وفي تاريخ الخلفاء: ٧٨: أنّ عمر تزوّج من أُم كلثوم بنت جرول، وهي أُم عبيدالله بن عمر.

بل المرويّ في كتب الشيعة كما في علل الشرائع للصدوق (١:١٨٦) وغيره: أنّ أُمّ كلثوم هو كنية لزينب بنت أمير المؤمنين زوجة عبدالله بن عمر، وليس لأمير المؤمنين ابنة باسم أُم كلثوم.

١. المؤمنون: ١٠١.

٢. الفرقان: ٥٤.

٣. مسند أحمد ٣:١٨.

أمّا ما جاء في الصحيح: «يا فاطمة! لا أُغني عنك من الله شيئاً»[1] فهذا محمول على أنّه لا ينفعها بنفسه وإذنه، ولكنّ الله عزّ وجلّ سيملّكه نفعها ومن معها من الأقارب، فيشفع لهم الشفاعة الخاصة التي تليق بهم، ولذلك جاء في بعض طرق هذا الحديث: «غير أنّ لكم رحماً سأبلّها ببلالها»[2] وليس ذلك إلّا الشفاعة.

والمقصود: أنّ مصاهرة أهل البيت هي سبب نافع لصاحبها على أنّ السبب لا يختصّ بالمصاهرة، فإنّ محبة النبيﷺ ونصر دينه وتعلّمه وتعليمه والبحث عن سنّته وحديثه والدفاع عنه... كلّ ذلك من الأسباب العظيمة[3] التي لها أثر كبير يوم القيامة، وأسعد الناس بهﷺ من اجتمع فيه الأمران: النسب والسبب، فكان من ذرّيته الطاهرة، ومن أصهار آل بيته، وكان مع ذلك من ورثته، والساعين في نشر دينه، وتكثير حزبه بصدق وإخلاص.

---

١. تقدّمت مصادر الحديث، ولم تثبت صحّته. وعلى فرض صدور هذا الكلام من النبيﷺ مع فاطمة عليها السلام. فإنّه يحمل على «إيّاك أعني واسمعي يا جارة» والمراد إسماع الأصحاب ومن كان حاضراً. حثّهم على العمل والإخلاص، وأن لا يتّكلوا على الشفاعة والصحبة وغير ذلك. وتوجيه الخطاب إلى فاطمة، ليكون لهذا الكلام مزيد تأثير في قلوب السامعين.
وأمّا فاطمة فإنّها بضعة النبيﷺ وسيّدة نساء أهل الجنة (صحيح البخاري ٣:١٣٢٦ و ١٣٦٠ و ١٣٧٤). وسيدة نساء المؤمنين (صحيح البخاري ٥:٢٣١٧، وصحيح مسلم ٤:١٩٠٤)، وسيدة نساء العالمين (مستدرك الحاكم ٣:١٥٦، ومسند الطيالسي: ١٩٧، والسنن الكبرى للنسائي ٤:٢٥٢)، وأنّها ممّن يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها (مستدرك الحاكم ٣:١٦٧ وصحّحه، والمعجم الكبير ١:١٠٨) فغضبها عين غضب الله، ورضاها عين رضا الله، وهي الطاهرة المطهّرة بنصّ الكتاب وآية التطهير، فمن المحال أن تكون فاطمة من المخاطبين بمثل هذا الحديث كما هو واضح.
٢. صحيح مسلم ١:١٩٢، كنز العمال ١٢:٤٢، و١٥٢. وببلالها: جمع بلل، وهو كلّ ما بلّ الحلق من ريق وغيره (النهاية في غريب الحديث ١:١٥٢).
٣. هذا الذي ذكره المصنّف، من الوسيلة المقرّبة «وابتغوا إليه الوسيلة» وليس من السبب الذي هو في قبال النسب.

ملحوظة: وفي تزويج الإمام علي ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ بنته وكريمته وفلذة كبده من أمير المؤمنين عمر أيام خلافته بل آخرها فيه ردّ على غلاة الشيعة الذين يريدون التفرقة بين الخلفاء الراشدين وأصحاب رسول اللهﷺ ويجعلون علياً عليه السلام عدوّاً للشيخين والعكس[١]، ولو كان الأمر كما يكذبون لما تصاهرا أو تقاربا. أمّا ما يجيبون به عن هذه المصاهرة ما هو إلّا هراء وسخافة، لا يقبله ذو عقل سليم[٢].

محاربة أهل البيت حرب لرسول اللهﷺ

عن أبي هريرة قال: نظر النبيﷺ إلى الحسن والحسين وفاطمة عليهم من الله السلام والرضوان، فقال: «أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم»[٣].

---

١. لاشكّ أنّ نفي زواج عمر من بنت أمير المؤمنين عليه السلام لا يلزم منه التفرقة بين الخلفاء بعضهم بعضاً، فليست القربة والتقارب بينهم موقوفاً على هذا الزواج حتّى إذا انتفى انتفت وحصل التباعد والعداوة.

٢. لكنّ ردّت هذه المصاهرة، وقد تقدّم، فإنّ روايات المصاهرة لم يروها غير المدلّس والمشهور بالكذب ومن اختلط في عقله، وقد صرّحت بذلك كتب أهل السنّة ما تقدّم.

٣. والموجود في كتب الحديث هو كما يلي:
عن أبي هريرة قال: «نظر النبيﷺ إلى عليّ والحسن والحسين وفاطمة فقال: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم». انظر: مسند أحمد ٢:٤٤٢، مستدرك الحاكم ٣:١٦٣ وقال: «من حديث أحمد عن أبي هريرة»، مجمع الزوائد ٩:٢٦٨ عن أبي هريرة وقال: «رواه أحمد والطبراني»، المعجم الكبير ٣:٤٠، تاريخ بغداد ٧:١٣٧، كنز العمال ١٢:٩٧ برقم ٣٤١٦٤، ينابيع المودّة ٢:٣٢٥، أمالي المحاملي: ٤٤٦، سير أعلام النبلاء ٢:١٢٢ و٣:٢٥٨.
وبنفس اللفظ عن زيد بن أرقم، في مستدرك الحاكم ٣:١٦٣، وتاريخ دمشق ١٤:١٥٧، وكنز العمال ١٢:٩٧ برقم ٣٤١٥٩ ورقم ٣٧٦١٨.
وفي أُسد الغابة ٣:٧ رواه بنفس اللفظ عن صبيح، ومرقاة المفاتيح ١٠:٥٣٢ وقال: «رواه الترمذي».

وقوله: أنا حرب... إلى آخره، معناه ـ كما قال العلماء ـ: أنا عدوّ مبغض ومحارب لمن أبغضكم وحاربكم.

وسِلْم بكسر السين وفتحها أي: مسالم ومصالح ومحبّ لمن سالمكم وصالحكم وأحبّكم وأكرمكم.

فالذين حاربوا أهل البيت رضي الله تعالىٰ عنهم وقاتلوهم، وسفكوا دماءهم، وأسروا ذراريهم الكرام، وانتهكوا محارمهم الطاهرات، ولعنوهم وسبُّوهم على المنابر وفي المناسبات، هم أعداء لرسول الله ﷺ، محاربون ومبغضون له، وسوف يحكم الله عزّ وجلّ فيهم بحكمه العادل في الآخرة، كما حكم فيهم في الدنيا كما هو معروف.

وقد أجمع علماء السنّة، وأكابر أئمّة الأُمّة علىٰ فضلهم وذمّ محاربيهم كما نقل ذلك العلّامة علي القاري في شرح المشكاة[1].

مبغض أهل البيت من أهل النار وأنّه لا إيمان له

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «لا يبغضنا أهل البيت أحد إلّا أدخله الله النار»[2].

وفي الحديث وعيد شديد، وتهديد أكيد لمن يبغض آل البيت الأطهار، فمن

---

١. شرح المشكاة ١٠: ٥٣٢.

٢. نصّ الحديث: «والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلّا أدخله الله النار» صحيح ابن حبّان ١٥: ٤٣٥، مستدرك الحاكم ٣: ١٦٢ بلفظ: «إلّا أكبّه الله في النار» وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرّجاه، و ٤: ٣٩٢، مجمع الزوائد ٧: ٥٨٠ وقال: «رواه البزّار»، سبل الهدىٰ ١٠: ٤٩٠ و ١١: ٨ قال: «رواه الحاكم وابن حبّان وصحّحاه»، سير أعلام النبلاء ٢: ١٢٣، كنز العمّال ١٢: ١٠٤ رقم ٣٤٢٠٤ وفي ١٥: ٣٤ رقم ٣٩٩٥٥ بلفظ: «إلّا أكبّه الله»، نظم درر السمطين: ١٠٦، ينابيع المودّة ٢: ٤٦١.

أضمر لهم العداوة وحقد عليهم... كان ممّن يشملهم عذاب الله يوم القيامة بنصّ هذا الحديث إن لم يتب.

ويشهد له حديث: «لو أنّ رجلاً صفن بين الركن والمقام، فصلّىٰ وصام، ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد ﷺ دخل النار»[١].

بل بغضهم يتنافىٰ مع الايمان بالله وبرسوله ﷺ، وبما جاء به، فقد قال ﷺ: «والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يُحبَّهم لله ولقرابتهم منّي»[٢].

فهم والنبي ﷺ على السواء في محبّتنا لهم، فمن أبغض أهل البيت فقد أبغض النبي ﷺ؛ لأنّه واحد من أهل بيته. فمحبّتهم واجبة، وإكرامهم واحترامهم فرض، واحتقارهم والإساءة إليهم من أكابر الذنوب، والعفو عنهم والصفح عمّا فعلوا فضيلة مشكورة... كلّ ذلك يفعل بهم احتراماً لجدّهم وإعظاماً له ﷺ.

قال القاضي عياض في الشفاء: ومن توقيره ﷺ وبرّه برّ آله وذرّيته، وأُمّهات المؤمنين أزواجه ﷺ، كما حضّ عليه ﷺ وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم، إلىٰ آخر ما قال[٣].

تنبيه: الوعيد الوارد في حديث الباب وارد في من أبغضهم لذواتهم، أمّا من أبغضهم لعارض معصية، وتجاهر بفسق مثلاً، أو لأُمور شخصية دنيوية، فهذا خارج

---

١. مستدرك الحاكم ٣:١٦١ وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرّجاه»، ووافقه الذهبي، المعجم الكبير ١١:١٤٢، سبل الهدى ١١:٥ وقد أخرجه بطريقين: الأول عن ابن عباس، والثاني عن أنس، ينابيع المودّة ٢:٣٧٦ عن ابن عباس وقال: «صحّحه الحاكم».
وصفن: أي جمع بين قدميه.

٢. سنن ابن ماجة ١:٥٠، مسند أحمد ١:٢٠٧، سبل الهدى ١١:٣، ينابيع المودّة ٢:٢٣١ وقال: «رواه صاحب الفردوس»، تاريخ دمشق ٢٦:٣٠٢، كنز العمّال ١٢:١٠٣ رقم ٣٤١٩٣ و١٣:٦٤٢ رقم ٣٧٦٢٤.

٣. الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢:٤٧.

عن الوعيد بالاتّفاق، انظر فيض القدير للمناوي[١].

المهدي من أهل البيت

ومن مناقب أهل البيت وفضائلهم العظيمة: أنَّ الله عز وجل اختصّهم بقيام خليفة راشد من نسلهم، يخرج آخر الزمان، وقت تغرّب الدين واضمحلال معالمه، وامتلاء الأرض ظلماً وجوراً، فيملأها قسطاً وعدلاً.

عن علي عليه السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المهديّ منّا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة»[٢].

والحديث صحيح، له شواهد كثيرة، من أصحّها وأمثلها حديث أُمّ سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المهديّ من عترتي، من ولد فاطمة»[٣].

ومنها حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تذهب الدنـيا حـتّى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي»[٤].

---

١. لم نعثر على كلام المناوي في فيض القدير.

٢. مسند أحمد ١: ٨٤، مصنّف ابن أبي شيبة ٨: ٦٧٨، الجامع الصغير ٢: ٩٧٧، فيض القدير ٦: ٢٧٨، ينابيع المودّة ٢: ٨٢ و٣: ٢٦٢.

٣. سنن أبي داود ٢: ٦٤٦، الجامع الصغير ٢: ٩٧٧، فيض القدير ٦: ٢٧٧، عون المعبود ١١: ٢٥١، تحفة الأحوذي ٦: ٤٨٦ وقال: «أخرجه أبو داود وابن ماجة» كنز العمّال ١٤: ٢٦٤ رقم ٣٨٦٦٢، ينابيع المودّة ٢: ١٠٣ وقال: «لأبي داود وابن ماجة والحاكم عن أُمّ سلمة» و٣: ٢٥٦ أخرجه من أحاديث مشكاة المصابيح، الدرّ المنثور ٧: ٤٨٤ وقال: «أخرجه أبو داود وابن ماجة والطبراني والحاكم عن أُمّ سلمة».

٤. الجامع الصحيح للترمذي ٤: ٥٠٥ وقال: «هذا حديث حسن صحيح عن علي وأبي سعيد وأُمّ سلمة وأبي هريرة»، مسند أحمد ١: ٣٧٧، سبل الهدى ١٠: ١٧٢ وقال: «رواه أحمد وأبو داود ←

وفي رواية لأبي داود: «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتّىٰ يبعث فيه رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[١]، ومثله عن علي مختصراً[٢].

← والطبراني في الكبير والترمذي وقال: حسن صحيح»، المعجم الكبير ١٠:١٣٥ و١٣٦، ينابيع المودّة ٣:٢٥٦ و٢٦٢ و٢٦٨ و٣٨٩، تاريخ ابن خلدون ١:٣١٢.

١. سنن أبي داود ٢:٦٤٧، المعجم الكبير ١٠:١٣٥ رقم ١٠٢٢٢، الجامع الصغير ٢:٨١٨، تحفة الأحوذي ٦:٤٨٧.

٢. مسند أحمد ١:٩٩ عن عليّ‌ؑ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم لبعث الله عزّ وجلّ رجلاً منّا يملأها عدلاً كما ملئت جوراً».

وأمّا الزيادة الواردة في الحديث وهي: «واسم أبيه اسم أبي» فالجواب عنها بما يلي:

أولاً: ذكر ابن طلحة الشافعي في كتابه مطالب السؤول: أنّ «أبي» تصحيف «ابني»، والأصل: هو واسم أبيه اسم ابني. والمراد به الحسين ؑ، فإنّ المهديّ من ولد الحسين. واستدلّ بعدّة أدلّة أُخرى على أنّ المهدي هو محمد بن الحسن العسكري. هذا ونصّ على التصحيف الكنجي الشافعي في الكفاية: ٤٨٣.

ثانياً: أنّ الزيادة وردت في حديث زائدة، وقد روي أنّه كان يزيد في الأحاديث، فوجب أنّ هذه الزيادة منه، جمعاً بين الأقوال والأحاديث. راجع البيان للكنجي الشافعي: ٥١٢ المطبوع مع كفاية الطالب.

ثالثاً: إجماع أهل البيت ؑ على أنّ اسم الإمام المهديّ هو محمد بن الحسن العسكري ابن علي... وإجماع أهل البيت حجّة، بل كلّ اتّفاق لم يدخل فيه أهل البيت فلا عبرة فيه، قال السرخسي في المبسوط ١٠:١٠: «والإجماع بدون أهل البيت لا ينعقد»، فالاتّفاق على الزيادة باطل، والزيادة باطلة أيضاً، لمخالفة أهل البيت ؑ لذلك.

رابعاً: نصّ المحدّث العلّامة الكنجي الشافعي على أنّ الزيادة غير موجودة في الحديث، قال في كفاية الطالب: ٤٨٢: «قد ذكر الترمذي الحديث ولم يذكر (اسم أبيه اسم أبي) وذكر أبو داود في معظم روايات الحفّاظ الثقات من نقلة الأخبار (اسمه اسمي) فقط، والذي روي (واسم أبيه اسم أبي) فهو زيادة» انتهى، ونقله الحنفي في ينابيع المودّة ٣:٢٩٠ و٣٩٤. لكنّ الموجود في الأصل ←

بل قد جاء في الفتن من صحيح مسلم، عن جابر بن عبدالله ﷺ، قال:
قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر أُمتي خليفة يحثي المال حثياً ولا يعدّه عدّاً»[١]
فهذا الخليفة المبهم هنا هو المهدي المبيّن في الأحاديث الأُخرىٰ.

والمقصود: أنّ أحاديث المهدي وأنّه من أهل البيت صحيحة، بل قد نصّ على تواترها جمع من العلماء كما نقله القرطبي والحافظ ابن حجر عن الحافظ أبي الحسين الآبري، ونصّ عليه الحافظان السيوطي والسخاوي والزرقاني في «شرح المواهب» وابن حجر الهيتمي في «الصواعق المحرقة»، وألّف في تواترها الإمام محمد بن علي الشوكاني كتاباً خاصاً، وكذلك نصّ على تواترها القنوجي في «الإذاعة»، وألّف فيها جماعة منهم السيوطي، له «العرف الورديّ» والحافظ السيد أحمد بن الصدّيق، له «إبراز الوهم المكنون»[٢] أورد فيه نحواً من مائة حديث،

← هو «... والذي روى (واسم أبيه اسم أبي) فهو زائدة، وهو يزيد في الحديث» وقال: ذكر الترمذي الحديث ولم يذكر فيه (واسم ابيه اسم ابي).

خامساً: إنّ هذا الحديث روي في أكثر الكتب، وفي كثير من الطرق من دون هذه الزيادة، منها: صحيح ابن حبّان ١٣: ٢٨٤ و١٥: ٢٣٨، المحدّث الفاصل: ٣٢٩، الجامع الصحيح للترمذي ٥: ٥٠٥، المعجم الصغير: ٢: ١٤٨، المعجم الأوسط ٧: ٤٢٥ و٩: ١٥٠، المعجم الكبير ١٠: ١٣٣ رقم ١٠٢١٤ و١٠٢١٥ و١٠٢١٧ و١٠: ١٣٤ و١٣٥ و١٣٦ و١٣٧ بأكثر من عشرة طرق، كشف الخفاء ٢: ٢٥٧، كنز العمّال ١٤: ٢٦٣ و٢٦٤ و٢٧٠ و٢٧٣ بطرق عدّة، وكفاية الطالب: ٤٨٣، مشكاة المصابيح ٣: ١٧٠، ينابيع المودّة ٣: ٢٥٦ و٢٦٢ و٢٦٨ و٣٨٥ بعدّة طرق، ونقل في ٣: ٣٩٠ و٣٩٤ نصّ كلام الكنجي الشافعي حول الزيادة.

١. صحيح ابن حبّان ١٥: ٧٥، الديباج على صحيح مسلم ٦: ٢٣٣، كنز العمّال ١٤: ٢٦٣ رقم ٣٨٦٥٩، وقريب منه ١٤: ٢٦٦ و٥٧٢.

٢. كتاب «ابراز الوهم المكنون في كلام ابن خلدون» للعلّامة المحدّث أحمد بن الصدّيق المغربي ردٌ فيه على تشكيك ابن خلدون في أحاديث المهدي، وذكر فيه جملة وافية من آراء أئمة ←

ولشقيقه السيد عبدالله كتاب في ذلك أيضاً[1]، جزاهم الله خيراً ورحمهم جميعاً رحمة واسعة[2].

وفيها جميعها مفخرة عظيمة لأهل البيت، وبالأخصّ مولاتنا فاطمة وسيدنا عليﷺ، حيث سيخرج من صلبهما ونسلهما هذا الخليفة الراشد، فيقوم هو الآخر بدوره فيرفع الظلم من الأرض، ويملأها عدالة وقسطاً، ويقضي على ما ذاع وشاع من المذاهب الهدّامة، والفرق المنحرفة الضالّة، ويكسر شوكة الاستبداديّين والطغاة الجبريّين، ويبدّد شمل الكافرين، ويطيح بجبروت وأنانيّة أمريكا وحلفائها الغاصبين الغادرين الماكرين، فهذا هو المهديّ المنتظر الذي ستكون خلافته على نهج النبوة، وفي آخر أيامه يخرج الدجّال، ثم ينزل عيسىﷺ فيقتله.

بيد أنّ المهدي غير ما تزعمه الشيعة، من اختفاء محمد العسكري في السرداب المشهور عندهم، مع تلك الخرافات التي يتوارثونها فيما بينهم، وأنّه سيخرج ويحيي

← الحديث في صحّة أحاديث المهدي وتواترها، ثم فنّد مناقشات وتشكيكات ابن خلدون، وذكر فيه أكثر من مائة حديث حول المهدي ﷺ، ويعتبر كتاب ابن الصدّيق الغماري من أغنى البحوث العقائدية عند السنّة في عقيدة المهدي المنتظر.

١. نقل جميع ذلك العلّامة الكتّانيّ في «نظم المتناثر في الحديث المتواتر: ٢٣٦» تحت عنوان: (خروج المهدي الموعود المنتظر الفاطمي)، ونقل تواتر أحاديث المهدي عن السخاوي وأبي العلاء العراقي وصاحب المواهب وأبي الحسين الآبري والشوكاني وابن حجر، وذكر أنّها واردة عن جماعة كثيرة من الصحابة، ومذكورة في الصحاح والمسانيد والمعاجم، وذكر أنّ كون المهديّ من ذرّيتهﷺ قد تواتر عنهﷺ، ثم نقل كلام السفاربني الحنبلي من أنّها بلغت حدّ التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنّة حتّى عُدّ من معتقداتهم.

وقد ذكر بعضاً من ذلك العلّامة العجلوني في كشف الخفاء ٢:٢٥٧ رقم ٢٦٦٠.

٢. في النسخة زيادة في هامش من المصنّف ولفظها: ومع كلّ هذا فقد أنكرها كثير من الناس، إمّا لجهلهم بالحديث النبوي الشريف، وإمّا لمصالح سياسية، وإمّا لاتّهامهم بها الشيعة، وكلّ ذلك تأباه القواعد العلمية والنصوص الشرعية. انتهى

الله له الأعداء ـ يعنون أبا بكر وعمر وعثمان وغيرهم ـ فيحكم فيهم بعدله، إلى آخر خرافاتهم الموجودة في كتبهم[١].

---

١. لا أعتقد أنّ كتاباً واحداً من كتب الشيعة حول الإمام المهدي عليه السلام، يدّعي ويقول: إنّ المهدي غاب واختفى في السرداب.

وأمّا قوله: إنّ المهدي غير ما تزعمه الشيعة. فهو كلام غير صحيح، فإنّ ما تذهب إليه الإمامية هو أنّ المهدي من ذرّية النبي صلى الله عليه وآله، ومن ولد فاطمة عليها السلام، وأنّه هو الإمام الثاني عشر من الأئمة المعصومين الذين بشّر بهم النبي صلى الله عليه وآله بقوله: «وآخرهم المهدي»، وأنّه ابن الإمام الحسن العسكري، وأنّه ولد في سنة ٢٥٥ للهجرة بسامرّاء، وقد أمدّ الله في عمره كما أمدّ في عمر الخضر عليه السلام، وهو حي غائب مستور، يظهر عندما يأذن الله له في الظهور، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

هذه هي عقيدة الشيعة الاماميّة في الإمام المهدي عليه السلام، وقد وافقنا على ذلك العشرات من علماء أهل السنّة وأكابرهم، وقد صرّحوا بولادة الإمام المهدي في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ للهجرة، وأنّه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وأنّ ولادته عليه السلام من المسلّمات التاريخية التي لا مجال للتشكيك فيها، وإليك بعض منهم:

١ ـ محمد بن طلحة الشافعي في كتابه «مطالب السؤول في مناقب آل الرسول»: ٣١١ ومابعدها قال في الباب الثاني عشر: «... أبي القاسم محمد بن الحسن المهدي المنتظر... فأمّا مولده فبسرّ من رأى، وقال أيضاً: هو ابن أبي محمد الحسن العسكري ومولده بسامرّاء...» إلى آخر كلامه.

٢ ـ محمد بن يوسف الكنجي الشافعي في كتابه «البيان في أخبار صاحب الزمان»: ٥٢١ قال: «إنّ المهدي ولد الحسن العسكري، وهو حيّ موجود منذ غيبته إلى الآن».

٣ ـ محمد بن أحمد المالكي المعروف بابن الصبّاغ قال في كتابه «الفصول المهمّة»: ٢٨٢ في الباب الثاني عشر قال: «ولد أبو القاسم محمد الحجّة ابن الحسن الخالص بسرّ من رأى في النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين للهجرة...» إلى آخر كلامه.

٤ ـ أحمد بن حجر في كتابه «الصواعق المحرقة» ٢: ٦٠١ عند ذكره للإمام الحسن العسكري، قال: «ولم يخلّف غير ولده أبي القاسم محمد الحجّة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، آتاه الله الحكمة...» إلى آخر كلامه.

٥ ـ الشبراوي الشافعي في كتابه «الإتحاف بحبّ الأشراف»: ١٧٩ قال: «الحادي عشر من

←

← الأئمة: الحسن الخالص ويلقّب بالعسكري، ويكفيه شرفاً أنّ الإمام المهدي المنتظر من أولاده...» ثم قال: «ولد الإمام محمد الحجّة ابن الإمام الحسن الخالص بسرّ من رأى ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٥...» إلى آخر كلامه.

٦ ـ سبط ابن الجوزي الحنفي في كتابه «تذكرة الخواصّ»: ٣٦٣ قال: «وأولاده ـ أي أولاد الإمام الحسن العسكري ـ محمد».

٧ - عبدالوهاب الشعراني في كتابه «اليواقيت والجواهر» ذكر أشراط الساعة فقال: «كخروج المهدي»، ثم قال: «وهو من أولاد الإمام الحسن العسكري، ومولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، وهو باقٍ إلى أن يجتمع بعيسى بن مريم...» إلى آخر كلامه. راجع نور الأبصار: ١٨٧، وينابيع المودّة: ٣٤٥.

٨ ـ عبدالله بن محمد الشافعي في كتابه «الرياض الزاهرة»: ٢٢٧:٢ بعد ذكر الأئمة والإمام العسكري قال: «ابنه الإمام الثاني عشر اسمه محمد القائم المهدي...» إلى آخر كلامه.

٩ ـ الحافظ محمد بن محمد الحنفي النقشبندي في كتابه «فصل الخطاب»: ٤٤١ قال: «وأبو محمد الحسن العسكري ولده محمد معلوم عند خاصّة أصحابه»، ثم ذكر ولادته في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ للهجرة.

١٠ ـ ابن خلّكان في كتابه «وفيات الأعيان» ١٧٦:٤ قال: «كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين».

١١ ـ العلّامة الشبلنجي الشافعي في كتابه «نور الأبصار»: ١٨٦ قال: «وفاة أبي محمد الحسن بن علي يوم الجمعة سنة ٢٦٠ للهجرة وخلّف من الولد محمد...» إلى آخر كلامه.

١٢ ـ سليمان القندوزي الحنفي في كتابه «ينابيع المودّة»: ٣٠١ـ٣٠٦ ذكر ولادة الإمام المهدي، قال: «ولادة القائم كانت ليلة الخامس عشر من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين في بلدة سامرّاء».

١٣ ـ ابن الخشّاب في كتابه «تواريخ مواليد الأئمّة»: ٤٤ قال: «الخلف الصالح من ولد أبي محمد الحسن بن علي، وهو صاحب الزمان وهو المهديّ».

١٤ ـ عبدالحقّ الدهلوي في رسالته في «أحوال الأئمة»: ٤٢٧ قال: «وأبو محمد الحسن العسكري ولده محمد معلوم عند خواصّ أصحابه وثقاته...» ثم قال: «وهو صاحب الزمان».

←

مشروعيّة الصلاة على أهل البيت عليهم السلام

ومن شرف أهل البيت وفضلهم أنّ الله عز وجل اختصّهم بالصلاة عليهم مع جدّهم صلى الله عليه وآله. فعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنّهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلّي عليك؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قولوا: «اللّهم صلِّ على محمد وأزواجه وذرّيته كما صلّيت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذرّيته كما باركت على آل إبراهيم، إنّك حميد مجيد»[1].

← ١٥ ـ العلّامة محمد أمين البغدادي في كتابه «سبائك الذهب»: ٤٢٤ قال: «محمد المهدي.... وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين...» إلى آخر كلامه.

١٦ ـ العلّامة السيد سراج الدين الرفاعي في كتابه «صحاح الأخبار»: ٤٢١ قال: «أمّا الإمام الحسن العسكري فأعقب صاحب الزمان صاحب السرداب الحجّة المنتظر وليّ الله الإمام المهدي».

١٧ ـ العلّامة بهجت أفندي في كتابه «المحاكمات»: ٤٢٢ «قال: في ذكر ولادة الإمام المهدي: ولد في الخامس عشر من شعبان سنة ٢٥٥ للهجرة، وإنّ اسم أمّه نرجس...» إلى آخر كلامه.

١٨ ـ المؤرّخ العلّامة ابن الوردي في «تاريخه» قال: «ولد محمد بن الحسن الخالص سنة خمس وخمسين ومائتين». راجع منتخب الأثر: ٤٢٣.

ومن أراد المزيد من الأقوال. فليراجع كتاب «المهدي الموعود» للعلّامة نجم الدين العسكري رحمه الله، والعلّامة الشيخ لطف الله الصافي في كتابه «منتخب الأثر» فقد ذكرا أكثر من خمسين عالماً من علماء السنّة، ممّن نصّ على ولادة الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري، وأنّه حيّ غائب مستور.

١. صحيح البخاري ٣:١٢٣٢، صحيح مسلم ١:٣٠٦، مسند أحمد ٥: ٤٢٤.

وبذكر أنّ لفظ «الأزواج» لم يرد إلّا في رواية أبي حميد الساعدي، لكن المرويّ عن أبي هريرة وابن مسعود وعقبة وطلحة وكعب، أنّهم سألوه كيف نصلّي عليك؟ قال: قولوا: «اللّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت

←

وعن كعب بن عجرة ﷺ قال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإنّ الله قد علّمنا كيف نسلِّم.

قال: قولوا: «اللّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد، اللّهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد»[١].

وفي الباب أحاديث كثيرة فيها الصحيح والحسن والضعيف، وقد ألّف فيها كتاباً حافلاً الحافظ السخاوي أسماه: «القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع»، وقبله الحافظ ابن القيِّم في كتابه القيِّم «جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام»، ومن تتبّع ألفاظ الصلاة وجدها كلّها مشفوعة بالصلاة على أهل البيت[٢] مع النبي ﷺ إلّا ما قلّ.

← على إبراهيم» راجع: صحيح البخاري ٣:١٢٣٣ و ٥:٢٣٣٨ عن كعب و ٢٣٣٩ عن أبي سعيد، صحيح مسلم ١:٣٠٥، المصنَّف لابن أبي شيبة ٢:٣٩١، المعجم الكبير ١٧:٢٥٢ و ١٩:١٢٥ و ١٥٥، الآحاد والمثاني ٤:٥٦، السنن الكبرى للنسائي ١:٣٨٣ و ٦:١٧ و ٩٨، مجمع الزوائد ٢:٣٤٠ وقال: «رواه البزّار، ورجاله رجال الصحيح» وغيرها كثير.

١. صحيح البخاري ٣:١٢٣٣ و ٥:٢٣٣٨ و ٢٣٣٩ عن أبي سعيد مثله، مستدرك الحاكم ٣:١٦٠، المعجم الأوسط ٣:٢٨٠، المعجم الكبير ١٩:١٣٠.

٢. هنا زيادة في النسخة هامش من المصنِّف ولفظها: ونرى من الخطأ ما يفعله عامّة أهل العلم في كتبهم وفي دروسهم من الاقتصار على الصلاة على النبي ﷺ دون أهله، فيقولون مثلاً: صلى الله عليه وسلم، وهو مخالف لما جاء عن النبي ﷺ، فليكن المسلم من ذلك على بال. انتهى.

وقد روى ابن حجر في الصواعق المحرقة ٢:٤٣٠ عن النبي ﷺ أنّه قال: «لا تصلّوا عليَّ الصلاة البتراء، فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون: اللّهم صلِّ على محمد، وتمسكون، بل قولوا: اللهمّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد»

وروى الصالحي الدمشقي في سبل الهدى (١١:١١) عن ابن مسعود قال: «لو صلّيت صلاة لا أصلّي فيها على آل محمد ما رأيت أنّ صلاتي تتمّ».

ونقل عن الدارقطني والبيهقي وغيرهما عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «من صلّى صلاةً لم يصلِّ فيها عليَّ وعلى أهل بيتي لم تقبل منه» (سبل الهدى ١١:١٠).

وفي ذلك من عظيم الفضل والإكرام لهم ما يفوق الحصر، حيث إنّ الله عزّ وجلّ جعل الصلاة عليهم مقرونة بالصلاة على حبيبه ورسوله ﷺ، فليس من مصلٍّ يصلّي على هذا النبي العظيم إلّا كان عليه أن يشركهم في ذلك معه، ولأجل هذا الشرف العظيم والإفضال والتكريم قال الإمام الشافعي فيهم:

يا أهل بيت رسول الله حبُّكم ... من الله في القرآن أنزله

يكفيكم من عظيم المجد أنّكم ... من لم يصلِّ عليكم فلا صلاة له[١]

ونفى صحّة صلاة من لم يصلِّ عليهم[٢]؛ لأنّه كان يرى وجوب الصلاة على النبي ﷺ في كلّ صلاة، كما وافقه على ذلك جماعة من أهل العلم[٣].

والمقصود: أنّ الله اختصّهم وأزواج النبي ﷺ من بين سائر الناس بالصلاة عليهم مع حبيبه ﷺ، وهو شرف لم ينله أحد من هذه الأُمّة، وحسبهم بذلك شرفاً ومجداً وفخراً!

---

١. الصحيح في الأبيات الشعريّة هو:

يا أهل بيت رسول الله حبُّكمُ ... فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكمُ من عظيم القدر أنّكم ... من لم يصلِّ عليكم لا صلاة لهُ

كما نقله سبل الهدى ١١:١١، ونظم درر السمطين: ١٨، وينابيع المودة ٣:١٠٢.

٢. وسمّاها النبي ﷺ بالصلاة البتراء، كما تقدّم رواية ذلك عن ابن حجر في الصواعق.

٣. قال ابن قدامة في شرح الكبير (١:٥٧٩): «وفي وجوب الصلاة على النبي ﷺ روايتان أصحّهما وجوبها، وهو قول الشافعي».

وقال الشربيني في الإقناع ١:٨ وفي مغني المحتاج ١:٧: «واختلف في وقت وجوب الصلاة على النبي ﷺ على أقوال: أحدها: كلّ صلاة، واختاره الشافعي في التشهّد الأخير منها، والثانية: في العمر مرّة، والثالث: كلّما ذُكر، واختاره الحليمي من الشافعيّة، والطحاوي من الحنفية، واللخمي من المالكية، وابن بطّة من الحنابلة، والرابع: في كلّ مجلس، والخامس: في أول كلّ دعاء وفي وسطه وفي آخره».

ونقل النووي في شرح مسلم: أنّ أحمد والشافعي قالا بوجوبها، ولو تركت لم تصحّ الصلاة (شرح مسلم للنووي ٤:٣٤٤).

أمّا الكلام على الصلاة على النبيﷺ وما يتعلّق بأحكامها وفروع ذلك، فقد استوفاه الحافظ السخاوي وابن القيّم في كتابيهما المشار إليهما قبل، فلا نطيل بإيراده هنا؛ لأنّ ذلك ليس من شرط هذه الرسالة.

من فضائل أهل البيت إكرامهم بتحريم أخذ الصدقة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

أخذ الحسن بن علي رضي الله تعالىٰ عنهما تمرةً من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبيﷺ: «كخ كخ إرم بها، أما علمت أنّا لا نأكل الصدقة» [1]، وفي رواية «أنّا لا تحلّ لنا الصدقة» [2].

وهذا أيضاً من شرف أهل البيت تبعاً لشرف نبيناﷺ وسموّ مقامه، فكما حرّم الله عليه أخذ الصدقة لما فيها من الذلّة والمهانة، كذلك جعلت محرّمة علىٰ آله الأطهار، لأنّها قذرة المعنى، وسخة يطهّر الله بها أموال المتصدّقين ونفوسهم.

كما جاء في حديث آخر عنهﷺ أنّه قال: «إنّ هذه الصدقات إنّما هي أوساخ الناس، وإنّها لا تحلّ لمحمد ولا لآل محمدﷺ» [3]

فيؤخذ من هذه الرواية العلّة في تحريمها عليهﷺ وعلىٰ أهل بيته، وهي كونها أوساخ الناس وغسالتهم، وهم منزّهون عن الأقذار والأوساخ الحسّية والمعنوية فلا

---

١. صحيح البخاري ٢:٥٤٢، صحيح مسلم ٢:٧٥١. وقال السيوطي في الديباج ٣:١٧٠: «كخ كخ أعجمية معرّبة، معناها: اتركه أو إرم به».

٢. مصنّف ابن أبي شيبة ٣:١٠٣ و٨:٤٣١، صحيح ابن حبّان ٨:٨٩، كنز العمال ٦:٦٠٩ رقم ١٧٠٨٩.

٣. صحيح مسلم ٣:١١٩، مسند أحمد ٤:١٦٦، المعجم الكبير ٥:٥٥، كنز العمال ٦:٤٥٤ رقم ١٦٥٠٧، و٦:٤٥٧ رقم ١٦٥٢٣.

تليق بهم لشرفهم وكرامتهم على الله تعالىٰ، بل هذا التحريم تسرَّب حتّىٰ لمن ينتسب إليهم من الموالي.

فعن أبي رافع مولىٰ رسول الله ﷺ:

أنّ رجلاً من بني مخزوم بعث على الصدقة فقال له: اصحبني كيما تصيب منها، قال: لا حتّى آتي رسول الله ﷺ فأسأله، وانطلق فسأله فقال: «إنَّ الصدقة لا تحلّ لنا، وإنّ موالي القوم من أنفسهم»[1].

ثم إنّ العلماء رحمهم الله تعالىٰ اختلفوا: هل يجوز لأهل البيت أخذ هذه الصدقة إذا منعوا من خمس ذوي القربى المقرَّر لهم في بيت المال، كما هو حالهم منذ عصور أم لا؟

فأجازها لهم المالكية وجماعة من الشافعية وغيرهم[2]، وجعلوا ذلك من الضرورات التي تبيح المحظورات، لأنّهم إذا منعوا حقّهم من بيت المال، ومنعوا من الزكاة أدّى ذلك بهم إلى الضياع، كما هو حال أكثر آل البيت الآن في جميع الأقطار الإسلامية، وذهب الجمهور إلى التحريم مطلقاً، وفي ذلك نظر.

---

١. الجامع الصحيح للترمذي ٢:٨٤ وقال: «حديث حسن صحيح» سنن أبي داود ١:٣٧٣، مسند أحمد ٦:١٠، المعجم الكبير ١:٣١٦، أمالي المحاملي: ٣٣٤، السنن الكبرى للبيهقي ٧:٣٢.

٢. المجموع ٦:٢٢٧، إعانة الطالبين ٢:٢٢٥. وراجع أيضاً سبل السلام ٢:١٤٧، ونيل الأوطار ٤:٢٤١.

الباب الثاني

في فضائل الإمام علي عليه السلام

في فضائل الإمام علي عليه السلام

هو علي بن أبي طالب الهاشمي المكّي المدني الكوفي، أمير المؤمنين، وقاتل الناكثين، والخوارج، والبغاة.

ابن عمّ الرسول صلى الله عليه وآله وأخوه، وصهره على ابنته الزهراء سيّدة نساء أهل الجنة، وأبو السبطين الحسن والحسين، وجدّ الأشراف والذرّية الطاهرة.

أول هاشمي ولد بين هاشميّين، وأول خليفة من بني هاشم.

وأحد العشرة المشهود لهم بالجنّة، وأحد البدريّين المغفور لهم، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عنهم راضٍ، وأحد السابقين إلى الإسلام، وأحد الخلفاء الراشدين المهديّين.

أولّ من أسلم من الأطفال[1]، ربّي في حجر النبي صلى الله عليه وآله وترعرع وشبّ في بيته صلى الله عليه وآله.

---

١. لم يرد قيد «من الأطفال» في أيٍّ من الروايات التي نقلها المؤرّخون والحفّاظ على كثرتها، وإليك بعضها:

١ ـ قال الحاكم النيسابوري: «ولا أعلم خلافاً بين أصحاب التواريخ أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام أولهم إسلاماً» (معرفة علوم الحديث: ٢٢).

٢ ـ وقال ابن عبدالبرّ في الاستيعاب: «المرويّ عن سلمان وأبي ذرّ والمقداد وخبّاب وأبي سعيد ←

← الخدري وزيد بن أسلم: أنّ علياً ﷺ أول من أسلم، وفضّله هؤلاء على غيره» (تهذيب الكمال ٢٠: ٤٨٠).

٣ ـ وقال ابن أبي الحديد: «إنّ أكثر أهل الحديث وأكثر المحقّقين من أهل السيرة رووا أنّه عليه السلام أول من أسلم» (شرح النهج ٤: ١١٦).

٤ ـ عقد ابن حجر في مجمع الزوائد ٩: ١٢٣ باباً بعنوان: إسلامه ﷺ أورد فيه روايات دلّت بصريح القول على أولية إسلامه على الناس، منها: أنّ النبي ﷺ قال لفاطمة: «لقد زوّجتك أقدمهم سلماً»، وفي رواية أخرى: «لأول أصحابي سلماً»، وفي أخرى: «إنّ هذا أوّل من آمن بي»، وفي أخرى: «والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب»، وروي عن سلمان قال: «أول هذه الأمّة وروداً على نبيّها أولها إسلاماً: علي بن أبي طالب» وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

٥ ـ ما ورد بعنوان: أول من أسلم من الرجال علي، كما في المعجم الكبير ١٩: ٢٩١ قال: «وأول من أسلم من الرجال عليٌّ» وسبل الهدىٰ للدمشقي ٢: ٣٠٢ رواه عن الزهري وابن إسحاق وقال: «أول من أسلم من الرجال»، ومثله في تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٣.

٦ ـ ما ورد بعنوان: أسلم عليٌّ قبل أبي بكر، كما في البداية والنهاية ٧: ٣٧٠ قال: «قال البخاري: قال علي: أنا الصدّيق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، وأسلمت قبل أن يسلم». وسبل الهدى ٢: ٣٠٢ قال: «وأسلم علي قبل أبي بكر». وتقدّم قول القرظي عن الجوهرة للبري.

٧ ـ ما ورد بعنوان: إنّ علياً أول من أسلم من الناس، في مسند أحمد ١: ٣٣١: «وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة». وفي السنن الكبرى للنسائي ٥: ١١٣: «أول من أسلم من الناس». ومجمع الزوائد ٩: ١٥٨: «أول من أسلم من الناس بعد خديجة».

٨ ـ ما ورد بعنوان: إنّ علياً أول من أسلم مع رسول الله ﷺ، في مسند أحمد ٤: ٣٦٨: «أول من أسلم مع رسول الله علي»، ومصنّف ابن أبي شيبة ٧: ٥٠٢، والآحاد والمثاني ٥: ٣٨٤.

٩ ـ ما ورد بعنوان: أول من آمن به ﷺ، في مجمع الزوائد ٩: ١٢٤ قال: «روى الطبراني والبزّار عن أبي ذر قال: قال ﷺ: أنت أول من آمن بي»، ومصنّف عبدالرزاق الصنعاني ٥: ٣٢٥.

١٠ ـ ما ورد بعنوان: أول من أسلم بعد خديجة، في مسند أحمد ١: ٣٣١، ومجمع الزوائد ٩: ١٥٨.

١١ ـ ما ورد بعنوان: قال علي ﷺ: «أنا أول من أسلم» في مسند أبي الجعد: ٨٧ عن حبّة العرني سمعت علياً ﷺ يقول: «أنا أول من أسلم». ومناقب الخوارزمي: ٥٧، والبداية والنهاية ٧: ٣٧٠، ←

أجمع أهل السير والتواريخ على أنّه شهد مع النبيﷺ كلّ مشاهده وغزواته إلّا تبوك، فإنّه استخلفه فيها على الأهل والذرّية، وكان له في جميع المشاهد آثار مشهورة، وأعطاه النبيﷺ اللواء في مواطن كثيرة، وراية المهاجرين كانت معه في سائر المشاهد، وأحواله في الشجاعة وآثاره في الحروب معلومة مشهورة.

ولد قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة، وولي الخلافة بعد مقتل عثمان باتّفاق من المهاجرين والأنصار، ثم قام بعض أكابر الصحابة يطلبون القبض على قتلة عثمان فتريَّث عليٌّ تحفّظاً من الفتنة.

فقام عليه طلحة والزبير وغيرهما فقاتلهم في وقعة الجمل، وقام ضدّه معاوية بالشام غير معتبر بيعته، فقاتله أيضاً هو الآخر، فكانت وقعة صفّين إلى أن وقع التحكيم، فنقم عليه ذلك بعض أصحابه فخرجوا عليه وكفّروه، فقاتلهم وكانت وقعة النهروان، ثم كانت نهايته أن قتله الشقيّ اللعين عبدالرحمان بن ملجم الخارجيّ عام أربعين من الهجرة، رضي الله عنه ونوّر ضريحه.

ومن غريب أمرهﷺ أنّه أنجب ثلاثة وثلاثين ولداً، أربعة عشر ذكراً، وتسع عشرة أُنثى، ولم ينسل منهم إلّا الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفيّة والعباس

← وأمالي المحاملي: ٢٢١، وينابيع المودّة ١:١٩٥.

١٢ ـ ما ورد بعنوان: أول المسلمين إسلاماً، في المعجم الكبير ٢٢:٤١٧، وسبل الهدى ١١:٢٩١، وكنز العمّال ١١:٦٠٥ قال رسول الله ﷺ لفاطمة: «زوّجتك أول المسلمين إسلاماً».

١٣ ـ ما ورد بعنوان: أول من أسلم علي، فضائل أحمد: ١٣، الآحاد والمثاني ١:١٤٨ عن زيد وابن عباس، السنن الكبرى للنسائي ٥:٤٤ و١٠٥، تاريخ دمشق ٤٢:٢٧، تهذيب الكمال ٥:٣٥٤ وقال: «حسن صحيح وقع لنا بدرجتين» وكذا ١٣:٤٤٩ و٢٠:٤٨٠، كنز العمال ١٣:١٤٤، سبل الهدى ١:٧٥ و٢:٣٠٠ عن ابن إسحاق، عيون الأثر ١:١٢٤، معرفة علوم الحديث للحاكم: ٢٢، أمالي المحاملي: ٢٢، مناقب الخوارزمي: ٥٧، ينابيع المودّة ١:١٩٠ و١٩١ و٢:١٤٥، شرح النهج ٤:١١٦، خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ٤٤ و٦٣، ومصادر أُخرى تركناها للاختصار.

وعمر، ومن أولاده: عثمان وأبوبكر. والذرّية الطاهرة من ولديه الحسن والحسين ابني فاطمة خاصّة.

عليٌّ أكثر الصحابة فضائل

وللإمام علي ـ كرَّم الله وجهه ـ من المناقب والفضائل الشيء الكثير، حتّىٰ قال الإمام أحمد وإسماعيل القاضي وأبو علي النيسابوري: لم يرد في حقّ أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر ما جاء في علي رضي الله تعالىٰ عنه[1].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح، وكان السبب في ذلك أنّه تأخَّر ووقع الاختلاف في زمانه، وخروج من خرج عليه، فكان ذلك سبباً لانتشار مناقبه من كثرة من كان بينهما من الصحابة ردّاً على من خالفه، فكان الناس طائفتين... ثم كان من أمر علي ما كان فتجمّعت طائفة أُخرى حاربوه، ثم اشتدّ الخطب فتنقّصوه، واتّخذوا لعنه على المنابر سُنَّةً ـ يعني بهم بغاة بني أُمية ومن شايعهم ـ ووافقهم الخوارج على بغضه، وزادوا حتّىٰ كفّروه مضموناً منهم إلى عثمان. فصار الناس في حقّ علي ثلاثة: أهل السنّة، والمبتدعة من الخوارج، والمحاربين له من بني أُمية وأتباعهم، فاحتاج أهل السنّة إلى بثّ فضائله، فكثر الناقل لذلك لكثرة من يخالف فيذلك... انتهى كلام الحافظ[2].

عليّ يحبّه الله ورسولُه ويحبُّ اللهَ ورسوله

ومن مناقبه العظيمة شهادة الرسول ﷺ له بأنّه يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، ويالها من شهادة عادلة، وصفة رائعة!

---

١. فتح الباري ٧: ٤٣٤، تحفة الأحوذي ١٠: ١٩٧، ينابيع المودّة ٢: ٢٧١ و٣٨٥، فيض القدير ٤: ٣٥٥ وأضاف: «وفي الطبراني عن جابر: مكتوب على باب الجنة: لا إله إلّا الله محمد رسول الله علي أخو رسول الله ﷺ، قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي سنة».

٢. فتح الباري ٧: ٤٣٤. وسيأتي مزيد كلام منّا على حروب الإمام علي ﷺ.

فعن سهل بن سعد: أنّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأُعطينّ الراية رجلاً يفتح الله على يديه، يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله».

قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيُّهم يعطاها، قال: فلمّا أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلّهم يرجون أن يعطاها، فقال ﷺ: «أين علي بن أبي طالب؟» فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: «فأرسلوا إليه» فأُتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له فبرأ حتّى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية.

فقال علي: «يا رسول الله، أُقاتلهم حتّى يكونوا مثلنا؟»

فقال: «أنفذ على رسلك حتّى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[1].

---

١. صحيح البخاري ٣:١٠٧٧ و١٠٩٦ و١٣٥٧ عن سهل و١٠٨٦ و١٥٤٢ عن سلمة، صحيح مسلم ٣:١٤٤٠ عن سهل و١٨٧٢ عن سلمة و١٨٧١ عن سعد، صحيح ابن حبّان ١٥:٣٧٧ و٣٨٢، المعجم الكبير ٦:١٥٢ عن سهل و٧:١٣ و٣٥ عن سلمة بن الأكوع و١٨:٢٣٧ عن عمران بن حصين، سنن ابن ماجة ١:٤٥ عن سعد، السنن الكبرى للنسائي ٥:٤٦ عن عمران وأبي هريرة و١٠٨ عن ابن أبي ليلى، مسند أبي يعلى ١:٢٩١ و١٣:٥٢٢ عن سهل، مسند أحمد ١:٩٩ عن ابن أبي ليلى، فضائل الصحابة: ١٦ عن سهل، السنن الكبرى للبيهقي ٩:١٠٧، نظم درر السمطين: ٩٨، السيرة النبوية لابن كثير ٣:٣٥١، البداية والنهاية ٤:٢١١ عن أبي هريرة وسهل وسلمة بن الأكوع و٧:٢٥١ عن جابر، وقال: «فتناول باب الحصن فترّس به وقتل مرحباً ثم إنّ علياً حمل باب الحصن على ظهره يوم خيبر حتّى صعد المسلمون عليه». كنز العمال ١٣:١٢٢ عن عمر بن الخطاب و١٠:٤٦٨ عن أبي هريرة، مجمع الزوائد عقد باباً بعنوان: قوله ﷺ: «لأُعطينّ رجلاً يحبّه الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله» (٩:١٢٣) وروي أنّ النبي ﷺ دعا أبا بكر فعقد له لواءً ثم بعثه فسار بالناس فانهزم حتى إذا بلغ ورجع، فدعا عمر فعقد له لواءً فسار ثم رجع منهزماً بالناس، فقال رسول الله ﷺ: «لأُعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله

←

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال:

بعث النبي ﷺ جيشين وأمَّر على أحدهما علي بن أبي طالب وعلى الآخر خالد ابن الوليد، وقال: إذا كان القتال فعلي. قال: فافتتح عليٌّ حصناً فأخذ منه جاريةً فكتب معي خالد كتاباً إلى النبي ﷺ يشي به، قال: فقدمت على النبي ﷺ فقرأ الكتاب فتغيَّر لونه ثم قال: «ماترى في رجل يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله؟» قال: قلت: أعوذ بالله من غضب الله ومن غضب رسول الله ﷺ وإنّما أنا رسول، فسكت.

وفي الحديثين فضيلة للإمام علي وخصيصة له رضي الله تعالىٰ عنه، حيث شهد له النبي ﷺ بمقام المحبوبية وهو مقام خاصّ لا يناله إلّا أكابر الرجال، ولم توجد هذه الشهادة الخاصة بهذا الوصف لغيره رضي الله تعالىٰ عنه وإن كان كلّ المؤمنين لهم نصيب من ذلك، لكنّه امتاز عنهم بالتنصيص وشهادة أشرف الخلق له، وسيأتي مزيد لهذا في حديث سعد الآتي.

حبُّ عليٍّ إيمان وبغضه نفاق

ومن مناقبه رضي الله تعالىٰ عنه أنّ الله عز وجل جعل علامة إيمان الرجل حبَّه وآية نفاقه بغضه. وهذا وإن كان يجري ويطّرد في سائر الصحابة فإنّ للتنصيص فيه على عليٍّ مع الأنصار مزيّة وفضيلة خاصّة.

فعن علي رضي الله تعالىٰ عنه قال: «والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، إنّه لعهد

← ويحبّه الله ورسوله، يفتح الله على يديه ليس بفرّار...» إلى آخر الحديث. ومثله في كنز العمال ١٢١:١٣ ومصنّف ابن أبي شيبة ٨: ٥٢٠ و٥٢٢.

النبي الأُمّي ﷺ إليّ أن لا يحبّني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا منافق»[١].

ففي الحديث فضيلة هامّة له رضي الله تعالىٰ عنه، وميزان شرعي نبوي يعرف به المؤمن من المنافق. فمن أحبّه لقرابته من رسول الله ﷺ، وحبّ النبي ﷺ له، واختصاصه به، وما كان منه من نصر الإسلام وهجرته، وجهاده، وسوابقه، كان ذلك علامة منه على إيمانه وصدقه وإخلاصه فيه، بينما من كان يبغضه ويعاديه ويناوؤه... كان بضدّ ذلك، وأنّ إيمانه مدخول، وإسلامه معلول، وأنّه خبيث السريرة. وهذا ممّا كان سائراً بين الصحابة، فكانوا يعرفون المنافقين ببغضهم للإمام علي رضي الله تعالىٰ عنه[٢]، وذلك أنّهم كانوا يبغضونه لكونه أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ وأحبّهم له، وأنّه صهره، وأنّه أشدّ الناس على الكفّار والمنافقين، ولأجل ذلك حكم علماء

---

١. صحيح مسلم ٨٦:١، سنن ابن ماجة ٤٢:١، فتح الباري ٤٣٥:٧، الجامع الصحيح للترمذي ٦٤٣:٥ وقال: «حديث حسن صحيح»، سنن النسائي ١١٧:٨، السنن الكبرى للنسائي ٤٧:٥ و٥٣٥:٦، صحيح ابن حبّان ٦٣٧:١٥، مسند أبي يعلى ٣٤٧:١، مصنّف ابن أبي شيبة ٤٩٤:٧، مجمع الزوائد ١٨١:٩، فضائل الصحابة لأحمد: ١٧، الأذكار النووية: ٢٩٧، نظم درر السمطين: ١٠٢، كنز العمال ١٢٠:١٣، الديباج على صحيح مسلم ٩٣:١ وقال: «فلق الحبّة: شقّها بالنبات، وبرأ النسمة: الإنسان، وقيل: النفس، وقيل: كلّ دابّة».

٢. عن جابر وأبي ذر وأبي سعيد الخدري: «ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ إلّا ببغضهم علي بن أبي طالب ؑ» رواه الحاكم في المستدرك ١٣٩:٣ وصحّحه على شرط مسلم، والطبراني في المعجم الأوسط ٧٦:٣ و٨٩، وفي مجمع الزوائد ١٨٠:٩ بلفظ: «ما كنّا نعرف منافقاً على عهد رسول الله ﷺ إلّا ببغضه علياً»، نظم درر السمطين: ١٠٢، ورواه الترمذي في الجامع الصحيح ٦٣٥:٥ بلفظ: «إنّا كنّا لنعرف المنافقين نحن معاشر الأنصار ببغضهم علي بن أبي طالب»، كنز العمال ١٠٦:١٣، مناقب الخوارزمي: ٣٣٢، تفسير القرطبي ٢٦٧:١، ينابيع المودّة ١٥٠:١ و٣٩٢:٢ و٤٦١، وفي سبل الهدى ٢٩٠:١١ قال: «روى ابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ قال: ببغضهم علي بن أبي طالب»، وكذا في شواهد التنزيل ٢٤٨:٢ رقم ٨٨٣، وتفسير الدرّ المنثور ٥٠٤:٧ وقال: «أخرجه ابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري».

الإسلام بالنفاق على أقوام عبر التاريخ عُرفوا بـبغض علـي والانحراف عـنه وعداوته بإصرار.

وهذا بخلاف من أبغضه رضي الله تعالىٰ عنه لأُمور شخصية خاصة، كـما يـقع عادة بين الأقارب وعامة الناس حسب الطبيعة البشرية، أو كان ذلك مـع اجـتهاد وتأويل كحال طلحة والزبير وعائشة مـعه، فـإنّ هـؤلاء لم يكـونوا يـبغضونه أو يحاربونه لدينه وقرابته من رسول اللهﷺ ولسابقته، كلّا وحاشاهم من ذلك، وهـم المبشَّرون بالجنّة... بل رأوا رأياً فاجتهدوا وأخطأوا، وغفر الله خطأهم لصدقهم في اجتهادهم ونيّتهم الصالحة، وهذا شيء متّفق عليه بين أهل السنّة[١].

كان علي من رسول اللهﷺ كهارون من موسى

ومن مناقبه الفخمة أنّ الله عز وجل جعله وزيراً خـاصّاً لرسـوله الأمـينﷺ، وخليفته في حياته، مثل ما كان هارون من أخيه موسىﷺ.

فعن عامر بن سعد بن أبي وقّاص عن أبيهﷺ قال:

أمّر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟ فقال: أمّا ما

---

١. لكنّه يخالف إطلاق الأخبار الواردة في شأن حبّه وبغضهﷺ كقولهﷺ: «من أحبّ علياً أحـبّني ومن أبغض علياً أبغضني» مستدرك ٣: ١٣٠ وصحّحه على شرط الشـيخين وأقـرّه الذهـبي، والجامع الصغير ٢: ٥٥٤، وقولهﷺ: «الشقيّ كلّ الشـقي مـن أبـغض عـلياً» المـعجم الكـبير ٢٢: ٤١٥، وقول أُم سلمة: «أشهد أنّي سمعت رسول اللهﷺ قال: من أحبّ علياً فقد أحبّني، ومن أحبّني فقد أحبّ الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله» المعجم الكبير ٢٣: ٢٨٠، مجمع الزوائد ٩: ١٨٠، وقولهﷺ: «من سبّ علياً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله» المستدرك ٣: ١٣٠ وصحّحه وأقرّه الذهبي، وغير ذلك الكـثير، مـع أنّ المـؤرّخين يـروون أنّ الحروب التي اندلعت: الجمل وصفّين والنهروان، لم تكن لأمور شخصية أو ما تقع عـادةً بـين الأقارب، كما هو المنقول في كتبهم، وأمّا قوله: متّفق عليه بين أهل السنّة، ففيه نظر.

ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله ﷺ فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهن أحبّ إليّ من حمر النعم سمعت رسول الله ﷺ يقول له وقد خلّفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله خلّفتني مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي؟».

وسمعته يقول يوم خيبر: «لأُعطينّ الراية رجلاً يحبُّ الله ورسوله، ويحبُّه الله ورسوله» قال: فتطاولنا لها، فقال: «ادعوا لي علياً» فأُتي به أرمد، فبصق في عينيه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه.

ولمّا نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ﴾[١] الآية دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللّهم هؤلاء أهلي»[٢].

ورواه ابن ماجة من طريق آخر بلفظ:

قال: قدم معاوية ـ يعني المدينة ـ في بعض حجّاته فدخل عليه سعد، فذكروا

---

١. آل عمران: ٦١.

٢. صحيح مسلم ٤:١٨٧١، الجامع الصحيح للترمذي ٥:٦٣٨، مستدرك الحاكم ٣:١١٧ وصحّحه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، مسند أحمد ١:١٨٥، السنن الكبرى للنسائي ٥:١٠٧، نظم درر السمطين: ١٠٧، فتح الباري ٧:٤٣٣، نظم المتناثر في الحديث المتواتر: ٢٠٧ وقال: «حديث أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، متواتر، جاء عن نيّف وعشرين صحابياً، واستوعبها ابن عساكر في نحو عشرين ورقة» وسيأتي الكلام عن حديث المنزلة قريباً.

وأمّا بخصوص نزول آية المباهلة فيهم ﷺ ففي الجامع الصحيح للترمذي ٥:٢٢٥ عن سعد: لمّا نزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة والحسن والحسين فقال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي»، السنن الكبرى للبيهقي ٧:٦٣، شواهد التنزيل للحاكم ١:١٦١، تفسير الدرّ المنثور ٢:٢٣٢ بعدّة طرق، فتح القدير ١:٣٤٨ وقال: «أخرجه مسلم والترمذي وابن المنذر والحاكم والبيهقي».

وأمّا ما يخصّ حديث الراية فقد تقدّم تخريج الحديث، فراجع.

علياً فنال منه. فغضب سعد وقال: تقول هذا رجلٍ سمعت رسول الله ﷺ يقول... الحديث[١].

كان معاوية وعمّاله في الأقاليم والأمصار يسبّون الإمام علياً رضي الله تعالىٰ عنه، ويلعنونه على المنابر في الجُمع والأعياد، والمجامع والمناسبات، ويأمرون الناس بذلك، وينكرون على من لم يلعنه وينل منه. مضافاً ذلك منهم إلى محاربته وقتاله السالف قبل ذلك، وقد صحّت الأخبار بما قلناه في دواوين السنّة وكتب التاريخ[٢].

فعن سهل بن سعد ﷺ قال:

استعمل على المدينة رجل من آل مروان قال: فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم علياً رضي الله تعالىٰ عنه. فأبىٰ سهل، فقال له: أمّا إذا أبيت فقل: لعن الله أبا تراب، فقال سهل: ما كان لعليٍّ اسم أحبّ إليه من أبي تراب... ثم ذكر الحديث وسبب تسميته بذلك[٣].

---

١. سنن ابن ماجة ١:٤٥، مصنّف ابن أبي شيبة ٧:٤٩٦، البداية والنهاية ٧:٣٧٦ إلّا أنّه حذف منه عبارة «فنال منه».

٢. وقد تقدّم من أحاديث من أنّ سبّ علي سبٌّ لرسول الله ﷺ، ومن سبّ النبي ﷺ كافر. قال النووي في المجموع ١٩:٤٢٦: «إنّه كفر ويقتل السابّ بغير استتابة»، والحطّاب في مواهب الجليل ٨:٣٧٣: «سبّ النبي ردّة ويقتل صاحبها»، والكاساني في بدائع الصنائع ٧:١٧٩، وابن حزم في المحلّى ١١:٤١٣: «السابّ كافر له حكم المرتدّ»، وفي حاشية ردّ المحتار لابن عابدين ٤:٤١٧: «أجمع أهل العلم على أنّ من سبّ النبي يُقتل، ونقل الإجماع على كفر السابّ».

٣. السنن الكبرى للبيهقي ٢:٤٤٦، معرفة علوم الحديث للحاكم: ٢١١، مناقب الخوارزمي: ٣٨، ينابيع المودّة ١:١٦٣.

وأمّا عن سبب تسميته بهذا الاسم (أبو تراب)، فانظر: صحيح البخاري ١:١٦٩ و٣:١٣٥٨ و٥:٢٢٩١ و٢٣١٦، وصحيح مسلم ٤:١٨٧٤، والسنن الكبرى للبيهقي ٢:٤٤٦، والأذكار

←

وعن شدّاد أبي عمّار قال:

دخلت على واثلة بن الأسقع ﷺ وعنده قوم، فذكروا علياً، فلمّا قاموا قال لي: ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى، قال: فذكر قصّة الكساء وتلاوة النبي ﷺ آية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ إلى آخره... وقوله: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي»[١].

وعن قطبة بن مالك قال:

نال المغيرة بن شعبة من علي، فقال زيد بن أرقم: قد علمت أنّ رسول الله ﷺ كان ينهى عن سبّ الموتىٰ فلِمَ تسبُّ علياً وقد مات؟[٢]

وعن عبدالله بن ظالم قال: خطب المغيرة بن شعبة فنال من علي، فخرج سعيد بن زيد فقال: ألا تعجب من هذا يسبّ علياً؟![٣]

وفي رواية قال: لمّا خرج معاوية من الكوفة استعمل المغيرة بن شعبة، قال: فأقام خطباء يقعون في علي، قال: وأنا إلى جنب سعيد بن زيد، قال: فغضب فقام، فأخذ بيدي فتبعته، فقال: ألا ترى إلىٰ هذا الرجل الظالم لنفسه الذي يأمر بلعن رجل من أهل الجنّة؟! فأشهد على التسعة أنّهم في الجنّة، ثم ذكر العشرة[٤].

← النوويّة: ٢٩٤ رقم ٨٧٣ قال: «ثبت في الصحيح أنّ رسول الله ﷺ وجده نائماً في المسجد وعليه التراب فقال: قم أبا تراب! قم أبا تراب! فلزمه هذا اللقب الحسن الجميل». وقال في رقم ٨٧٤: «وروينا في صحيح البخاري ومسلم عن سهل: وكانت أحبّ أسماء علي إليه، وإنّه كان ليفرح بهذا».

١. مستدرك الحاكم ٢:٤٥١ وصحّحه على شرط مسلم، السنن الكبرى للبيهقي ٢:١٤٩ و١٥٢، مسند أحمد ٤:١٠٧.

٢. مسند أحمد ٤:٣٩٦.

٣. المصدر السابق ١:١٨٧ و١٨٨ و١٨٩ بعدّة طرق.

٤. مسند أحمد ١:١٨٩، البداية والنهاية ٧:٣٩٣.

وفي رواية: أنّه دخل على المغيرة وأجلسه عند رجليه على السرير، فجاء رجل من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة فسبَّ وسبَّ، فقال: من يسبُّ هذا يا مغيرة؟ قال: يسبُّ علي بن أبي طالب، قال: يا مغيرة بن شعبة ـ ثلاثاً ـ ألا أسمع أصحاب رسول الله ﷺ يسبّون عندك لا تنكر ولا تغيّر! فذكر الحديث ثم قال: والله لمشهد شهده رجل يغبرُّ فيه وجهه مع رسول الله ﷺ أفضل من عمل أحدكم ولو عمّر عُمْرَ نوح عليه السلام[١].

والمقصود: أنَّ بني أُمية وأشياعهم كانوا يسبُّون علياً رضي الله تعالىٰ عنه، ويأمرون الناس بذلك، وهو أمر ثابت مستفيض عنهم، ولا أدلّ على ذلك ممّا ذكرناه فضلاً عمّا تركناه وهو كثير.

قال الحافظ السيوطي في «تاريخ الخلفاء»: كان في بني أُمية أكثر من سبعين ألف منبر يلعن عليها علي بن أبي طالب عليه السلام[٢].

وذكر الآبي في شرح مسلم: أنّ التصريح بالسبّ وقبيح القول إنّما كان يفعله جهّال بني أُمية وسفلتهم[٣].

وقد أخرج ابن سعد في الطبقات عن عمير بن إسحاق قال:

كان مروان أميراً علينا ـ يعني بالمدينة ـ فكان يسبّ علياً كلّ جمعة على المنبر،

---

١. مسند أحمد ١٨٧:١.

٢. قال العلّامة الحفظي الشافعي في أُرجوزته ناظماً قول السيوطي، عن النصائح الكافية: ١٠٤:

وقد حكى الشيخ السيوطي أنّه	قد كان فيما جعلوه سننه
سبعون ألف منبر وعشرة	من فوقهنّ يلعنون حيدرة
أليس ذا يؤذيه أم لا فاسمعن	إنّ الذي يؤذيه يؤذي من ومن
بل جاء في حديث أُم سلمة	هل فيكم الله يسبُّ مه لمه
عاون أخا العرفان في الجواب	وعاد من عادى أبا تراب

٣. شرح صحيح مسلم للآبي ٢٢٩:٨، وقد تقدّم أنّ معاوية كان يأمر بسبّه وأمر سعداً بذلك، وكذا مروان وبقية ملوك بني أُمية.

وحسن يسمع فلا يردّ شيئاً، ثم أرسل إليه رجلاً يقول له: بعلي وبعلي وبك وبك، يعني يسبُّهما معاً، فانظر بقيّته [١].

وهذا ما جعلهم يخالفون سنّة العيدين فقدّموا الخطبة على الصلاة لأنّ الناس كانوا إذا صلّوا انصرفوا ولا يمكثون لسماع الخطبة لما كان فيها من السباب والشتائم.

وقد روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ:

أنّه كان يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلّى، فأول شيء يبدأ به الصلاة... قال: فلم يزل الناس على ذلك حتّى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في أضحىً أو فطر، فلمّا أتينا المصلّى إذا منبر بناه كثير بن الصلت، فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلّي فجذبته بثوبه فجذبني، فارتفع فخطب قبل الصلاة، فقلت له: غيَّرتم والله، فقال: أبا سعيد، قد ذهب ما تعلم، فقلت: ما أعلم والله خير ممّا لا أعلم، فقال: إنّ الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة، فجعلتها قبل الصلاة [٢].

وفعل مروان هذا كان السبب في تحديث أبي سعيد بقول النبي ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

عن طارق بن شهاب قال:

أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان، فقام إليه رجل فقال: الصلاة قبل الخطبة، فقال: قد ترك ما هنالك، فقال أبو سعيد: أمّا هذا فقد قضى ما عليه،

---

١. هذا موجود بتمامه في تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٧: ٢٤٤، فراجع.

٢. سبل الهدى ٨: ٣٢١، فقه السنّة ١: ٣٢٢ وقال: «متّفق عليه»، إرواء الغليل ٣: ٩٨ وقال: «صحيح أخرجه البخاري ومسلم والنسائي والبيهقي وأحمد».

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً...» فذكر الحديث[١].

وإنّما أطلت الكلام هنا نسبيّاً لأنّ بعض علمائنا نفى أن يكون خطباء بني أُمية وعمّالهم اتّفقوا على سبّ ولعن الإمام علي رضي الله تعالىٰ عنه، رغم إجماع المؤرّخين على وقوع ذلك وصحّته في دواوين السنّة.

ونحن نبرأ إلى الله تعالىٰ ممّا فعلوه، ونكل أمرهم إليه عزّ وجلّ، فإنّ سبَّ هذا الإمام العظيم سبٌّ لرسول الله ﷺ كما قال أبو عبدالله الجدلي:

دخلت على أُم سلمة رضي الله عنها فقالت: أيُسبُّ رسول الله فيكم؟ فقلت: سبحان الله! أو معاذ الله! قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سبَّ علياً فقد سبّني»[٢].

وفي قول سعد: أمّا ما ذكرت... إلى آخره، بيان منه ﷺ لفضائل الإمام علي رضي الله تعالىٰ عنه، وخصائصه التي خصّه الله عزّ وجلّ بها. وأنّه لذلك لا يستحقّ أن يسبَّ ويلعن ويبغض ويعادىٰ، فضلاً أن يُقاتل ويُحارب.

وهذه المزايا والفضائل هي التي منعت سعداً من النيل منه، وامتناعه من سبّه رضي الله تعالىٰ عنهما.

وقوله: «أما ترضىٰ أن تكون منّي...» إلى آخر هذا القدر من الحديث الذي يقال له حديث المنزلة، متواتر وارد عن قريب من عشرين نفساً من الصحابة، واتّفق علىٰ

---

١. صحيح مسلم ١: ٥٠، الجامع الصحيح للترمذي ٤: ٤٩٦، مصنّف ابن أبي شيبة ٢: ٧٧، فيض القدير ٦: ١٣١، مسند أحمد ٣: ٤٩، نيل الأوطار ٣: ٣٠٤ وقال: «أول من فعل ذلك معاوية، حكاه القاضي عياض، وأخرجه الشافعي عن ابن عباس بلفظ: حتّى قدم معاوية» إلى آخره.

٢. مستدرك الحاكم ٣: ١٣٩ و ١٤٠ وصحّحه، مسند أحمد ٦: ٣٢٣، السنن الكبرى للنسائي ٥: ١٣٣، مجمع الزوائد ٩: ١٧٥، الجامع الصغير ٢: ٩٣٥، فيض القدير ٦: ١٤٧ وقال: «رواه الحاكم وصحّحه، وأحمد، ورجاله رجال الصحيح». البداية والنهاية ٧: ٣٩١، ينابيع المودّة ٢: ١٠٢ وقال: «لأحمد والحاكم عن أُم سلمة»، خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ٩٩.

إخراجه الشيخان[١].

ومعناه: أنت متّصل بي، ونازل منّي منزلة هارون من أخيه موسى، فكأنّه قال له: أنت أخي ووزيري وخليفتي في حياتي كما كان هارون أخاً ووزيراً وخليفةً

---

١. قال العلّامة الكتّاني في نظم المتناثر: ٢٠٧: «متواتر، جاء عن نيّف وعشرين صحابياً، واستوعبها ابن عساكر في نحو عشرين ورقة».
وقال العلّامة المزّي في تهذيب الكمال ٤٨٣:٢٠: «عن جماعة من الصحابة، وهو من أثبت الآثار وأصحّها. رواه عن النبي سعد وابن عباس وأبو سعيد الخدري وجابر وأُم سلمة وأسماء بنت عميس وجماعة يطول ذكرهم».
وقال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج ٢١١:١٣: «خبر مجمع على روايته بين سائر فرق الإسلام».
وأمّا مصادره وطرقه، فكثيرة جداً، نذكر بعضاً منها: صحيح البخاري ١٣٥٩:٣ و٤:١٦٠٢، صحيح مسلم ١٨٧١:٤، الجامع الصحيح للترمذي ٦٣٨:٥، مستدرك الحاكم ١١٧:٣ وصحّحه، السنن الكبرى للبيهقي ٤٠:٩، فضائل الصحابة لأحمد: ١٣، وعقد ابن حجر في مجمع الزوائد من الجزء التاسع باباً بعنوان (في منزلته) في مناقب علي. مصنّف ابن أبي شيبة ٤٩٦:٧ و٥٦٢:٨، السنن الكبرى للنسائي ٤٤:٥ أخرجه من ثلاثين طريقاً، صحيح ابن حبّان ١٦:١٥ و٣٧١، مسند أبي يعلى ٢٨٦:١ و٥٧:٢ وذكر بعض الطرق إليه. المعجم الصغير ٢٢:٢ و٥٤، تاريخ دمشق ٣١:٢ و١٥٠:١٣ و١٣٨:١٨ و١٨:٤١ و٣٥:٧٠ عن أسماء بنت عميس، السيرة النبوية لابن كثير ١٢:٤، البداية والنهاية ١١:٥ وقال: «رواه مسلم والترمذي وقال: حسن صحيح»، و٢٥١:٧ و٨٤:٨، الأذكار النوويّة: ٢٧٧ رقم ٨٠٧، المعجم الكبير ١٤٦:١ من عدّة طرق، و١٤٧:٢ و١٧:٤ و٢٠٣:٥ و٦١:١١ و١٥:١٢ و٧٨ و٢٩١:١٩ و١٤٦:٢٤ من عدّة طرق، نظم درر السمطين: ٢٤، تاريخ بغداد ٣٤٢:١ و٥٦:٤ و٤٦٣:٧ و٥٢:٨ و٣٧٠:٩ و٤٥:١٠ و٤٣٠:١١ و٣٢٠:١٢، الطبقات الكبرى ٢٣:٣ و٢٤، شواهد التنزيل ١٩٠:١ و١٩٢ و٣٥:٢، سبل الهدى ٤٤١:٥ و٢٩١:١١ من عدّة طرق، وأخرجه الحنفي في الينابيع في أكثر من عشرين موضعاً، وفي كنز العمّال كذلك. الآحاد والمثاني ١٧٢:٥، مسند ابن راهويه ٣٧:٥، تاريخ الطبري ٣٦٨:٢، مناقب الخوارزمي: ٣٩ من عدّة طرق، وأخرجه ابن حجر في عدّة مواضع من تهذيب التهذيب ولسان الميزان، وكذا الذهبي في تذكرة الحفّاظ ١٠:١ الثقات لابن حبّان ١٤٢:١.

لأخيه موسى في قومه في حياته عندما ذهب لميقات ربّه ومناجاته[١]، فكما أنّ هارون لم يكن خليفة بعد موسى لأنّه توفّي قبله في التيه[٢]، كذلك الإمام علي رضي الله تعالىٰ عنه لم يكن خليفة النبيﷺ الخاص إلّا في حياته، أمّا بعد موته فالحديث ليس نصّاً فيه كما يقول الشيعة، وكلّ ما جاء في ذلك ممّا يتعلّقون به لايصحّ شيء منه.

وقال القاضي عياض: هذا ما تعلّقت به الروافض وسائر الشيعة في أنّ الخلافة كانت حقّاً لعلي رضي الله تعالىٰ عنه، لأنّه وصّى له بها فكفّرت الروافض سائر الصحابة بتقديم غيره، وزاد بعضهم: فكفّر علياً[٣]، لأنّه لم يقم في طلب حقّه، قال: وهؤلاء أسخف عقلاً وأفسد مذهباً من أن يذكر قولهم، قال: ولا شكّ في تكفير هؤلاء، لأنّ من كفّر الأُمة كلّها والصدر الأول خصوصاً، فقد أبطل الشريعة وهدم الإسلام، انتهىٰ[٤].

---

١. هذا التخصيص خلاف اللغة والعرف، فالحديث عام، ومن كان في حياته خليفة فهو أولىٰ بها بعد موته.

٢. موت هارون قبل موسى لا يمنع من عموم هذا الحديث، لأنّ المراد هو إثبات مكانة ومنزلة هارون، وهي الخلافة، من دون نظر إلى الزمان، خصوصاً أنّ آية استخلاف هارون عامّة مطلقة ﴿قَالَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ فالتخصيص بالحياة خلاف اللغة والعرف والفهم العام.

٣. لا نعلم أحداً كفّر علياً ﷺ غير الخوارج والنواصب.

٤. أولاً: إنّ من هدّم الاسلام وكفّر الصحابة وسبّهم، هم من نكث البيعة والذين بدّلوا وغيّروا سنّة النبيﷺ، وقد ذكر المصنّف بعضاً منهم.

وثانياً: إنّ الشيعة الإمامية لهم أدلّتهم وحججهم ـ وهي واضحة جلية ونصوص نبوية ـ على عدم عدالة جميع الصحابة، ومتون أهل السنّة والتاريخ شاهد صدق علىٰ ذلك، ووافقهم الكثير من أعلام السنّة على ذلك.

وثالثاً: إنّ الشيعة يقدّسون الكثير من الصحابة أمثال جابر وحذيفة بن اليمان وخزيمة بن ثابت ←

نعم ثبت أنّه خليفة النبيﷺ في أهله[١].

وقوله: ثم دعا رسول اللهﷺ إلى آخره، كان ذلك حينما جاءه نصارى نجران وجادلوه في شأن عيسىؑ، فدعاهم للمباهلة والتضرّع إلى الله تعالىٰ بلعن الكاذب في شأن عيسى، فامتنعوا من ذلك ورضوا بدفع الجزية[٢]...

وفي الحديث[٣] فضائل واضحة وخصائص ظاهرة للإمام علي رضي الله تعالىٰ عنه، حيث جعله النبيﷺ كأخ له ووزير وخليفة، وشهد له شهادةً خاصةً بأنّه يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، وناهيك بمقام المحبوبية، فإنّه لا يوازيه شيء، فهو

← والمقداد وأبي ذر وسلمان وعمار وابن عباس وابن التيّهان وأُويس القرني وأمثال هؤلاء رضي الله عنهم ورزقنا شفاعتهم. وقد حضر مع عليؑ في صفّين من الصحابة ثمانون بدرياً وخمسون ومائتان ممّن بايع تحت الشجرة (مستدرك الحاكم ٣:١١٢)، وكذا في حرب الجمل، واستشهد منهم الكثير، ولهم حقّ الاحترام والإجلال رحمة الله عليهم.

١. وهل كان هارون خليفة موسىٰ في أهله فقط؟ بل الثابت من حديث المنزلة وغيره هو العموم، خصوصاً أنّ حديث المنزلة ورد في غير غزوة تبوك أيضاً، إضافة إلى عبارة «إلّا أنّه لا نبي بعدي» فيها من الدلالات الكثيرة لمن يتأمّل فيها.

٢. هي آية المباهلة ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ آل عمران: ٦١. وروى الحاكم في المستدرك ٣:١٦٣: «لمّا نزلت آية المباهلة دعا النبيﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال: اللّهم هؤلاء أهل بيتي» وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه، ورواه أيضاً في شواهد التنزيل ١:١٥٩ و٢:٣٤، والحديث في أسباب النزول للواحدي: ٦٨، تفسير جامع البيان ٣:٤٠٤، الإصابة ٤:٤٦٨، البداية والنهاية ٧:٣٧٦، أعلام النبلاء ٣:٢٨٦، سبل الهدى ٦:٤١٩ وقال: «رواه مسلم والترمذي وابن المنذر والحاكم في السنن»، نظم درر السمطين: ١٠٨، وتفسير القرطبي ٤:١٠٣ إلّا أنّه ترك تفسير قوله: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾، ينابيع المودّة ٢:٢٣٣ و٢٦٥، مناقب الخوارزمي: ١٥٩، الشفا للقاضي عياض ٢:٤٨، أُسد الغابة ٤:٩٩، ومن الشواهد عليه: الجامع الصحيح للترمذي ٥:٢٢٥، السنن الكبرى للبيهقي ٧:٦٣، الدرّ المنثور ٢:٢٣٢.

٣. حديث سعد المتقدّم.

أعلى المقامات التي يتنافس في الإحراز والحصول عليها المتنافسون[١].

وفي حديث البخاري القدسي يقول الله تعالىٰ: «ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّىٰ أُحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها» الحديث[٢].

علي ورسول الله كنفس واحدة

ومن مناقبه أنّ رسول الله ﷺ جعله كنفسه، ويا لها من خصيصة!

فقد جاء في حديث البراء بن عازب الوارد في عمرة القضاء، وأنّه اختصم علي وجعفر وزيد بن حارثة في بنت حمزة، فقال النبي ﷺ: «أنت منّي وأنا منك»[٣].

قال الحافظ معلّقاً علىٰ قوله: «أنت منّي وأنا منك»: أي في النسب والصهر والمسابقة[٤] والمحبّة وغير ذلك من المزايا... وهذه مزايا لم تجتمع لغيره رضي الله

---

١. هامش من المصنّف، قال: ولقد أبان بعضهم عن حقد وبغض للإمام علي، فقال: إنّه ليس في هذا الحديث فضل له ولا خصيصة... وهذا إن دلّ علىٰ شيء فإنّما يدلّ على نصب ووقاحة وسوء أدب.

٢. صحيح البخاري ٥:٢٣٨٤، وأول الحديث: «من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب»، وفي كنز العمّال ٧: ٧٧٠.

٣. صحيح البخاري ٣:١٣٥٧، فتح الباري ٧:٤٣٢ في مناقب علي ؏ و٨:٢٨٥ في عمرة القضاء، الجامع الصحيح للترمذي ٥:٦٣٥ وقال: «حديث حسن صحيح»، صحيح ابن حبّان ١١:٢٣٠، السنن الكبرى للبيهقي ٨:٥ و١٠:٢٢٦، مصنّف ابن أبي شيبة ٧:٤٩٩، الأذكار النوويّة: ٢٧٧ رقم ٨٠٦، كشف الخفاء ١:١٨٦ وقال: «صحيح، وهو من السنّة الثابتة»، البداية والنهاية ٤:٢٦٧، السيرة النبويّة لابن كثير ٣:٤٤٣، سبل الهدى ٥:١٩٥، نظم درر السمطين: ٩٨، كنز العمال ١١:٥٩٩.

٤. كذا في فتح الباري ويحتمل: السابقة.

تعالىٰ عنه[١].

وجاء في حديث آخر لحبشي بن جنادة فيه زيادة، ولفظه: «علي منّي وأنا منه، ولا يؤدّي عنّي إلّا أنا أو علي»[٢].

وفي هذا الحديث زيادة خصيصة أُخرى له، وهي أنّه لا يؤدّي عنه ﷺ ما أُمر به من رفض العهود إلّا الإمام علي لكونه أقرب إليه ﷺ[٣].

وهذا الحديث قاله حينما بعث علياً الىٰ مكة المكرّمة في السنة التاسعة ينادي في الناس بنبذ عهود المشركين، ذلك أنّ العرب كانوا إذا كان بينهم مفاوضة في إبرام

---

١. فتح الباري ٨: ٢٩٤ باب عمرة القضاء.

والحديث وارد في قضيّة المؤاخاة، حين آخى النبيّ ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فقال لعلي ﷺ: «أنت منّي وأنا منك». وبهذا يكون معناه أعلى من الأُخوّة والنسب والمصاهرة. وإلّا يكون قول النبي ﷺ تحصيل الحاصل؛ لأنّ علياً هو أقرب الناس من جهة النسب والمصاهرة والمحبّة لرسول الله ﷺ. فلا معنىً ـ إذاً ـ لقول النبي ﷺ ذلك يوم المؤاخاة، لعلي.

٢. فضائل الصحابة لأحمد: ١٥، تحفة الأحوذي ١٠: ٢٠٧ وقال: «حديث حسن صحيح» ثم نقل كلام التوربشتي، وقال: «كان من دأب العرب إذا كان بينهم نقض أو إبرام صلح أن لا يؤدّي ذلك إلّا سيّد القوم أو من يليه» مصنّف ابن أبي شيبة ٧: ٤٩٥، الآحاد والمثاني ٣: ١٨٣، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٤٥، المعجم الكبير ٤: ١٦ أخرجه بطريقين عن حبشي، الجامع الصغير ٢: ٦٢٩ وقال: «حسن». فيض القدير ٤: ٣٥٧ وقال: «أدخل «أنا» لتأكيد معنى الاتّصال في قوله: علي منّي وأنا من علي». البداية والنهاية ٥: ٢٣٢، كنز العمّال ١١: ٦٠٣ و١٣: ١٤٢، الرياض النضرة ٣: ١١٣.

وهذا الحديث في قضية تبليغ سورة براءة، وفيها خصوصية كبرىٰ لأميرالمؤمنين علي بن أبي طالب، وهي أنّ تبليغ الرسالة وشؤونها وتبليغ الأوامر الإلهية والوحي لا يكون إلّا للنبي ﷺ أو من يكون منه كنفسه.

٣. هذا القيد «رفض العهود» من المصنّف، وإلّا فإنّ الحديث مطلق ومعناه: لا يبلّغ الأوامر الإلهية إلّا النبي ﷺ أو من هو منه كنفسه، وليس هو إلّا علي ﷺ. وقد صرّح به النبي ﷺ بقوله: «إلّا أنا أو علي» والعموم واضح من الحديث من قوله: «لا يؤدّي عنّي إلّا أنا أو علي» فليس فيه عهود أو غيره، ولا يقال: إنّه مختصّ بقضية تبليغ سورة براءة، فالمورد لا يخصّص الوارد، فالعموم تامّ بلا أدنىٰ شبهة.

عهدٍ أو نقضه، لا يؤدّي ذلك ويباشره إلّا سيّد القوم أو من يليه من ذوي قرابته القريبة، ولا يقبلون ذلك من سواهم، ولمّا كان العام الذي أمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يحجّ بالناس عام تسع، رأىٰ بعد خروجه أن يبعث علياً كرّم الله وجهه خلفه علىٰ ناقته لينبذ إلى المشركين عهدهم، ويقرأ عليهم سورة براءة، وفيها: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾[١].

جاء ذلك مبسوطاً في تفسير براءة من صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري[٢].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال:

بعث رسول الله ﷺ جيشاً واستعمل عليهم عليَّ بن أبي طالب رضي الله تعالىٰ عنه، فمضى في السريّة، فأصاب جاريةً فأنكروا عليه، وتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: إن لقينا رسول الله ﷺ أخبرناه بما صنع عليٌّ، وكان المسلمون إذا رجعوا من سفر بدأوا برسول الله ﷺ فسلّموا عليه ثم انصرفوا إلى رحالهم، فلمّا قدمت السريّة على النبي ﷺ فقام أحد الأربعة فقال: يا رسول الله، ألم تر الىٰ علي ابن أبي طالب، صنع كذا وكذا، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ثم قام الثاني فقال مثل مقالته، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وهكذا الثالث والرابع، فأقبل رسول الله ﷺ والغضب يعرف في وجهه فقال: «ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟

---

١. التوبة: ٢٨.

٢. قال السرخسي في الأُصول ٢:٩٥: إنّه ﷺ أمر أبا بكر بتبليغ سورة براءة إلى المشركين في العام الذي أمره أن يحجّ بالناس، فأتاه جبريل عليه السلام وقال له: «لا يبلّغها اليهم إلّا رجل منك» فبعث علي ابن أبي طالب في أثره ليكون هو المبلّغ للسورة إليهم.

وفي مسند أبي يعلى ١:١٠٠ قال: بعث أبا بكر لتبليغ براءة، ثم قال لعلي: «إلحقه» فردّ عليٌّ أبابكر، فلمّا رجع قال له النبي ﷺ: «إنّي أُمرت أن لا يبلّغ إلّا أنا أو رجل منّي».

ورواه في مجمع الزوائد ٣:٥٣٦، تاريخ دمشق ٤٢:٣٤٧، البداية والنهاية ٧:٣٩٤، كنز العمال ٢:٤١٧، مناقب الخوارزمي: ١٦٤، الرياض النضرة ٣:١١٣ و ١١٤.

ماتريدون من علي؟ إنَّ علياً منّي وأنا من علي، إنّ علياً منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي»[١].

وفي حديث عمران زيادة علىٰ ما سبق: غضب رسول الله ﷺ على أُولئك الأصحاب الذين وشوا به إلىٰ رسول الله بقوله: «ما تريدون من علي» مكرّراً ذلك ثلاث مرّات مبالغةً في الإنكار[٢].

ويعني ﷺ بقوله: «ما تريدون من علي» إلىٰ آخره: أيَّ شيء تريدون أن أفعل به مع منزلته لديّ، وأنّه كنفسي، وأنّه ولي كلّ مؤمن، وأنّه لم يأت شيئاً يستحقّ معه العتب والتأنيب...؟ وفي ذلك مزيد فضل واحترام من النبي ﷺ له وتقدير وإجلال[٣].

علي مولىٰ كلّ مؤمن

ومن مناقبه وفضائله العظيمة التي خصّه الله بها عزّ وجلّ كونه مولىٰ كلّ مؤمن، وأنّ موالاته موالاة الله، ومعاداته معاداة الله عزّ وجلّ، وهذه منقبة لم ترد ولم تعرف لغيره منصوصة وإن كان ذلك ثابتاً لكلّ وليٍّ لله تعالىٰ بصفة عامة.

فعن أبي الطفيل قال:

---

١. الجامع الصحيح للترمذي ٥:٦٣٢، مستدرك الحاكم ٣:١١٩ وصحّحه، مصنّف ابن أبي شيبة ٧:٥٠٤، الآحاد والمثاني ٤:٢٧٩، السنن الكبرىٰ للنسائي ٥:١٣٣، صحيح ابن حبّان ١٥:٣٧٤، كنز العمال ١٣:١٤٢، سبل الهدىٰ ١١:٢٩٧، الإصابة ٤:٤٦٨ وقال: «أخرجه الترمذي بإسناد قويّ»، سير أعلام النبلاء ٨:١٩٩ وقال: «أخرجه الترمذي وحسّنه، والنسائي»، أُسد الغابة ٤:١٠١، تاريخ دمشق ٤٢:١٩٨.

هذا ويجدر التأمّل في لفظة «بعدي» هنا.

٢. كما في الجامع الصحيح للترمذي ٥:٦٣٢، وسبل الهدىٰ ١١:٢٩٧.

٣. وهو قطع الطريق أمام المشكّكين في مقامه ومنزلته فقال ﷺ هذا القول، وكرّره ثلاثاً ليكون أبلغ أثراً.

جمع علي رضي الله تعالىٰ عنه الناس في الرحبة، ثم قال لهم: «أنشد الله كلّ امرئٍ مسلمٍ سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ ما سمع لما قام» فقام ثلاثون من الناس، وفي رواية: فقام ناس كثير، فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس: «أتعلمون أنّي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه».

قال: فخرجت وكان في نفسي شيء، فلقيت زيد بن أرقم فقلت له: إنّي سمعت علياً يقول كذا وكذا، قال: فما تنكر؟! قد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك له[١].

وفي رواية: لمّا رجع النبي ﷺ من حجّة الوداع، ونزل غدير خمّ أمر بدوحات فقممن، ثم قال ﷺ: «كأنّي دُعيت فأجبت» ثم ذكر الثقلين: كتاب الله والعترة... ثم قال: «إنّ الله مولاي، وأنا وليّ كلّ مؤمن» ثم أخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه...» إلى آخر الحديث[٢].

---

١. مسند أحمد ٤: ٣٧٠، مجمع الزوائد ٩: ١٢٨ عقد باباً بعنوان (من كنت مولاه) فيه أكثر من ثلاثين رواية، السنن الكبرىٰ للنسائي ٥: ١٣٤، البداية والنهاية ٧: ٣٨٣.
وروي خبر المناشدة أيضاً بطرق أُخرى في مسند أحمد ١: ٨٤ و١١٨، المعجم الكبير ٥: ١٧١ عن زيد، مسند أبي يعلىٰ ١: ٤٢٩ عن عبدالرحمان، كشف الأستار عن زوائد البزّار ٢: ١٩٠ بطريقين، المعجم الصغير ١: ٦٤، كنز العمال ١١: ٣٣٢ ناشد به طلحة يوم الجمل.

٢. مستدرك الحاكم ٣: ١١٨ وصحّحه، السنن الكبرىٰ للنسائي ٥: ٤٥، المعجم الكبير ٥: ١٦٦، فضائل الصحابة: ١٥، السيرة النبوية لابن كثير: ٤: ٤١٦، البداية والنهاية ٥: ٢٢٨، كنز العمال ١٣: ١٠٤، مناقب الخوارزمي: ١٥٤.
ولأهميّة حديث الغدير نذكر أقوال العلماء حول تواتره، وطرفاً من الاستدلال به علىٰ خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام.
فمن العلماء من ذكر تواتره:
١ ـ قال ابن حجر في فتح الباري ٧: ٤٣٨: «وأمّا حديث (من كنت مولاه فعلي مولاه). فقد

←

← أخرجه الترمذي والنسائي، وهو كثير الطرق جداً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان».

٢ ـ قال العلّامة الكتّاني في نظم المتناثر في الحديث المتواتر: ٢٠٦: «وفي رواية أحمد أنّه سمعه من النبي ﷺ ثلاثون صحابياً، وشهدوا به لعلي لمّا نوزع ايام خلافته. وصرّح بتواتره المناوي في التيسير نقلاً عن السيوطي وشارح المواهب اللدنيّة، وفي الصفوة للمناوي قال الحافظ ابن حجر: حديث (من كنت مولاه فعلي مولاه) أخرجه الترمذي والنسائي، وهو كثير الطرق جداً، وقد استوعبها ابن عقدة في مؤلّف، وأكثر أسانيدها صحيح أو حسن» ثم ذكر الكتّاني أسماء خمسٍ وعشرين من الصحابة ممّن رووه وشهدوا به.

٣ ـ قال العجلوني في كشف الخفاء ٢: ٢٤٥ رقم ٢٥٩٠: «رواه الطبراني والضياء في المختارة عن زيد بن أرقم وعلي وثلاثين من الصحابة بلفظ: (اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه)، فالحديث متواتر أو مشهور».

٤ ـ قال ابن حمزة الحنفي في البيان والتعريف ٣: ٢٣٥: «أخرجه الإمام أحمد ومسلم عن البراء ابن عازب، وأخرجه أحمد عن بريدة، وأخرجه الترمذي والنسائي والضياء المقدسي عن زيد، وقال الهيثمي: رجال أحمد ثقات، وقال في موضع آخر: رجاله رجال الصحيح، وقال السيوطي: حديث متواتر».

٥ ـ قال ابن درويش الشافعي المعروف بالحوت في كتابه أسنى المطالب: ٢٨٥: «رواه أصحاب السنن غير أبي داود، ورواه أحمد وصحّحه، وروي بلفظ (من كنت وليّه فعلي وليّه) رواه أحمد والنسائي والحاكم وصحّحه».

٦ ـ عقد الهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٢٨ باباً بعنوان «قوله ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه» أورد فيه أكثر من ثلاثين حديثاً من طرق الحفّاظ والأئمة.

٧ ـ قال ابن حجر في الصواعق ١: ١٠٧: «رواه ثلاثون صحابياً وشهدوا به لعلي لمّا نوزع أيام خلافته. وكثير من أسانيدها صحاح وحسان. ولا التفات لمن قدح في صحّته».

٨ ـ قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٥: ٤١٥: «الحديث ثابت بلا ريب»، وقال في ٨: ٣٣٥: «هذا حديث حسن عالٍ جداً ومتنه متواتر»، وفي ١٩: ٣٢٨ نقل كلام الغزالي قول عمر لعلي: بخ بخ أصبحت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة، قال أبو حامد: «هذا تسليم ورضىً، ثم بعد هذا غلب ←

وعن بريدة رضي الله عنه:

أنّه مرّ على مجلس وهم يتناولون من علي رضي الله تعالىٰ عنه ـ يعني يسبّونه ـ

← الهوى وحبّ الرئاسة...» إلى آخر كلام الغزالي فراجعه.

فالحديث من جهة السند والصدور مقطوع به ومتواتر كما تقدّم، ولو تتبّعنا كلمات الحفّاظ والعلماء لطال بنا المقام، وما نقلناه من عباراتهم كافٍ في إثبات تواتره بأعلى المراتب.

وأمّا الاستدلال بالحديث على الخلافة والرئاسة العامّة بعد النبي ﷺ:

١ ـ احتجاج أمير المؤمنين ومناشدته الناس في الرحبة ـ كما تقدّم في خبر أبي الطفيل وغيره من أخبار المناشدة ـ وأجابه وصدّقه علىٰ ذلك ثلاثون من الصحابة على ما ذكره الكتّاني وأحمد وابن حجر كما تقدّم، وفي رواية: «منهم اثنا عشر بدريّاً» ولم يعترض منهم أحد، والكلّ فهم من (المولى ومولاه) أنّه هو (الأولىٰ)، وهو في مقام الانتصار لدعوته، فيكون علي عليه السلام هو الأولى بالمسلمين بعد النبي مطلقاً، ومنها الحاكمية والسلطة والرئاسة، ولو كان معنى (مولاه) يعطي معنىً غير ذلك لما احتجّ به أمير المؤمنين وناشد الناس بهذا الحديث.

٢ ـ إنّ رسول الله ﷺ فعل ذلك عند رجوعه من حجّة الوداع، فمنع الألوف من المسير، وحبسهم في تلك الرمضاء وفي ذلك الهجير، ثم خطبهم ونعىٰ إليهم نفسه، وأشهدهم «ألست أولى بكم من أنفسكم؟ فقالوا: بلىٰ، فقال ﷺ: «ألا فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه»، فهل كان النبي ﷺ يريد أن يقول لهم في ذلك الوقت العصيب والجمع الغفير: إنّ علياً هو صديق للمؤمنين، أم أراد أن يبلّغ أمراً أخطر من ذلك بكثير؟

٣ ـ وما ذهب إليه البعض من أنّ معناه: أنّه أولىٰ بالخلافة حين تعقد له، فهي مآلية وليست حالية (كما في الصواعق لابن حجر ١: ١١٠) إنّما هو تكلّف في التأويل لوجود قرائن حالية ومقالية وعقلية ـ كما تقدّم ـ تدلّ على أنّ النبي ﷺ كان بصدد بيان أمر عظيم ذا أهمّية بين المسلمين.

ثم لو سلّمنا أنّها ـ الخلافة ـ لا تكون حالية لوجود النبي ﷺ، فلا محيص من أنّها تكون بعد وفاته وبلا فصل، بناءً علىٰ أنّ حمل اللفظ عند تعذّر الحقيقة يكون علىٰ أقرب المجازات، وهذه قاعدة مقرّرة ومسلّمة عندهم بلا ريب. ومن أراد الاطّلاع على المزيد حول دلالات الحديث، فليراجع المفصّلات والمطوّلات، أمثال: الغدير للعلّامة الأميني، والمراجعات للعلّامة شرف الدين، ودلائل الصدق للعلّامة المظفّر، ونفحات الأزهار للسيد الميلاني، والعبقات للسيد حامد اللكهنوي، فإنّ فيها بغية الباحث.

فوقف عليهم فقال: إنّه قد كان في نفسي علىٰ علي شيء، وكان خالد بن الوليد كذلك، فبعثني رسول الله ﷺ في سريّة عليها علي، وأصبنا سبياً، قال: فأخذ علي جاريةً من الخمس لنفسه، فقال خالد بن الوليد: دونك، قال: فلمّا قدمنا على النبي ﷺ جعلت أُحدِّثه بما كان، ثم قلت: إنّ علياً أخذ جاريةً من الخمس، قال: وكنت رجلاً مكباباً، قال: فرفعت رأسي فإذا وجه رسول الله ﷺ قد تغيَّر به، فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»[١].

وهذا الحديث يُعرف بحديث الموالاة[٢]، وفيه فضل ظاهر للإمام علي رضي الله تعالىٰ عنه، وأنّه مولىٰ كلّ مؤمن، بمعنىٰ: من كان رسول الله ﷺ وليّه وناصره وسيده وحبيبه... فعلي كذلك في حياته وبعد موته، وذلك لمزيد علمه، وصفاء سريرته، وحسن سيرته.

ولايستقيم حمل الموالاة على الإمامة والتصرّف في شؤون الأُمّة؛ لمخالفة ذلك للواقع، لأنّ النبي ﷺ لايخبر بما يخالف الواقع[٣].

---

١. مسند أحمد ٥: ٣٥٠ و٣٥٨، مجمع الزوائد ٩: ١٢٨، السنن الكبرىٰ للنسائي ٥: ١٣٠، كنز العمال ١٣: ١٣٥، تاريخ دمشق ٤٢: ١٩٢، والجميع بلفظ «من كنت وليّه فعليّ وليّه»، وأكثر المصادر بلفظ «فإذا بوجه رسول الله قد احمرّ». والمكباب: أي كثير النظر إلى الأرض.

وهذا غير حديث الغدير، وغير حديث سريّة اليمن لمّا بعث النبي ﷺ علياً إلى اليمن سنة ثمان، وفيها أرجف المنافقون وشكوه إلى النبي ﷺ بعد رجوعهم، فأنكر عليهم النبي ﷺ أشدّ الإنكار حتّى أبصروا الغضب في وجهه، وقال لهم: «ما بال أقوام ينتقصون علياً؟! من أبغض علياً فقد أبغضني، ومن فارق علياً فقد فارقني، إنّ علياً منّي وأنا منه... وإنّه وليّكم بعدي» أخرجه في المعجم الأوسط ٧: ٤٩، ومجمع الزوائد ٩: ١٧٢، وكشف الأستار ٣: ١٩٩.

٢. هامش من المصنِّف: «قال ابن حجر: حديث كثير الطرق جداً. وقال الذهبي في تذكرة الحفّاظ: له طرق جيّدة، وقال السيوطي: متواتر، وقوله ﷺ: «اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» ورد من طرق صحيحة، وبهذا يعرف غلط القاضي أبي بكر ابن العربي حيث قال في العارضة: حديث ضعيف مطعون فيه، ووافقه علىٰ ذلك بعض كبار النواصب» انتهىٰ.

٣. هذا من أعجب ما سمعناه! فهاهو النبي ﷺ قد أخبر بحرمة الزنا وشرب الخمر وحرمة التبرّج، ثم استحلّ الناس ذلك من بعده.

وللزومه الطعن في كلّ الصحابة وخاصّة أكابر المهاجرين والأنصار وتضليلهم؛ لكونهم قدّموا الخلفاء الثلاثة على الإمام علي رضي الله تعالىٰ عنه[١].

فالواجب حمله علىٰ المحبّة والنصر وولاء الإسلام. ويؤيّد ذلك هذا الشطر الأخير: «اللّهم وال من والاه» إلىٰ آخره، وفي ذلك إشارة واضحة إلىٰ عداوة الله عزّ وجلّ لمن عاداه، وولاية الله تعالىٰ لمن والاه وأحبّه، فكلّ من عاداه لغير الله، وبغير حجّة من الله كان عدّواً لله عزّ وجلّ.

علي أحبُّ الخلق إلى الله وإلىٰ رسول الله ﷺ

عن أنس رضي الله عنه قال:

كان عند النبي ﷺ طير، فقال: «اللّهم إيتني بأحبِّ خلقك إليك يأكل معي هـذا الطير» فجاء علي فأكل معه[٢].

---

١. لكنّ النصوص الدالّة على الخلافة والإمامة والرئاسة؛ كحديث الغدير والدار والمنزلة ومن كنت مولاه وتبليغ براءة... لا تقبل التأويل، خصوصاً بعد تأيدها بالقرائن وبالسنن الصحيحة الدالّة على ذلك.

٢. وحديث الطير أو الطائر المشويّ من الأحاديث الصحيحة الثابتة بطرق كثيرة فاقت حدَّ التواتر، حتّى أفرده الحفّاظ بالتأليف والتصنيف لكثرة طرقه؛ كالحافظ ابن مردويه والحاكم النيسابوري والحافظ ابن حمدان والحسين بن مهرة المعروف بالحدّاد وأبي نعيم الإصبهاني والحافظ الذهبي وابن جرير الطبري وآخرين.

قال ابن كثير في البداية والنهاية ٧:٣٨٧: «وهذا الحديث قد صنّف الناس فيه وله طرق متعدّدة»، وقال في ١١:١٦٧: «جمع ابن جرير الطبري كتاباً فيه طرق حديث الطير».

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٩:٣٠٦ في ترجمة الحدّاد: «الإمام الحسن بن مهرة له تأليف في حديث الطير» وقال في ترجمة الحافظ أبي طاهر ابن حمدان: «له مصنّف في طرق حديث الطير» (سير أعلام النبلاء ١٧:٦٦٣ وتذكرة الحفّاظ ٣:١١١٢) وقال أيضاً: «وأمّا حديث

←

وعن النعمان بن بشير ﷺ قال:

استأذن أبوبكر على النبي ﷺ، فسمع صوت عائشة وهي تقول: لقد علمت أنّ

← الطير فله طرق كثيرة جدّاً قد أفردتها بمصنَّف، ومجموعها يوجب أن يكون الحديث له أصل» (تذكرة الحفّاظ ٣:١٠٤٢).

وأخرجه الحافظ ابن عساكر من أربعين طريقاً في تاريخ دمشق ٤٢:٢٤٥ وما بعده.

وقال الحافظ القندوزي في الينابيع ١:١٧٦: «وقد روى أربعة وعشرون حديث الطير عن أنس، منهم سعيد بن المسيّب والسدّي وإسماعيل، ولابن المغازلي حديث الطير من عشرين طريقاً».

والكنجي الشافعي في كفاية الطالب: ١٤٤ أحصى ٨٦ رجلاً كلّهم رووه عن أنس.

وقال الحافظ الخوارزمي في المناقب: ٤٦: «أخرجه ابن مردويه بمائة وعشرين إسناداً».

وقال الحاكم في المستدرك ٣:١٤١ «رواه عن أنس أكثر من ثلاثين نفساً. وصحّت الرواية عن علي وأبي سعيد الخدري وسفينة» ثم ذكر له شواهد أُخر في المستدرك.

وأمّا مصادره في الكتب والمتون والمسانيد فكثيرة جداً، وهذا بعض منها:

مسند أحمد ٣:١٩٧، الجامع الصحيح للترمذي ٥:٦٣٦، مسند أبي يعلى ٧:١٠٥، السنن الكبرى للنسائي ٥:١٠٧ وفيه: «فجاء أبوبكر فردّه ثم جاء عمر فردّه وجاء علي فأذن له»، مجمع الزوائد ٩:١٦٧ من سبعة طرق، وقال: «رواه البزّار والطبراني باختصار، ورجال الطبراني رجال الصحيح، غير فطر بن خليفة وهو ثقة»، المعجم الكبير ١:٢٥٣ و٧:٨٢، المعجم الأوسط ٢:٤٤٣ و٦:٤١٣ و٧:٢٨٨ و٨:٢٢٥ و١٠:١٧١، جامع الأُصول ٨:٦٥٣ رقم ٦٤٩٤، أُسد الغابة ٤:١٠٥، الرياض النضرة ٢:٩٩ من أربع طرق، ذخائر العقبى ١:١١٦، مصابيح السنّة ٤:١٧٣، سبل الهدى ٧:١٩١ وقال: «رواه الترمذي والحاكم وصحّحه وابن السني وأبو نعيم»، نظم درر السمطين: ١٠١، ينابيع المودّة ١:١٧٦ و٢:١٥٠ وقال: «أخرجه الترمذي والجزلي والبغوي في المصابيح»، أخبار أبي نعيم ١:٢٠، كنز العمال ١٣:١١٦، تذكرة الحفّاظ ٣:٩٦٦ و١٠٣٢، مستدرك الحاكم ٣:١٤١، تاريخ دمشق ٤٢:٢٤٥ من أربعين طريقاً، تاريخ بغداد ٣:١٧١، أمالي المحاملي: ٤٤٣، خصائص النسائي: ٥١، كفاية الطالب: ١٤٤، كشف الأستار عن زوائد البزّار ٣:١٩٣، مختصر زوائد البزّار ٢:٣١٦ وشهد له بكثرة الطرق وقال: «قال البزّار: روي عن أنس من وجوه»، فتح الملك العلي: ١٦١ وذكر كلام الذهبي المتقدّم، وغير ذلك من المصادر وهي كثيرة.

علياً أحبّ إليك من أبي، مرّتين أو ثلاثاً. قال: فاستأذن أبوبكر فدخل فأهوىٰ إليها، فقال: يا بنت فلانة، لا أسمعك ترفعين صوتك علىٰ رسول الله ﷺ[١].

والحديثان ظاهرهما يدلّ علىٰ أنّ الإمام علياً رضي الله تعالىٰ عنه أحبّ إلى الله وإلىٰ رسوله ﷺ، ولا مانع يمنع من ذلك، فإنّ فضل الله يؤتيه من يشاء.

غير أنّه يعارضه حديث عمرو بن العاص: أنّ النبي ﷺ بعثه علىٰ جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته فقلت: أيّ الناس أحبّ إليك؟ قال: عائشة، فقلت: من الرجال؟ قال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال: عمر بن الخطّاب، فعدَّ رجالاً[٢].

---

١. مسند أحمد ٤:٢٧٥، السنن الكبرىٰ للنسائي ٥:١٣٩، سبل الهدىٰ ١١:١٤٩ وفيه: قام إليها ليلطمها، مجمع الزوائد ٩:١٧٠، مختصر زوائد البزّار ٢:٣١٧، البداية والنهاية ٦:٥٢ إلّا أنّه ليس فيه عبارة: «إنّ علياً أحبّ إليك من أبي».

٢. مسند أحمد ٤:٢٠٣، المعجم الكبير ٢٣:٤٤.

هذه الرواية ضعيفة، ففي طريقها خالد الحذّاء، وقد أورده العقيلي في الضعفاء ٢:٤ رقم ٤٠٢ وقال: «ضعّف ابن عليّة أمره». وقال الذهبي في المغني في الضعفاء ١:٢٠٦: «كان ابن أبي حاتم يقول: لا أحتجّ بحديثه». وذمّه ابن معين في التاريخ ١:١٠٥ رقم ٥٩٧.

وفي بعض طرقها: قيس بن أبي حازم. قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ١١:٥٣: «عن علي بن المديني: أنّ قيس لا يعمل عليه، إنّما كان أعرابياً بوّالاً علىٰ عقبه. وكان يحيىٰ بن معين يقول: منكر الحديث». وفي شرح النهج ٤:١٠١ قال: «روىٰ وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس أنّه كان يبغض علياً ويقول: أبغضته ودخل بغضه في قلبي!».

وأمّا من جهة دلالته فقد اتّفقت كلمة الأعلام على أنّ فاطمة أفضل نساء الدنيا، وأحبّ الناس لرسول الله ﷺ، قال الزرقاني في شرح المواهب ٢:٣٥٧: «الزهراء البتول أفضل نساء الدنيا حتّىٰ مريم كما اختاره المقريزي والزركشي والقطب الخيضري والسيوطي في كتابيه شرح النقاية وشرح جمع الجوامع». وفي سبل الهدىٰ ١٠:٣٢٨: «قال أبو بكر بن داود: لا أعدل ببضعة رسول الله أحداً».

وصرّح جمع من الأعلام بأفضلية خديجة علىٰ عائشة، كالسهيلي والقرطبي والمناوي ←

ولذلك كان الجمع بينهما واجباً، وقد حمل بعضهم حديث النعمان على أنّ علياً أحبّ إلى رسول الله ﷺ من أهل البيت، وحديث ابن العاص على العموم.

ومع هذا وذاك فليس في الحديث غضاضة، ولا حطّ من قدر الشيخين ولا غيرهما، فإنّ لكلٍّ فضيلة وخصيصة خصّه الله تعالى بها.

حُبُّ عليٍّ حُبٌّ لرسول الله وبغضهُ بغضٌ له ﷺ

عن أُمّ سلمة رضي الله عنها قالت:

أشهد أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحبَّ علياً فقد أحبّني، ومن أحبّني فقد أحبَّ الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله»[1].

وللحديث شاهد عن سلمان ﷺ أنّه قيل له: ما أشدَّ حبّك لعلي! قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحبَّ علياً فقد أحبّني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني»[2].

إنّها لفضيلة أيُّ فضيلة! فأنّى لأحدٍ أن يدركها بهذا التنصيص الخاصّ! فيالها من خصيصة لأبي الحسن رضي الله تعالى عنه!

← والسبكي وغيرهم. قال ابن حجر في فتح الباري ٧: ٥١٩: «وعن ابن العربي: لا خلاف في أنّ خديجة أفضل من عائشة». وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢: ١٤٠: «جزمت بأفضلية خديجة على عائشة». وقد دلّت على جميع ذلك الروايات الصحيحة، وبعض منها متواتر المعنى كحديث «خير نساء العالمين أربع» أو «سيّدات نساء أهل الجنّة أربع» أو «لم يكمل من النساء إلّا أربع» وهنّ: فاطمة وخديجة ومريم وآسية.

فرواية عمرو بن العاص ضعيفة سنداً ومتناً، ولا يعارض ما تقدّم من حديث النعمان وحديث الطير المتواتر، مع أنّ خبر الواحد لا يعارض المتواتر، ولا الصحيح الذي كثرت طرقه وشواهده.

1. المعجم الكبير ٢٣: ٣٨٠، الاستيعاب ٣: ٢٠٤، سبل الهدى ١١: ٢٩٣، كنز العمال ١١: ٦٢٢، ينابيع المودّة ٢: ١٥٥، مجمع الزوائد ٩: ١٨٠ وقال: «رواه الطبراني وإسناده حسن»، ومثله في ٩: ١٧٧ عن أبي رافع و ١٨٠ عن ابن عباس.
2. مستدرك الحاكم ٣: ١٤١ وصحّحه ووافقه الذهبي، المعجم الصغير ٢: ٨٩٧، فيض القدير ٦: ٣٢، مناقب الخوارزمي: ٧٠.

وقد جاء في المغازي من صحيح البخاري عن بريدةﷺ قال:

بعث النبيﷺ علياً إلىٰ خالد ليقبض الخمس، وكنت أبغض علياً، وقد اغتسل، فقلت لخالد: ألا ترىٰ إلى هذا؟ فلمّا قدمنا على النبيﷺ ذكرت له، فقال: «يا بريدة أتبغض علياً»؟ فقلت: نعم، قال: «لا تبغضه، فإنّ له في الخمس أكثر من ذلك»[١]... وقد مرَّ من طريق آخر وبسياق آخر...

ففي هذا الحديث النهي عن بغض علي رضي الله تعالىٰ عنه، ولذلك جاء في رواية أُخرى عن بريدة: فما كان أحد من الناس أحبّ إليّ من علي[٢].

طاعةُ عليٍّ طاعةٌ لرسول اللهﷺ وعصيانُه عصيانٌ له

وهذه فضيلة أُخرىٰ لا تقلّ فخراً عن سابقتها، حيث جعلت طاعة علي طاعة لرسول اللهﷺ وعصيانه عصياناً له.

فعن أبي ذرّﷺ قال:

قال رسول اللهﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصىٰ علياً فقد عصاني»[٣].

إذايةُ عليٍّ إذايةٌ لرسول اللهﷺ

وعن سعد بن أبي وقّاصﷺ قال:

كنت جالساً في المسجد أنا ورجلان معي فنلنا من علي ـ أي سببناه ـ فأقبل

---

١. صحيح البخاري ٤:١٥٨١، الجامع الصحيح للترمذي ٥:٦٣٨، وقريب منه مسند أحمد ٥:٣٥٩، تاريخ دمشق ٤٢:١٩٥، السنن الكبرىٰ للنسائي ٦:٣٤٢، سبل الهدىٰ ٦:٢٣٦، البداية والنهاية ٧:٣٨٠.

٢. مسند أحمد ٥:٣٥١، مجمع الزوائد ٩:١٧٢، السيرة النبوية ٤:٢٠٢، السنن الكبرىٰ للنسائي ٥:١٣٦.

٣. مستدرك الحاكم ٣:١٣٩ وصحّحه ووافقه الذهبي، كشف الأستار عن زوائد البزّار ٣:٢٠١، مختصر زوائد البزّار ٢:٣١٩، كنز العمال ١١:٦١٤.

رسول الله ﷺ غضبان يعرف في وجهه الغضب، فتعوّذت بالله من غضبه، فقال: «ما لكم ولي؟ من آذى علياً فقد آذاني»[١].

وهذه أيضاً، فالإساءة إلىٰ علي بأيّ نوع كان ممّا يوجب إذايته، كان ذلك إذاية لرسول الله ﷺ، وفي ذلك من غضب الله ما لا يخفىٰ... وكفاه بذلك فضلاً ورتبةً عند الله وعند رسوله ﷺ.

الإمام علي مغفور له

عن علي رضي الله تعالىٰ عنه قال:

قال لي رسول الله ﷺ: «يا علي! ألا أُعلّمك كلمات إذا قلتهنّ غُفر لك، مع أنّه مغفور لك: لا إله إلّا الله العلي العظيم، لا إله إلّا الله الحليم الكريم، سبحان الله ربّ السماوات السبع وربّ العرش العظيم، والحمد لله ربّ العالمين»[٢].

وهذه منقبة عظيمة، وبشارة عادلة صادقة من حضرة النبي ﷺ للإمام علي عليه السلام بأنّه مغفور له، ولاشكّ في ذلك، فإنّه من بيت النبوة، ومن أهل بدر الذين قال فيهم نبي الإسلام ﷺ: «إنّ الله اطّلع علىٰ أهل بدر فقال: إصنعوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[٣].

---

١. مسند أبي يعلىٰ ٢:١٠٩ رقم ٧٧٠، مجمع الزوائد ٩:١٧٥ وقال: «رواه أبو يعلىٰ والبزّار باختصار، ورجال أبي يعلىٰ رجال الصحيح»، تاريخ دمشق ٤٢:٢٠٤، البداية والنهاية ٧:٣٨٣، مناقب الخوارزمي: ١٤٩.

٢. الجامع الصحيح للترمذي ٥:٥٢٩، مستدرك الحاكم ٣:١٤٩ وصحّحه ووافقه الذهبي، مسند أحمد ١:٩٢، مصنّف ابن أبي شيبة ٧:٥٥، السنن الكبرىٰ للنسائي ٤:٣٩٧ و٦:١٦٤، صحيح ابن حبّان ١٥:٣٧٢، المعجم الصغير ١:١٢٧، كنز العمال ١:٤٧٨، وجميع المصادر بتقديم «الحليم الكريم» علىٰ «العلي العظيم» عدا كنز العمال.

٣. هذا طرف من حديث طويل في صحيح البخاري ٤:١٤٦٣ و١٨٥٥، ومسند أحمد ١:٨٠.

←

ثم هو من أهل بيعة الرضوان المبشَّرين بالجنّة والمرضيّ عنهم، فهنيئاً له هذه البشارات، فأين يجد أعداؤه والحاقدون عليه من النواصب وأشياعهم؟

علي ممّن مات رسول اللهﷺ وهو عنه راضٍ

والإمام علي رضي الله تعالىٰ عنه من السنّة أهل الشورى الذين قبض رسول اللهﷺ وهو عنهم راضٍ غير ساخط...

ففي المناقب من صحيح البخاري في قصّة قتل عمر وبيعة عثمان، قالوا له: أوصِ يا أمير المؤمنين استخلف. قال: ما أجد أحقَّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط، الذين توفّي رسول اللهﷺ وهو عنهم راضٍ، فسمّىٰ علياً، وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبدالرحمان بن عوف، الحديث.

ورواه أيضاً في الجنائز، وفي الجهاد وفي التفسير مطوّلاً[١].

← وفيه نظر من جهة الدلالة، ولذا حار في تخريجه شرّاح البخاري، ومنهم ابن حجر في فتح الباري ٨: ٣٧ فقد ذكر هناك وجوهاً لتوضيحه، وجميعها لا تخلو من نظر:

قال: إنّه إخبار عن الماضي: أي كلّ عمل كان منكم فهو مغفور، وفيه: أنّه ليس فيه كثير مزيّة، بل حاله حال الإسلام يجُبّ ما قبله.

وقال أيضاً: معناه: إنّ ذنوبهم تقع مغفورة، وفيه: أنّه أسوأ الاحتمالات، لأنّ بعض الصحابة من البدريّين اشتركوا في قضية الإفك على زوجة النبيﷺ وحدّهم النبي لذلك، ففي الإصابة لابن حجر ٦: ٧٤ قال: «إنّ النبي جلد الذين قذفوا عائشة وعدّه منهم» وانظر الطبقات الكبرى ٨: ١٢٨، أفهل يحدّ النبي رجلاً على ذنبٍ مغفور؟!

وقال أيضاً: إنّه بشارة بعدم وقوع الذنوب منهم، وفيه: أنّه قول بالعصمة.

هذا فضلاً عن التشكيك في ألفاظ الحديث من الراوي، وهو سفيان بن عيينة الذي يرويه عن عمرو بن دينار، قال في مسند الحميدي ١: ٢٨: «قال سفيان: فلا أدري أذلك في الحديث أم قولاً من عمرو بن دينار» وهذا التشكيك في ألفاظ الحديث من الراوي يقدح في حجيّته كما هو معروف.

١. صحيح البخاري ٣: ١٣٥٥، مسند أحمد ١: ١٥ وفيه: «قال عمر: إنّ الله لم يكن ليضيع دينه وأمانته...».

الإمام علي أعلم الصحابة وإنّه باب مدينة العلم

وممّا امتاز به سيدنا علي رضي الله تعالىٰ عنه تفوّقه علىٰ غيره من الصحابة في العلوم والمعارف والحكم، شهد له بذلك النبيﷺ ثم الصحابة وغيرهم بعده.

فعن معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبيﷺ ضمن حديث طويل قالﷺ لفاطمة عليها السلام: «أو ما ترضين أنّي زوّجتك أقدم أُمّتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً»[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال:

قال رسول اللهﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب»[٢].

---

١. مسند أحمد ٥:٢٦، مجمع الزوائد ٩:١٢٣ و١٤٧ قال: «رواه الطبراني وأحمد برجال ثقات»، نظم درر السمطين: ١٨٨، كنز العمال ١١:٦٠٥، سبل الهدىٰ ١١:٢٩٩.

٢. هامش من المصنِّف، قال: «الحديث حسن صحيح، ونظراً للقواعد الحديثية حسّنه جماعة من الحفّاظ كصلاح الدين العلائي، وابن حجر في الفتاوي وفي لسان الميزان، والسيوطي في تاريخ الخلفاء، والسخاوي في المقاصد الحسنة، والمناوي في التيسير، كما صحّحه ابن معين وابن جرير والسمرقندي والزركشي والسيوطي في الجامع الكبير، وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة: «إنّه من قسم الحسن، لا يرقىٰ إلى الصحّة، ولا ينحطّ إلى الكذب، أمّا ابن الجوزي فذكره في الموضوعات، وللحافظ الشريف سيدي أحمد بن الصدّيق رحمه الله كتاب في تصحيحه أجاد فيه وأفاد».

هذا وقد رواه جماعة كثيرة، وصحّحه بعض وحسّنه آخرون، منهم:

العجلوني في كشف الخفاء ١: ١٨٤ وقال: «عن أبي سعيد العلائي قال: والصواب أنّه حسن باعتبار تعدّد طرقه، وكذا قال الحافظ ابن حجر في فتاويه، وقال ابن حجر في شرح الهمزية: إنّه حسن، وقال في الفتاوى الحديثية: رواه جماعة وصحّحه الحاكم، وحسّنه الحافظان العلائي وابن حجر».

وقال المناوي في فيض القدير ٣:٤٦: «أفتى بحسنه ابن حجر، وتبعه البخاري فقال: هو حديث حسن» وقال أيضاً: «إنّ بابها هو علي، فمن أخذ طريقه دخل المدينة، ومن أخطأه أخطأ طريق

←

والواقع يؤيِّد معنىٰ هذا الحديث، فقد كان رضي الله تعالىٰ عنه موفّقاً مهدياً، صادق اللهجة، ثابت اللسان.

كما شهد له بذلك رسول الله ﷺ حينما بعثه إلى اليمن، فقال: تبعثني إلىٰ قوم يكون بينهم أحداث ولا علم لي بالقضاء، قال: «إنَّ الله سيهدي لسانك، ويثبّت قلبك» قال: فما شككت في قضاء بين اثنين بعد.

وفي رواية: فوضع يده علىٰ صدري وقال: «اللّهم ثبّت لسانه واهد قلبه»[١].

← الهدىٰ، وقد شهد له بالأعلمية الموافق والمخالف، والمعادي والمحالف، وقد علم الأوّلون والآخرون أنّ علم كتاب الله منحصر الىٰ علي، ومن جهل ذلك فقد ضلّ».

ورواه الحاكم في المستدرك ٣:١٢٧ من عدّة طرق وصحّحها جميعاً، ورواه الحسكاني في شواهد التنزيل ١:١٠٤ من عدّة طرق، وفي سبل الهدىٰ ١:٥٠٩ قال: «روىٰ الترمذي مرفوعاً وغيره «أنا مدينة العلم وعلي بابها»، والصواب أنّه حسن كما قال الحافظان العلائي وابن حجر»، وحسّنه العلّامة الفتني في التذكرة: ٩٥، وفي تاريخ دمشق ٤٢: من عدّة طرق من صفحة ٣٧٧ إلى ٣٨٣، ورواه في تاريخ بغداد ٣:١٨١ و٥:١١٠، وينابيع المودّة ١:٢٢٠ عن الأصبغ، ومن طريق آخر عن حذيفة بن اليمان وفي ٢:٩١ قال: «للعقيلي وابن عدي والطبراني في الكبير والحاكم عن ابن عباس، ورواه ابن عدي والحاكم عن جابر» وفي ٢:٣٠٢ عن جابر وأنس وابن مسعود. وفي ٢:٣٩٢ قال: «أخرجه البزّار والطبراني في الأوسط عن جابر، والطبراني والحاكم والعقيلي عن ابن عمر». وفي تهذيب الكمال ١٨:٧٧ قال: «قال القاسم: سألت يحيىٰ بن معين عن هذا الحديث فقال: هو صحيح»، المعجم الكبير ١١:٥٥، مناقب الخوارزمي: ٨٣، كنز العمال ١٣:١٤٨، الجامع الصغير ١:٣١٤.

وللعلّامة المحدّث أحمد بن الصدّيق الغماري كتاب أسماه «فتح الملك العليّ بصحّة مدينة العلم علي» أثبت فيه صحّة الحديث واستوعب أكثر طرقه، وهو بحث قيّم في تصحيح سنده وطرقه ورجاله، وفيه الكثير من الفوائد العلمية القيّمة.

كما وللعلّامة السيد العلوي المالكي كتاب مماثل أسماه: «دفع الارتياب عن حديث الباب» أثبت فيه أيضاً صحّة الحديث، وصحّة كثير من طرقه.

١. سنن أبي داود ٢:٥٥١ باب كيفية القضاء، مسند أحمد ١:٨٣، مستدرك الحاكم ٣:١٤٦ ←

قال سيدنا عمر: أقرأنا أُبيّ، وأقضانا علي [١].

وورد عنه كلام كثير في علم علي:

- كقوله: أعوذ بالله من معضلةٍ ليس لها أبو الحسن [٢].
- وقوله: لولا علي لهلك عمر [٣].
- وقوله: لا يفتينَّ أحد في المسجد وعليٌّ حاضر [٤].
- وقوله: كاد يهلك عمر بن الخطاب لولا علي بن أبي طالب [٥].
- وقوله: ردّوا قول عمر إلىٰ علي، لولا علي لهلك عمر [٦].
- وقوله: اللّهم لا تبقني لمعضلةٍ ليس لها ابن أبي طالب [٧].
- وقوله: اللّهم لا تنزل بي شديدةً إلّا وأبو الحسن إلىٰ جنبي [٨].
- وقوله: عجزت النساء أن تلدن مثل علي بن أبي طالب [٩].

← وصحّحه، مصنَّف ابن أبي شيبة ١٣:٧، السنن الكبرىٰ للبيهقي ٨٦:١٠، مسند أبي يعلىٰ ٣٢٣:١، السنن الكبرىٰ للنسائي ١١٦:٥، أُسد الغابة ٩٥:٤، تاريخ دمشق ٣٨٨:٤٢، مغني المحتاج ٣٧٢:٤ وقال: «صحيح الإسناد»، كنز العمال ١١٣:١٣، كشف الخفاء ١٤٨:١ آخر باب الهمزة مع القاف، سبل الهدى ٢٦:١٠ وقال: «رواه الحاكم وصحّحه»، الرياض النضرة ١٤٤:٣.

١. المعجم الأوسط ٣٥١:٨، كشف الخفاء ١٤٧:١، الرياض النضرة ١٤٣:٣، تهذيب الكمال ٤٨٥:٢٠، سير أعلام النبلاء ٣٩١:١.

٢. الإصابة ٤٦٨:٤، تهذيب الكمال ٤٨٥:٢٠، أُسد الغابة ٩٦:٤، تاريخ دمشق ٤٠٦:٤٢، كنز العمال ٣٠٠:١٠.

٣. الرياض النضرة ١٣٩:٣، ذخائر العقبىٰ: ١٤٩، نظم درر السمطين: ١٣٠، فيض القدير ٣٥٧:٤، تذكرة الخواصّ: ١٣٧، مناقب الخوارزمي: ٨١، ينابيع المودّة ٢١٦:١ و١٤٧:٣.

٤. شرح النهج ١٨:١ وقال: وعرف من هذا الوجه انتهاء الفقه إليه.

٥. كفاية الطالب: ٢١٩ الباب ٥٧ وقال: «كاد يهلك ابن الخطاب لولا علي».

٦. لم نعثر على نصّه، ولكن من شواهده القريبة جامع بيان العلم ٩٢٠:٢، السنن الكبرىٰ للبيهقي ٤٤١:٧.

٧. الرياض النضرة ١٣٩:٣، ذخائر العقبىٰ: ١٤٩، نظم درر السمطين: ١٣٢، مناقب الخوارزمي: ٩٧.

٨. الرياض النضرة ١٣٩:٣، ذخائر العقبىٰ: ١٤٩، كنز العمال ٢٥٧:٥، نظم درر السمطين: ١٣٠.

٩. مناقب الخوارزمي: ٨١، ينابيع المودّة ٢٢٧:١ و١٤٦:٣.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال:

أُتي عمر بمجنونة قد زنت، فاستشار فيها أُناساً، فأمر بها عمر أن تُرجم، فمرّ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال: ما شأن هذه؟ قالوا: مجنونة بني فلان زنت، فأمر بها عمر أن تُرجم، قال: فقال: ارجعوا بها، ثم أتاه، فقال: يا أمير المؤمنين، أما علمت أنَّ القلم رُفع عن ثلاثة: عن المجنون حتّىٰ يبرأ، وعن النائم حتّىٰ يستيقظ، وعن الصبيّ حتّىٰ يعقل؟ قال: بلىٰ، قال: فما بال هذه تُرجم؟ قال: لا شيء، قال: فأرسلها، قال: فأرسلها، قال: فجعل يكبّر [١].

فلولا سيدنا علي وفقهه لذهبت المجنونة المسكينة ضحيّة خطأ، ولذلك كبّر سيدنا عمر رضي الله عنه.

ومن قضاياه الدالّة علىٰ وفور علمه: ما جاء عن أبي عبدالرحمان السلمي قال: أُتي عمر بن الخطاب بامرأةٍ جهدها العطش فمرّت علىٰ راعٍ فاستسقت، فأبىٰ أن يسقيها إلّا أن تمكّنه من نفسها، ففعلت، فشاور الناس في رجمها، فقال علي: هذه مضطرّة، أرىٰ أن تخلّي سبيلها، ففعل [٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنه: كنّا إذا أتانا الثبت عن علي لم نعدل به [٣].

وقالت عائشة رضي الله عنها: أما إنّه أعلم الناس بالسنّة [٤].

---

١. الشرح الكبير لابن قدامة ١٠:١١٩، فتح الباري ١٤:٨٠، سنن أبي داود: ٦٦٥، سبل الهدى ٩:١٩٨.

٢. الشرح الكبير لابن قدامة ١٠:١٨٥، مغني المحتاج ٤:١٤٥، السنن الكبرىٰ للبيهقي ٨:٢٣٦، إرواء الغليل ٧:٣٤١ وقال: «صحيح أخرجه البيهقي».

٣. الإصابة ٤:٤٦٧، أُسد الغابة ٤:٩٦، الاستيعاب ٣:٢٠٧، تهذيب الكمال ٢٠:٤٨٦، تهذيب التهذيب ٧:٢٨٧، فتح الملك العلي: ٧٣.

٤. التاريخ الكبير للبخاري ٢:٢٥٥ رقم ٢٣٧٧ و٣:٢٢٨ رقم ٧٦٧، تاريخ دمشق ٤٢:٤٠٨، نظم ←

وقال ابن مسعود ﷺ: كنّا نتحدَّث أنّ أقضىٰ أهل المدينة علي بن أبي طالب [١].

وعن عمرو بن حُبشي قال: خطبنا الحسن بن علي رضي الله تعالىٰ عنهما بعد قتل علي، فقال: «لقد فارقكم رجل بالأمس، ما سبقه الأوّلون بعلم ولا الآخرون...» [٢].

وقال سعيد بن المسيّب: ما كان أحد بعد رسول الله ﷺ أعلم من علي بن أبي طالب. رواه الدولابي في الأسماء والكنى [٣].

وسئل عطاء بن أبي رباح: أكان في أصحاب محمد ﷺ أحد أعلم من علي بن أبي طالب؟ قال: لا والله، ما أعلمه [٤]. رواه ابن أبي خيثمة.

قال ابن الأثير في «أُسد الغابة» بعد أن أورد كثيراً ممّا ذكرناه في علم علي رضي الله تعالىٰ عنه: ولو ذكرنا ما سأله الصحابة مثل عمر وغيره رضي الله تعالىٰ عنهم لأطلنا [٥].

← درر السمطين: ١٣٣، مناقب الخوارزمي: ٩١، ينابيع المودّة ٢:١٧١، الجوهرة للبري: ٧٢، فتح الملك العلي: ٧٣.

١. مستدرك الحاكم ٣:١٤٥ وصحّحه، أُسد الغابة ٤:٩٥، ينابيع المودّة ٢:٤٠٥، فتح الملك العلي: ٧٢، كشف الخفاء ١:١٤٨، الطبقات الكبرىٰ ٢:٣٣٨، تاريخ دمشق ٤٢:٤٠٤ وذكر له شواهد كثيرة وبطرق متعدّدة مثل: «كنّا بالمدينة وأقضانا علي» و «أقضىٰ أهل المدينة علي بن أبي طالب» و «أعلم أهل المدينة بالفرائض علي بن أبي طالب» و «أفرض أهل المدينة وأقضاها علي بن أبي طالب»، وغير ذلك مما يدلّ على أنّه أعلم الصحابة بلا منازع.

٢. مسند أحمد ١:١٩٩، مصنّف ابن أبي شيبة ٧:٥٠٢، البداية والنهاية ٧:٣٦٨، تاريخ دمشق ٤٢:٥٧٨، المعجم الكبير ٣:٨٠، نظم درر السمطين: ١٤٧.

٣. الكنىٰ والأسماء ١:١٩٧، الاستيعاب ٣:٢٠٦، فتح الملك العلي: ٧٨.

٤. الاستيعاب ٣:٢٠٦، أُسد الغابة ٤:٩٥، تاريخ دمشق ٤٢:٤١٠، فيض القدير ٣:٤٧ ذكره في شرح حديث «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»، شواهد التنزيل ١:٤٩.

٥. أُسد الغابة ٤:٩٦.

أنّ الحقّ مع علي
وإنّه كان مصيباً في حروبه للبغاة والخوارج

ومن مناقبه العظيمة أنّ الحقّ كان حليفه في جميع تصرّفاته، وأنّ مقاتليه كانوا بغاةً معتدين عليه، وأنّه كان مصيباً في جميع حروبه، سواء وقعة الجمل أو صفّين أوالنهروان، وأنّ الحقّ دائماً كان في جانبه.

فعن أبي ذرّ‌رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: «يا علي، من فارقني فارق الله، ومن فارقك فارقني»[١].

ومعنىٰ هذا: أنّ من فارق الإمام علياً ولم ينصره، ولم يكن في صفّه وحاربه، فكأنّه فارق رسول الله صلى الله عليه وآله وخذله وحاربه، ومن فعل ذلك فارق الله.

وعن أبي سعيد الخدري‌رضي الله عنه قال:

كنّا عند بيت النبي صلى الله عليه وآله في نفرٍ من المهاجرين والأنصار، فقال: «ألا أُخبركم بخياركم؟» قالوا: بلى، قال: «الموفون المطيّبون، إنّ الله يحبّ الخفيّ التقيّ».

قال: ومرّ علي بن أبي طالب فقال: «الحقّ مع ذا، الحقّ مع ذا»[٢].

---

١. مستدرك الحاكم ١٣٣:٣ وصحّحه، مجمع الزوائد ١٨٥:٩ وقال: «رواه البزّار ورجاله ثقات» فيض القدير ٣٥٧:٤ ذكره في شرح حديث «علي مع القرآن» وقال: «أخرجه البزّار عن أبي ذر» المعجم الكبير ٣٢٣:١٢ عن عمر، كشف الأستار عن زوائد البزّار ٢٠١:٣، كنز العمال ٦١٤:١١ عن أبي ذرّ وابن عمر، تاريخ دمشق ٣٠٧:٤٢، مناقب الخوارزمي: ١٠٥، سبل الهدىٰ ٢٩٤:١١، ينابيع المودّة ٢٧٢:١.

٢. مسند أبي يعلىٰ ٣١٨:٢، كنز العمال ٦٢١:١١، تاريخ دمشق ٤٩٩:٤٢.

وقد وردت أخبار كثيرة في أنّ علياً مع الحقّ والحقّ مع علي‌عليه السلام، قال في شرح النهج ٢٩٧:٢: ثبت عنه صلى الله عليه وآله في الأخبار الصحيحة أنّه قال: «علي مع الحقّ والحقّ مع علي، يدور معه حيثما دار» وأُنظر: مجمع الزوائد ٤٧٥:٧، تاريخ بغداد ٣٢٢:١٤، تاريخ دمشق ٤٤٩:٤٢، ينابيع ←

فالحديث صريح في أنَّ الحقّ في جانب الإمام علي رضي الله تعالىٰ عنه.

حروب الإمام علي التي كان محقاً فيها أنواع ثلاثة

▣ النوع الأول: وقعة الجمل في حربه مع طلحة والزبير وعائشة.

▣ الثاني: في حربه لمعاوية وأهل الشام.

▣ الثالث: في حربه للخوارج الذين خرجوا من صفّه.

وقد جاءت أحاديث وأخبار تؤذن بحقّيته وصوابه رضي الله تعالىٰ عنه في كلّ ذلك[1] وهي من المعجزات النبوية الخالدة.

← المودّة ٢:١٧٣، البداية والنهاية ٧:٣٩٨ وقال: «ورد عن أبي سعيد وأُم سلمة».

وكذا قوله ﷺ: «علي مع القرآن والقرآن مع علي» فهذا يدلّ على أنّ علياً ﷺ مع الحقّ دوماً والحقّ معه دوماً، انظر فيض القدير ٤:٣٥٧، كنز العمال ١١:٦٠٣، سبل الهدىٰ ١١:٢٩٧، مناقب الخوارزمي: ١٧٧، وغيرها من أحاديث تدلّ علىٰ هذا المعنىٰ.

١. أقول: جاء في الكلّ، الحديث الصحيح «أمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين» عن علي وأبي أيوب وأبي سعيد الخدري وعمّار وغيرهم، مستدرك الحاكم ٣:١٥٠، مسند أبي يعلى ١:٣٩٧ و٣:١٩٤، مجمع الزوائد ٥:٢٣٨، المعجم الكبير ٤:١٧٢ و١٠:٩١، كنز العمال ١١:٢٩٢ و١٣:١١٣، سبل الهدى ١٠:١٥٠ و١١:٢٩٠، البداية والنهاية ٧:٣٣٨، شرح النهج ١:٢٠١ وقال: هذا الخبر من دلائل نبوّته ﷺ؛ لأنّه إخبار صحيح بالغيب لا يحتمل التمويه والتدليس.

ثم الناكثون هم أصحاب الجمل، سمّاهم النبي ﷺ بذلك لأنّهم نكثوا بيعة أمير المؤمنين وإمام زمانهم وخليفة المسلمين الشرعي، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ الفتح: ١٠، بحجّة الطلب بدم عثمان، وتقدّم أنّهم أول من ألّب الناس وحرّضهم عليه.

وأمّا القاسطون فهم معاوية وأتباعه من أهل الشام وغيرهم، سمّاهم النبي ﷺ لأنّهم قسطوا عن الحقّ ومالوا عنه، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ الجن: ١٥.

←

ففي النوع الأول جاء التالي: عن جري بن سمرة قال:

لمّا كان من أهل البصرة الذي كان بينهم وبين علي بن أبي طالب انطلقت حتّى أتيت المدينة، فأتيت ميمونة بنت الحارث[١]، وهي من بني هلال، فسلّمت عليها، فقالت: ممّن الرجل؟ قلت: من أهل العراق، قالت: من أيّ أهل العراق؟ قلت: من أهل الكوفة، قالت: من أيّ أهل الكوفة؟ قلت: من بني عامر، قالت: مرحباً، قرباً علىٰ قرب، ورحباً على رحب، ما جاء بك؟ قلت: كان بين علي وطلحة الذي كان، فأقبلت فبايعت علياً، قالت: فالحق به، فوالله ما ضلَّ ولا ضُلَّ به، حتّى قالتها ثلاثاً[٢].

فميمونة أمّ المؤمنين رضي الله تعالىٰ عنها لم تقل هذا من عنديّتها، وإنّما قالت ذلك اعتماداً علىٰ ما سمعته من رسول الله ﷺ.

وعن أبي رافع ﷺ:

أنّ رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: «إنّه سيكون بينك وبين عائشة أمر»، قال: أنا يا رسول الله؟! قال: «نعم»، قال: أنا؟! قال: «نعم» قال: فأنا أشقاهم

← وأمّا المارقون فهم الخوارج، سمّاهم النبي ﷺ بذلك لخروجهم عن الإسلام، قال ﷺ: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة» (يأتي كلام عنه)، ولذا حكم العلماء بكفرهم وخروجهم من ملّة الإسلام.

١. ميمونة بنت الحارث هي زوجة النبي ﷺ ومن أُمهات المؤمنين، اسمها برّة، وسمّاها النبي ﷺ ميمونة، وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ (مصنّف ابن أبي شيبة ٨:٢٥٩، كنز العمال ١٣:٦٨٩) وهي أُخت أسماء بنت عميس لأُمها، وخالة ابن عباس، تزوّجها النبي ﷺ بعد قدوم جعفر من الحبشة، وتوفّيت عام الحرّة سنة ثلاث وستين، لها روايات عن النبي ﷺ، فلها في مسند ابن راهويه (٣٤) حديثاً وفي مسند ابن مخلد (٧٦) حديثاً، ولها في الصحيحين (١٣) حديثاً اتّفقا علىٰ سبعة وانفرد مسلم بخمسة والبخاري بواحد، وأكثر رواياتها في مسائل الفقه والحلال والحرام.

٢. مستدرك الحاكم ٣:١٥٢ وصحّحه ووافقه الذهبي، المعجم الكبير ٢٤:١٠، مجمع الزوائد ٩:١٨٤ وقال: «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، غير جري بن سمرة وهو ثقة».

يا رسول الله؟! قال: «لا، ولكن إذا كان ذلك، فارددها إلىٰ مأمنها»[١].

وهذا الحديث الشريف مع كونه يتضمّن معجزة للنبي ﷺ يشير إلىٰ أمرين اثنين هامّين:

▣ أحدهما: حقّية الإمام علي وأنّه الأولىٰ بالصواب، وأنّه لم يكن شقيّاً في حرب الجمل.

▣ وثانياً: خطأ مولاتنا عائشة في اجتهادها، وأنّها لم تخرج بفعلها ذلك عن زوجيّتها لرسول الله ﷺ، وأنّها لا تزال موضع احترام وتقدير، ولذلك أمر النبي ﷺ سيّدنا علياً أن يردّها إلىٰ بيتها ومحلّ أمنها[٢].

وقد جاء في حديث آخر لأُم سلمة عنه ﷺ أنّه قال لعلي: «إن وليت من أمرها شيئاً فارفق بها»[٣].

وقد امتثل ما أمره به رسول الله ﷺ، فأحسن إليها وردّها إلى المدينة مكرّمةً محترمة.

وعن قيس بن أبي حازم قال:

لمّا أقبلت عائشة فنزلت بعض مياه بني عامر نبحت عليها الكلاب، فقالت: أيُّ

---

١. فتح الباري ١٤:٥٥٧، مسند أحمد ٦:٣٩٣، مجمع الزوائد ٧:٤٧٤، المعجم الكبير ١:٣٣٢، سبل الهدىٰ ١٠:١٤٩، كنز العمال ١١:١٩٦.

٢. ليس في هذا الحديث أيُّ دلالة علىٰ أنَّ خروجها كان عن اجتهاد، كما والأمر بإرجاعها لا يدلّ على شيء، فلو كانت غيرها من النساء لأمر النبي ﷺ بذلك، ولعلّ روايات كلاب الحوأب تؤيّد ذلك.

٣. سنن ابن ماجة ٢:٨٢٧ والحديث هو عن أُم سلمة: «ذكر النبي ﷺ خروج بعض أُمّهات المؤمنين فضحكت عائشة، فقال: انظري يا حميراء أن لا تكوني أنت، ثم التفت إلى علي فقال: إن وليت من أمرها شيئاً فارفق بها» مستدرك الحاكم ٣:١٢٩ وصحّحه، سبل الهدىٰ ١٠:١٤٨ وقال: «أخرجه الحاكم وصحّحه، والبيهقي عن أُم سلمة»، مناقب الخوارزمي: ١٧٦.

ماء هذا؟ قالوا: الحوأب، قالت: ما أظنُّني إلّا راجعة، فقال لها بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم، فقالت: إنّ النبيﷺ قال ذات يوم: «كيف بإحداكنّ تنبح عليها كلاب الحوأب»[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنه:

أنّ رسول اللهﷺ قال لنسائه: «أيّتكنّ صاحبة الجمل الأدبب، تخرج حتّى تنبحها كلاب الحوأب، يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلىٰ كثيرة، وتنجو بعدما كادت؟»[٢].

فهذه الأحاديث كالنصّ في حقّيّة علي رضي الله تعالىٰ عنه في وقعة الجمل، وأنّه

---

١. مستدرك الحاكم ٣: ١٢٠، مجمع الزوائد ٧: ٤٧٤ وقال: «رواه أحمد وأبو يعلىٰ والبزّار، ورجال أحمد رجال الصحيح»، مسند أحمد ٦: ٥٢ و٩٧، فتح الباري ١٤: ٥٥٧ وقال: «أخرجه أحمد وأبو يعلىٰ والبزّار وصحّحه ابن حبّان وسنده علىٰ شرط الصحة»، مصنّف ابن أبي شيبة ٨: ٧٠٨ وأضاف: «أنّها لمّا حضرتها الوفاة أوصت أن يدفنوها مع أزواج النبيﷺ وقالت: فإنّي كنت أحدثت بعده حدثاً»، مسند ابن راهويه ٢: ٣٢ و٣: ٨٩١، مسند أبي يعلىٰ ٨: ٢٨٢، صحيح ابن حبّان ١٥: ١٢٦، البداية والنهاية ٧: ٢٥٨ وفيه: «أنّها قالت: أنا والله صاحبة ماء الحوأب»، تذكرة الحفّاظ ١: ٦١ أخرجه من حديث قيس وقال: «حديثه محتجٌّ به في كلّ دواوين الاسلام»، سبل الهدىٰ ١٠: ١٤٨، كنز العمال ١١: ٣٣٤، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٨١، شرح النهج ٦: ٢٢٥، تاريخ ابن خلدون ٢: ١٥٥، سير أعلام النبلاء ٢: ١٧٧ وقال: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه» وفي ٤: ٢٠٠ قال: «إسناده صحيح».

والحوأب: موضع ماء من مياه العرب معروف علىٰ الطريق بين مكّة والبصرة، نبحت كلابه عائشة في مسيرها إلى البصرة.

٢. فتح الباري ١٤: ٥٥٧، مجمع الزوائد ٧: ٤٧٤، مصنّف ابن ابي شيبة ٨: ٧١١، مسند ابن راهويه ٢: ٣٢، سير أعلام النبلاء ٢: ١٩٨ وقال: «قال ابن عبدالبرّ: هذا الحديث من إعلام النبوة»، سبل الهدىٰ ١٠: ١٤٩ و١٥١، الفائق في غريب الحديث ١: ٣٥٣ وفيه: «ليت شعري أيّتكن صاحبة...»، النهاية ٢: ٩٦.

والجمل الأدبب: الكثير وبر الوجه. وقوله: «تنجو بعدما كادت» أي: من القتل.

كان مصيباً، وأنّ محاربيه بغاة، لكنّهم كانوا مجتهدين.

وقصدهم الصلح بين المسلمين بدليل حديث أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتّىٰ تقتتل فئتان عظيمتان بـينهما مـقتلة عظيمة، دعواهما واحدة»[١].

فالفئتان هما فئة علي وفئة طلحة والزبير، وقوله: دعواهما واحدة، أي: كلٌّ من الطائفتين كان يدّعي أنّ الحقّ في جانبه، فكان ذلك مصدر الاجتهاد، فأصاب علي وأخطأ محاربوه، وغفر لهم خطأهم، وكيف لا وفيهم طلحة والزبـير مـن العشـرة المبشّرين بالجنّة[٢]، ومن البدريّين، وفيهم أُمّ المؤمنين حبيبة رسول الله ﷺ وزوجته

---

١. صحيح البخاري ٣: ١٣٢٠، صحيح مسلم ٤: ٢٢١٤، مسند أحمد ٢: ٣١٣. ولو سلّمنا صحّة هذا الحديث، فلا ينطبق علىٰ حرب الجمل، وليس فيه أيّ قرينة علىٰ ذلك، بل القرينة على خلافه، فأول الحديث عبارة: «لا تقوم الساعة» يدلّ علىٰ أنّه من أخبار وعلامات آخر الزمان، وذكره البخاري في الفتن ٦: ٢٦٠٦ وذكر بعد عبارة: «حتّىٰ تكثر الزلازل ويتقارب الزمان...» وذكره في ٣: ١٣٢٠ وذكر بعده عبارة: «ولا تقوم الساعة حتّىٰ يبعث دجّالون...»، فتطبيقه على حرب الجمل تكلّف واضح.

٢. هذا الحديث (العشرة المبشّرة) من الأحاديث المشكلة متناً وسنداً، فأمّا المتن ففيه نظر لأُمور:

أولاً: إنّ قتالهم لعلي ونكثهم للبيعة دليل لوحده علىٰ ذلك، فقد تقدّم أنّ حربَ علي حـربٌ لرسول الله ﷺ.

ثانياً: أنّ أمير المؤمنين ردّ هذا الحديث في احتجاجه على القوم يوم الجمل.

ثالثاً: الحديث المروي عن النبي ﷺ: «أما إنّك ستقاتله وأنت ظالم له» وقد ذكّره الإمام علي به يوم الجمل، فقال الزبير: نيست، أو ذكّرتني ما أنسانيه الدهر (مستدرك الحاكم ٣: ٣٧٧، فتح الباري ١٤: ٥٥٧، مجمع الزوائد ٧: ٤٧٥).

رابعاً: كيف يشهد النبي ﷺ بالجنّة لمن آذاه، علىٰ ما ذكر المفسّرون والمؤرّخون في سبب نزول قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ الأحزاب: من الآية ٥٣ (راجع الدرّ المنثور ٦: ٦٤٣، ←

في الدنيا الآخرة مولاتنا عائشة، وهي من الرؤساء، لكنَّ الحقّ لا يستحيي من أحد، وهو أولىٰ من كلّ قريب وحبيب وصديق.

ولذلك قال عمّار بن ياسر رضي الله عنه في ذلك الموقف، وهو من أكابر أنصار الإمام علي رضوان الله تعالىٰ عليه: «إنَّ عائشة قد سارت إلى البصرة، ووالله إنّها لزوجة نبيّكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، ولكنّ الله تبارك وتعالىٰ ابتلاكم ليعلم إيّاه تطيعون أم هي»[١].

قال الحافظ في الفتح: ومراد عمّار بذلك: أنّ الصواب في تلك القصة كان مع علي، وأنّ عائشة مع ذلك لم تخرج عن الإسلام، ولا أن تكون زوجة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنّة، فكان ذلك يُعَدُّ من إنصاف عمّار، وشدّة ورعه، وتحرّيه قول الحقّ، انتهىٰ[٢].

قلت: وليس لنا أن نطعن فيها وفي طلحة والزبير ونتنقدهم ونبغضهم، كما يفعله الروافض.

وعن عمرة قالت:

لمّا سار عليٌّ إلى البصرة دخل على أُم سلمة يودِّعها، فقالت: «سِرْ في حفظ الله وفي كنفه، فوالله إنّك لعلى الحقّ، والحقّ معك، ولولا أنّي أكره أن أعصي الله ورسوله فإنّه أمرنا صلى الله عليه وسلم أن نقرّ في بيوتنا لسرت معك، ولكن والله لأُرسلنّ معك من هو أفضل عندي وأعزُّ عليَّ من نفسي ابني عمر»[٣].

← وتفسير عبدالرزاق ٣:١٢٢، وفتح القدير ٤:٢٩٩) وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً﴾ الأحزاب: ٥٧.

وأمّا السند فإنّ هذا الحديث لم يروه إلّا سعيد بن زيد، ولم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم غيره، ولم يُحدِّث به إلّا في زمان عثمان، وكان سعيد بن زيد والياً لمعاوية على الكوفة (الطبقات الكبرى ٦:١٣).

١. صحيح البخاري ٦:٢٦٠٠، فتح الباري ١٤:٥٦١، البداية والنهاية ٨:١٠١.

٢. فتح الباري ١٤:٥٦١، ولاحظ الحاشية السابقة.

٣. مستدرك الحاكم ٣:١٢٩ وصحّحه ووافقه الذهبي في التلخيص.

فإقسام هذه السيدة رضي الله تعالىٰ عنها علىٰ حقّية علي، وأنّ الحق معه، لا يكون ذلك منها إلّا عن توقيف من الشارع[١]، ولاسيما وأنّها من أهل بيت النبوة.

ولما ذكرناه وغيره اتّفق أهل السنّة علىٰ أنّه رضي الله تعالىٰ عنه كان إذ ذاك إمام المسلمين، وأفضل الناس بالإجماع، وأنّ أهل الحلّ والعقد بايعوه عقيب قتل عثمان، ولم يتخلّف عنه إلّا معاوية بالشام وبعض بني أُمية الذين لا اعتبار بهم، ولذلك عُدّوا من البغاة.

أمّا سبب وقعة الجمل ـ تلك الفتنة العمياء، والرزيّة الشنعاء ـ هو أنّه لمّا بويع علي رضي الله تعالىٰ عنه، وكان من المبايعين له طلحة والزبير، فكلّماه في شأن قتلة عثمان ليقتصّوا منهم، تريّث لذلك وقال لهما: حتّى تتمّ البيعة، ويأتي أهله للمطالبة بدمه، فحينئذٍ نحكم فيهم، فخالفه طلحة والزبير فخرجا قاصدين البصرة بصحبة عائشة للمطالبة بقتلة عثمان[٢]. فلمّا بلغ علياً ذلك خرج وراءهم، ورأىٰ أنّهم نكثوا البيعة، فلمّا لحق بهم كلّمهم في ذلك فرجعوا للحقّ، ولكن قتلة عثمان ـ وكان أغلبهم من الكوفة في جيش الإمام علي ـ تآمروا ليلاً وقالوا: إن وقع الصلح فسوف يقتصّ منا، فنشّبوا القتال، فثار الجمعان، فكان ما كان بدون علم من رؤساء الفريقين.[٣]

---

١. لاحظ دقّة كلام أُم سلمة من أنّ الخروج عصيان لله وللرسول ﷺ، وأنّ النبي أمر بذلك، مع أمر الشارع: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾.

٢. ما ذكره المصنّف لم يثبت تاريخياً، بل الثابت أنّ طلحة كان من قتلة عثمان (البداية والنهاية ٧:٢٧٦ وقال: هو المشهور، ومستدرك الحاكم ٣:٣٨١، تاريخ المدينة ٤:١١٧١، سير أعلام النبلاء ١:٣٦، تاريخ دمشق ٢٥:١١٣، تاريخ خليفة بن خياط: ١٣٩).

كما أنّ من الثابت أنّهما ليس لهما الحقّ في المطالبة بدم عثمان، فليس هما بأولياء المقتول ولا أولياء الدم، وقد بيّن لهم الإمام علي ؑ ذلك، وأنّ هذا هو حكم الله ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً﴾ (الإسراء: من الآية ٣٣).

٣. والحقيقة هي أنّ أكثر قتلة عثمان من أهل مصر وأهل المدينة، وكانوا يسمّون أنفسهم بجيش

←

وقد اتّفق العلماء والأئمة علىٰ أنّ خروج طلحة والزبير وعائشة لهـذا الصـلح والمطالبة بدم عثمان في ذلك الوقت بالذات كان خطأً عظيماً منهم[١]، وغفر لهم، وقد فعل ولا شكّ، وكان الصواب مع علي رضي الله تعالىٰ عنه، إذ لو طلب دم عثمان في أوائل الأمر لحصلت فتنة عظيمة، ولثار عليه أكثر الناس، ولوقع أعظم ممّا نـزل، والأمر لله يفعل ما يشاء، فقد كان قدراً مقدوراً.

* * *

وأمّا النوع الثاني: وهو حربه لمعاوية، فأدلّته كثيرة، ولكن أظهرها وأصـرحـها حديث: «تقتل عمّاراً الفئة الباغية» وهو نصّ في القرآن أنّ معاوية ومن كان معه من أهل الشام وقليل من الصحابة[٢] كانوا بغاة ضدّ الإمام علي الذي اتّفق علىٰ بيعته أهل الحلّ والعقد من المهاجرين والأنصار...

ولمّا بعث إلىٰ معاوية أن يبايعه امتنع واعتذر بأنّه لا يبايع حتّىٰ يأخـذ له الثأر لابن عمه عثمان، فأجابه عليٌّ بأن يدخل فيما دخل فيه الناس، ثم يتحاكمون إليه

← المروّة، فراجع تاريخ المدينة ٤: ١١٨٤، والبداية والنهاية ٦: ٢٤٣، وتاريخ ابن خلدون ٣: ٣٩. ثم إنَّ مَنْ أجَّجَ القتال وكان يريده هو غير هذين الرجلين، فراجع الإمامة والسياسة: ٥٧ الى صفحة ٧٠). ثم كيف يحصل قتال بين معسكرين عظيمين يُقتل فيه عشرون ألفاً من دون علم الرؤساء!!

١. هامش من المصنّف قال: «وكيف لا، ومن رؤسائه المرأة مولاتنا عائشة. وقد قال نـبيّناﷺ: لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة، رواه البخاري وغيره» انتهىٰ.

أقول: ونضيف إليه ما رواه ابن حجر في فتح الباري ١٤: ٥٥٨ في صحيح البـخاري ٦: ٢٦٠٠ مثله.

٢. هامش من المصنّف، قال: «قلت: قليل من الصحابة؛ لأنّه لم يكـن مـعه إلّا عـمرو بـن العـاص والمغيرة بن شعبة والنعمان بين بشير ومعاوية بن حديج ومسلمة بن مخلد في آخرين قـلائل، بينما كان مع سيدنا علي رضي لله تعالىٰ عنه سبعون بدرياً، وسبعمائة من أهل بيعة الرضـوان، وأربعمائة من سائر المهاجرين والأنصار، وباقيهم من أهل العراق والقبائل العربية الذيـن رأوا الحقّ مع علي رضي الله تعالىٰ عنه» انتهىٰ.

فيقتصّ لهم من الجناة، فأصرّ معاوية علىٰ رفض البيعة، فخرج إليه الإمام علي رضي الله تعالىٰ عنه، ثم استنفر معاوية هو الآخر الشوّام لمحاربته، فالتقوا بصفّين، فكانت تلك الواقعة المشؤومة التي ذهبت ضحيّتها سبعون ألف نفس من الجانبين.

وكان في الصحابة أقوام تردّدوا في الأمر، واعتزلوا الفتنة لأنّهم لم يهتدوا للصواب، فلمّا قُتل عمّار، وكان في جيش علي، وقتله أصحاب معاوية، اتّضح أنّ الحقّ كان مع علي، فلحق به جماعة من الصحابة، كما ندم آخرون على عدم نصره والقتال معه[١].

الفاصل بين الحقّ والباطل

وهذا الحديث الذي هو الفيصل بين الفريقين: فريق الحقّ وفريق الباطل، جاء عن النبيﷺ من رواية جمٍّ غفير من الصحابة رضي الله عنهم حتّىٰ ذكره الحافظ السيوطي والإمام الكتّاني رحمهما الله تعالىٰ في الأحاديث المتواترة[٢]، وقال الحافظ ابن حجر في «الإصابة»: إنّها أحاديث متواترة[٣]، وأورده في الفتح عن جماعة ثم قال: غالب طرقه صحيحة أو حسنة، وفيه عن جماعة آخرين يطول عددهم، إلىٰ آخره[٤]. ورواته من الصحابة يفوقون الثلاثين، ونحن نقتصر منها على التالي:

فعن أبي سعيد‌رضي الله عنه عنه في قصة بناء المسجد، وفيه قولهﷺ: «ويح عمّار! تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار».

---

١. لم نعثر على شاهد لذلك.

٢. نظم المتناثر في الحديث المتواتر: ٢٠٨.

٣. الإصابة ٤: ٤٧٤.

٤. فتح الباري ٢: ١١٣.

فجعل عمّار يقول: أعوذ بالله من الفتن [١].

---

١. لأهميّة حديث عمّار، ولكونه الحدّ الفاصل بين الحقّ والباطل، سنذكر بعضاً من أقوال العلماء والحفّاظ فيه، ثم نختم بذكر مصادر أُخرى للحديث:

قال العلّامة الكتّاني في نظم المتناثر: ٢٠٨: «وممّن صرّح بتواتره السيوطي في خصائصه الكبرىٰ، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الرافعي: قال ابن عبدالبرّ: تواترت الأخبار بذلك، وهو من أصحّ الأحاديث، وقال ابن دحية: لا مطعن في صحّته: ولو كان غير صحيح لردّه معاوية وأنكره» ثم ذكر العلّامة الكتّاني أسماء الصحابة الذين رووا الحديث.

وقال عبدالقاهر الجرجاني كما في فيض القدير ٦:٣٦٥: «أجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريقي الحديث والرأي، منهم مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي والجمهور الأعظم من المتكلّمين والمسلمين: أنّ علياً مصيب في قتاله لأهل صفّين كما هو مصيب في قتاله أهل الجمل، وأنّ الذين قاتلوه بغاة ظالمون له».

وقال ابن حجر في فتح الباري ٢:١١٣: «رواه جمع من الصحابة... وغالب طرقه كلّها صحيحة أو حسنة، وفي هذا الحديث علم من إعلام النبوّة وفضيلة ظاهرة لعلي ولعمّار، وفيه ردٌّ على النواصب الزاعمين أنّ علياً لم يكن مصيباً في حروبه». ومثله في سبل السلام ٣:٢٥٨.

وقال القرطبي كما في فيض القدير ٦:٣٦٥: «وهذا الحديث من أثبت الأحاديث وأصحّها، ولمّا لم يقدر معاوية على إنكاره قال: إنّما قتله من جاء به، فأجابه علي بأنّ رسول الله ﷺ إذن قتل حمزة حين أخرجه! قال ابن دحية: وهذا من علي إلزام مفحم لا جواب عنه، وحجّة لا اعتراض عليها».

وقال القاضي في شرح المصابيح ـ كما في فيض القدير ٦:٣٦٥ ـ: «وهذا صريح في بغي طائفة معاوية الذين قتلوا عماراً في وقعة صفّين، وأنّ الحقّ مع علي، وهو من الإخبار بالمغيّبات».

وقال المناوي في فيض القدير ٦:٣٦٥: «هذا الحديث متواتر، ورواه من الصحابة بضعة عشر: والفئة الباغية: أي الظالمة الخارجة عن طاعة الإمام الحقّ، وزاد الطبراني: الناكبة عن الحقّ، والمراد بهذه الفئة: فئة معاوية، كما جاء موضّحاً في رواية الطبراني وغيره، وهذا من معجزاته لأنّه إخبار عن غيب وقد وقع».

وقال البدر العيني في عمدة القاري على شرح البخاري ٤:٢٠٩: «والفئة الباغية هم الذين خالفوا الإمام، وخرجوا عن طاعته بتأويل باطل».

←

قال النووي في شرح مسلم: قال العلماء: هذا الحديث حجّة ظاهرة في أنّ علياً رضي الله تعالىٰ عنه كان محقّاً، والطـائفة الأُخـرىٰ بـغاة، لكـنّهم مـجتهدون فـلا إثم عليهم[1].

← وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٧:٢٩٦: «وظهر سرّ ما أُخبر به الرسول ﷺ من أنّه تقتله الفئة الباغية، وبان بذلك أنّ علياً محقّ، وأنّ معاوية باغٍ، وما في ذلك من دلائل النبوة».

وقال ابن عبدالبرّ في الاستيعاب ٣:٢٣١: «وتواترت الآثار عن النبي ﷺ أنّه قال: عمّار تـقتله الفئة الباغية. وهذا من أصحّ الأحاديث».

وأمّا مصادره الأُخرى فهي: صـحيح البـخاري ١:١٧٢ و٣:١٠٣٥، صـحيح مـسلم ٤:٢٢٣٥ و٢٢٣٩ بثلاثة طرق عن أُم سلمة، وبطريق آخر عن أبي سعيد وآخر عن قتادة، مستدرك الحاكم ٢:١٦٠ و٣:٤٣٣ وصحّحه، ووافقه الذهبي في التلخيص، السنن الكبرىٰ للبيهقي ٨:١٨٩، مسند أبي يعلىٰ ١١:٤٠٣ و١٢:٤٥٥، صحيح ابن حبّان ١٥:٥٥٤ و٥٥٥، المـعجم الكـبير ٢٣:٣٦٣ و٣٧٠، المعجم الأوسط ٩:٢٥٠ و٨:٥٩ و٤٤١، السنن الكبرىٰ للنسائي ٥:١٥٥ و١٥٧، كشف الخفاء ٢:٣١٤ وقال: «متّفق عليه»، تاريخ دمشق ١٦:٢٧٠ و٤٣:٤٦٦، كشف الأستار عن زوائد البزّار ٣:٢٥٢، الجامع الصحيح للترمذي ٥:٦٦٩ وقال: «حسن صحيح»، مصنّف ابن أبي شيبة ٨:٧٢٣، شرح السنّة للبغوي ٨:١١٧، سـير أعـلام النـبلاء ١:٤١٩، تـهذيب الكـمال ٧:٤٣٦ و٢١:٢٢٥، البداية والنهاية ٧:٢٩٦ وقال: «وبان بذلك أنّ علياً محقّ، وأنّ معاوية باغٍ، وهذا من دلائل النبوة»، الجامع الصغير ٢:٦٣٠ و١٠١١ وقال في كليهما «صحيح»، مسند أحمد ٣:٩١ و٤:١٩٧ و١٩٩ و٦:٢٨٩، مجمع الزوائد ٧:٤٨٦ من عدّة طرق و٩:٤٨٦ من عدّة طرق أيضاً، الفائق في غريب الحديث ٣:٣٨٣، كنز العمال ١١:٣٤٤ و١٣:٥٣٦ و٥٣٧، تاريخ بغداد ٨:٢٦٩ ونقل أيضاً «أنّ جماعة سألوا حذيفة صاحب سرّ النبي ﷺ قالوا: حدّثنا فإنّا نخاف الفتن، فقال: عليكم بالفئة التي فيها ابن سميّة، فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة البـاغية»، أُسـد الغابة ٤:١٢٥ و١٢٧، الإصابة ٢:٢٤٠ و٤:٤٧٤ وقال: «متواتر»، فيض القدير ٤:٣٥٩ و٦:٣٦٥ وتقدّم كلامه، المداوي ٤:٤٨٧ وقال: «الحديث متواتر من رواية أُم سلمة وأبي سعيد و...» ثم عدّ أكثر من عشرين من الصحابة.

١. شرح صحيح مسلم ١٨:٢٤٧، وقوله هذا فيه نظر، إذ كـيف يـمكن تـوجيه الروايـات النـبوية ←

قلت: الأمر كما قال: لكنّه هاهنا إشكال طالما اختلج في صدور أهل الإيمان وطالبي الحقّ، ولم نجد له حلاً عند أهل السنّة، وهو أنّه كيف يبقىٰ للفئة الباغية اجتهاد وأجر ورفع الإثم، وقد اتّضح لهم حقّيّة عليّ وخطأُهم وبغيهم بقتل عمّار؟

فعن أبي بكرة بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال:

لمّا قُتل عمّار دخل عمرو بن حزم علىٰ عمرو بن العاص فقال: قُتل عمّار، وقد قال رسول الله ﷺ: «تقتله الفئة الباغية»! فقام عمرو بن العاص فزعاً حتّى دخل علىٰ معاوية، فقال: ما شأنك؟ قال: قُتل عمّار، فقال معاوية: قُتل عمار فماذا؟! قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقتله الفئة الباغية» فقال معاوية: دُحضت في بولك أوَ نحن قتلناه؟ إنّما قتله علي وأصحابه، جاءوا به حتّى ألقوه بين رماحنا، أو قال: بين سيوفنا[١].

وعن عبدالله بن الحارث قال: إنّني لأُساير عبدالله بن عمرو وعمرو بن العاص ومعاوية، فقال عبدالله بن عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقتل الفئة الباغية

← الصحيحة والصريحة في أنّ قاتل عمّار بالنار، قال رسول الله ﷺ: «بشّر قاتل عمّار بالنار» وقال ﷺ: «قاتل عمّار وسالبه بالنار» رواه في تاريخ دمشق ٤٢٦:٤٣ و٤٧٤، مجمع الزوائد ٤٨٨:٩، الآحاد والمثاني ١٠٢:٢، بغية الطلب في تاريخ حلب ٤٤٩٧:١٠، الجامع الصغير ٦٧٢:٢ وقال: «صحيح». فيض القدير ٤٦٧:٤ وقال: «قتلته طائفة معاوية وأبو الغادية وآخر فاختصما الى عمرو بن العاص، فقال: كلاكما في النار، فلم يفهم منه ابن العاص أنّهما مجتهدان متأوّلان، بل حكم عليهما بالنار لقول النبي ﷺ»، سير أعلام النبلاء ٤٢٦:١، كنز العمال ٧٢١:١١. فهذه الروايات تدلّ بصريح من القول علىٰ أنّ قاتل عمّار من أهل النار، فكيف يكون مجتهداً ولا إثم عليه؟!

١. مستدرك الحاكم ١٦٨:٢ وصحّحه ووافقه الذهبي في التلخيص، السنن الكبرىٰ للبيهقي ١٨٩:٨، مسند أحمد ١٩٩:٤، تاريخ دمشق ٤٣٢:٤٣.

وهذا يدلّ على علم معاوية بالحديث من قبل، ولذا لم يتعجّب، بل سارع إلى تأويله وطلب المخرج منه، ولم ينكره، فأجابه علي ﷺ بأنّ رسول الله ﷺ إذن قتل حمزة حين أخرجه، وتقدّم كلام ابن دحية حيث قال: وهذا من عليّ إلزام مفحم لا جواب عنه، وحجّة لا اعتراض عليها.

عمّاراً» فقال عمرو لمعاوية: أتسمع ما يقول هذا؟ فحذفه، قال: نحن قتلناه؟ إنّما قتله من جاء به، لا تزال داحضاً في بولك[١].

فالحديث من طريقيه أمره واضح، ومع ذلك قد أصرُّوا جميعهم على عداوة الإمام علي وأهل بيته، ولعنه على منابرهم حتّى بعد موته، فكيف يتّفق هذا مع الاجتهاد[٢]؟

إنّنا نأمل الإجابة عن هذا الإشكال من أهل العلم والحقّ بكلّ صراحة، وبلا تعسّف ولا تحيّز ولا مداهنة... علماً بأنّنا جميعاً من أهل السنّة والجماعة وطالبي الحقّ.

* * *

النوع الثالث: قتاله الخوارج، وهم الذين خرجوا عليه رضي الله تعالىٰ عنه، وكانوا من أصحابه وفي جيشه.

وسبب ذلك أنّه لمّا أشرف جيش معاوية على الهزيمة بيّتوا مكيدةً ضدّ سيدنا علي رضي الله تعالىٰ عنه برئاسة عمرو بن العاص، فدعوا إلى التحكيم ورفعوا المصاحف[٣]، فقبل سيدنا علي رضي الله تعالىٰ عنه[٤]، فخلعوه وأقرّوا معاوية،

---

١. السنن الكبرىٰ للنسائي ١٥٧:٥، مجمع الزوائد ٤٨٨:٩. ودحضت في بولك: أي زلقت وزللت.

٢. وقد تقدّمت الروايات الصحيحة عن النبي ﷺ: «من سبَّ علياً فقد سبّني... من فارق علياً فقد فارقني، ومن فارقني فقد فارق الله... ومن آذى علياً فقد آذاني ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة: من الآية ٦١)... ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصىٰ علياً فقد عصاني وغيرها... هذا وقد روىٰ البخاري في الصحيح في كتاب الفتن ٢٦٠٤:٦ عن حذيفة بن اليمان قال: إنّما كان النفاق على عهد النبي ﷺ، فأمّا اليوم فإنّما هو الكفر بعد الإيمان.

٣. قال ابن حجر في الإصابة ٦٤:١: «فقد انتهت صفّين بخدعة التحكيم المشهورة».

٤. لم يقبل أمير المؤمنين ﷺ إلّا مجبراً، وقد هدّده الخوارج بالقتل أو يسلّموه إلى معاوية، فقبل ←

فخرجت جموع غفيرة من جيش سيدنا علي وكفّروه وكفّروا كلّ من وافق على التحكيم، وقالوا: لا حكم إلّا الله، واستباحوا دماء المسلمين وأموالهم، وكان فيهم كثير من القرّاء والزهّاد، فبعث إليهم سيدنا علي ابن عباس ﷺ يذكّرهم ويدعوهم إلى الرجوع إلى الحقّ، فتاب ورجع منهم عدد غير يسير، وأصرّ الباقون على خروجهم، فأخافوا الطريق وأراقوا الدماء...

فخرج إليهم سيدنا علي رضي الله تعالىٰ عنه فقاتلهم قتالاً شديداً حتّى انتصر عليهم وهزمهم، وكان فيهم صاحب اليد والثدي[١].

وقد أخبر النبي ﷺ بهم وبصفاتهم بتفصيل وتدقيق، وجاءت الأحاديث فيهم من طرق كثيرة وعن جمٍّ غفير من الصحابة تعدُّ أيضاً في المتواتر، فقد وردت من حديث الإمام علي، وأبي سعيد الخدري، وابن مسعود، وسهل بن حنيف، وسعد بن أبي وقاص، وأبي ذرّ، وأبي بكرة، وعمار، وابن أبي أوفى، وأبي هريرة، وأبي أُمامة، وأنس، وخبّاب بن الأرتّ، وعائشة في آخرين رضي الله تعالىٰ عنهم.

وسنقتصر على أهمّها وأجمعها، وهي كالآتي:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال:

← على مضض، وكان ﷺ يقول: «أيّها الناس، إنّي أحقّ إلى أن أُجيب بكتاب الله، ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وابن أبي سرح وابن مسلمة ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إنّي أعرف بهم منكم، صحبتهم صغاراً ورجالاً، فكانوا شرّ صغار وشرّ رجال، ويأمرون بكلمة حقّ لكنّهم يريدون بها باطلاً، إنّهم لا يعملون بها، ولكنّها الخديعة والمكيدة، قاتلوهم ساعة فقد بلغ الحقّ مقطعه» فامتنع الخوارج من القبول إلّا بالتحكيم.

فقال لهم ﷺ: «ويحكم أنا أول من دعا إلى كتاب الله، وأول من أجاب إليه، إنّما أُقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن، فإنّهم قد عصوا الله فيما أمرهم، ونقضوا عهده، ونبذوا كتابه، ولكنّني قد أعلمتكم أنّهم قد كادوكم، وأنّهم ليس العمل بالقرآن يريدون»، وقعة صفّين لابن مزاحم: ٤٨٩، ينابيع المودّة ٢: ١٣.

١. سيذكر المصنّف أخبار النبي ﷺ عن ذي الثدية.

بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله، إعدل! فقال: «ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل؟! قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل»، فقال عمر: يا رسول الله، إيذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: «دعه، فإنَّ له أصحاباً يحقِّر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرأون القرآن لايجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما تمرق السهم من الرميَّة» قال: «آيتهم رجل أسود، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تَدَرْدَرُ [١]، يخرجون على حين فرقة من الناس».

قال أبو سعيد: فأشهد أنّي سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وأشهد أنّ علي ابن أبي طالب رضي الله تعالىٰ عنه قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأُتي به حتّى نظرت إليه، علىٰ نعت النبي ﷺ [٢].

وعن علي رضي الله تعالىٰ عنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البريّة، يقرأون القرآن لايجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإنّ في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة» [٣].

---

١. أصله: تتدردر، حذف إحدى التاءين للتخفيف، ومعناه: تترجرج وتضطرب وتذهب وتجيء، (النهاية في غريب الحديث ٢:١١٢، الديباج على صحيح مسلم ٣:١٦٠).

٢. صحيح البخاري ٦:٢٥٤٠، صحيح مسلم ٢:٧٤٤، صحيح ابن حبّان ١٥:١٤٠، السنن الكبرىٰ للنسائي ٥:١٥٩، مسند أحمد ٣:٦٥، نيل الأوطار ٧:٣٤٥، مصنَّف ابن أبي شيبة ٨:٧٤٢، البداية والنهاية ٦:٢٤١.

٣. صحيح البخاري ٦:٢٥٤٠، صحيح مسلم ٢:٧٤٦، سنن ابن ماجة ١:٥٩، الجامع الصحيح للترمذي ٤:٣٨١ وقال: «حسن صحيح»، سنن أبي داود ٧٢٣ رقم ٤٧٦٧.

وأحداث الأسنان: أي صغار (الديباج ٣:١٦٣).

وفي رواية: «يخرج قوم من أُمتي يقرأون القرآن، ليس قراءتكم إلىٰ قراءتهم بشيء... يحسبون أنّه لهم وهو عليهم... لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضي لهم علىٰ لسان نبيّهم ﷺ لاتّكلوا[1] عن العمل... وآية ذلك أنّ فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض»... قال علي: «فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم؟ والله إنّي لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإنّهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله...»[2].

وفيه قول علي: «التمسوا فيهم المخدج[3]» فالتمسوه فلم يجدوه، فقام بنفسه حتّى أتىٰ ناساً قد قُتل بعضهم على بعض قال: «أخّروهم» فوجدوه ممّا يلي الأرض، فكبّر، ثم قال: «صدق الله وبلّغ رسوله» فقام إليه عبيدة السنماني فقال: يا أمير المؤمنين، الله لا إله إلّا هو لسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ؟ فقال: «إي والله الذي لا إله إلّا هو» حتّى استحلفه ثلاثاً وهو يحلف له[4].

وفي رواية: إنّ الحرورية[5] لمّا خرجت قالوا: لا حكم إلّا لله، قال علي: «كلمة

---

١. في بعض المصادر: لنكلوا، وهو الأصحّ.

٢. صحيح مسلم ٢: ٧٤٨، السنن الكبرىٰ للبيهقي ٨: ١٧٠، السنن الكبرىٰ للنسائي ٥: ١٦٤، سنن أبي داود: ٧٢٣ رقم ٤٧٦٨.

٣. المخدج: ناقص الخلقة، وهنا مخدج اليد أي: ناقص اليد.

٤. صحيح مسلم ٢: ٧٤٩، سنن أبي داود: ٧٢٣ رقم ٤٧٦٨، ورقم ٤٧٦٩ بلفظ: اطلبوا المخدج، السنن الكبرىٰ للبيهقي ٨: ١٧١، كنز العمال ١١: ٢٩٥، السنن الكبرىٰ للنسائي ٥: ١٦٤، نظم درر السمطين: ١١٧، البداية والنهاية ٧: ٣٢٢.

٥. الحرورية: طائفة من الخوارج الذين خالفوا أمير المؤمنين ؑ ومرقوا من الدين، ورئيسهم ابن وهب الراسبي وابن الكوّاء وشبث بن ربعي، ويقال لهم: حرورية نسبةً إلى المكان الذي نزلوا به، ←

حقّ أُريد بها باطل، أنّ رسول الله ﷺ وصف ناساً إنّي لأعرف صفتهم في هـؤلاء، يقولون بألسنتهم لا يجاوز هذا منهم ـ وأشار إلىٰ حلقه ـ من أبغض خلق الله تعالىٰ إليه، منهم أسود إحدىٰ يديه طُبْي شاة[١] أو حلمة ثدي» الحديث[٢].

وعن أبي ذرّ وأبي رافع رضي الله عنهما قالا:

قال رسول الله ﷺ: «إنّ بعدي من أُمتي، أو سيكون بعدي من أُمّتي قوم يقرأون القرآن لايجاوز حلاقيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرميّة، ثـم لايعودون فيه، هم شرُّ الخلق والخليقة»[٣].

وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه أنّه سئل: هل سمعت النبي ﷺ يذكر الخوارج؟ فقال: سمعته وأشار بيده نحو المشـرق: «قوم يقرأون القرآن بألسنتهم لايعدو تراقـيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة»[٤].

وفي رواية: «يتيه قوم قبل المشرق محلّقة رؤوسهم»[٥].

وعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال:

شرّ قتلى تحت أديم السماء، وخير قتيل من قتلوا، كلاب النار، قد كان هـؤلاء

← وهو حروراء، ويبعد عن الكوفة مقدار ميلين، وقاتلهم أمير المؤمنين عليه السلام في النهروان. انظر معجم البلدان ٢:٢٤٥، المنتخب من ذيل المذيَّل: ١٤٩.

١. طُبْي شاة: المراد به مثل ضرع الشاة، وهو من المجاز والاستعارة، لأنّ أصله للكلبة والسباع.

٢. صحيح مسلم ٢:٧٤٩، كنز العمال ١١:٢٩٥، إرواء الغليل ٨:١١٨ وقال: «إسناده صحيح».

٣. صحيح مسلم ٢:٧٥٠، مسند أحمد ٥:٣١، كنز العمال ١١:١٣٩، البداية والنهاية ٧:٣٣٦. وحلاقيمهم: أي حلوقهم.

٤. صحيح البخاري ٦:٢٥٤١ وفيه: أشار نحو العراق، صحيح مسلم ٢:٧٥٠، مصنّف ابن أبي شيبة ٨:٧٢٩.

٥. صحيح مسلم ٢:٧٥٠، مصنّف ابن أبي شيبة ٨:٧٤٣. ويتيه: أي يذهبون عن الصواب وطريق الحقّ.

مسلمين فصاروا كفّاراً. فقيل له: يا أبا أُمامة، هذا شيء تقوله؟ قال: بل سمعته من رسول الله ﷺ[١].

إذا عرفت ما أوردناه من الأحاديث فسوف نستخلص منها أُموراً:

أولاً: فيها معجزة ظاهرة للنبي ﷺ حيث أخبر بهؤلاء القوم قبل وجودهم، فكانوا كما أخبر.

ثانياً: خروجهم على المسلمين[٢].

ثالثاً: قتال الإمام علي إيّاهم.

رابعاً: حقّية الإمام علي في قتالهم.

خامساً: ذكر أوصافهم بالتدقيق ككونهم قبل مشرق المدينة المنوّرة، وأنّهم محلّقة رؤوسهم، وأنّهم يخرجون من الدين بغير عودة، وأنّهم يقتلون المسلمين ويدَعُون المشركين.

سادساً: أنّهم شرّ الخليقة.

سابعاً: أنّ قتلاهم شرّ قتلى، وأنّهم كلاب النار.

---

١. الجامع الصحيح للترمذي ٤:٢٦٦ في تفسير آل عمران، سنن ابن ماجة ١:٦٢ رقم ١٧٦، المعجم الكبير ٨:٢٦٧، المغني والشرح الكبير ١٠:٥١ وفيه كرّر عبارة «كلاب أهل النار» ثلاثاً، مسند الحميدي ٢:٤٠٤، مسند أحمد ٥:٢٥٠، السنن الكبرى للبيهقي ٨:١٨٨.

وقد ورد هذا المعنى صريحاً بلفظ: «إنّ الخوارج كلاب أهل النار» عن النبي ﷺ في روايات كثيرة غير ما تقدّم، كما في مسند أحمد ٤:٣٥٥ و٣٨٢، سنن ابن ماجة ١:٦١، مصنّف ابن أبي شيبة ٨:٧٣٠، المعجم الكبير ٨:٢٧٠، كنز العمال ١١:١٣٧، المعجم الصغير ٢:١١٧، معرفة علوم الحديث للحاكم: ٩٢، تاريخ دمشق ٨:٣١٢ و٤٧:٢٩١، سير أعلام النبلاء ٦:٢٤١، أخبار إصفهان ٢:٣٢٤.

٢. وكفر الخوارج ومروقهم من الدين، إنّما هو لأجل خروجهم على أمير المؤمنين ﷺ ومخالفته ومحاربته، وليس لخروجهم على المسلمين، وهذا يشمل كلّ الخارجين والمحاربين له ﷺ، وهو ما دلّت عليه النصوص النبوية الصحيحة والصريحة.

ثامناً: أنّ قتيلهم خير قتيل.

تاسعاً: أنّهم يحسنون القول فيدعون إلى الجهاد ويقولون: لا حكم إلّا لله، ثم يسيئون الفعل من سفك الدماء، وأخذ الأموال...

عاشراً: أنّهم يجتهدون في قراءة القرآن، ويتنطّعون في العبادة، وهم عارون عن ثمرتها، لاينتفعون بها، ولا تصل إلى قلوبهم.

حادي عشر: فيها الأمر بقتالهم واستئصالهم كاستئصال قوم عاد وثمود.

ثاني عشر: في قتالهم الأجر العظيم والثواب الجزيل.

ثالث عشر: هم شباب سفهاء، تائهون ضالّون، قليلو العقول.

والمقصود أنّ الإمام علياً رضي الله تعالىٰ عنه كان صاحب الحقّ في جميع حروبه، وأنّ السنّة المطهّرة تؤيّده في كلّ تصرّفاته.

وقد جاء في شأنه حديث عامّ يشمل جميع هؤلاء البغاة والخارجين عليه...

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ منكم من يقاتل علىٰ تأويل القرآن، كما قاتلت علىٰ تنزيله»، قال أبوبكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «لا»، فقال: عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «لا، ولكن خاصف النعل». قال: وكان أعطىٰ علياً نعله يخصفه[١].

فقتاله رضي الله تعالىٰ عنه كان ضدّ المتأوّلين للقرآن المتعلّقين بالشبه التي طرأت لهم، لكن منهم من كان مجتهداً نيّته صالحة فأخطأ فغفر له، ومنهم غير ذلك كالخوارج.

---

١. مستدرك الحاكم ١٣٢:٣ وصحّحه، مسند أحمد ٣٣:٣ و٨٢، مصنّف ابن أبي شيبة ٤٩٧:٧ بطريقين عن أبي سعيد، مسند أبي يعلى ٣٤١:٢، الإصابة ٢٤٥:٤، صحيح ابن حبّان ٣٨٥:١٥، البداية والنهاية ٢٤٣:٦ و٣٣٨:٧، مناقب الخوارزمي: ٢٦٠، نظم درر السمطين: ١١٥، سبل الهدىٰ ٢٩٠:١١، كنز العمال ٦١٣:١١.

وخاصف النعل: من الخصف، وهو خرز النعل ظاهرها بعضها على بعض، وإصلاحها.

إكرامه بالشهادة

ومن مناقبه العظيمة التي ختم الله له بها حياته: إكرامه بالشهادة العظمىٰ، إذ الشهادة منزلة عالية، لاينالها ويحرز عليها إلّا المصطفون من خلق الله تعالىٰ، وقليل ما هم، إذ ليس كلّ من يُقتل يكون شهيداً، فهيهات هيهات... وقد أخبر النبيﷺ بما سيلقى الإمام علي من النكبات... وأنّ الأُمّة ستغدر به[١]، وأنّه سيقتله أشقى الآخرين.

فعن ابن عباس‌ﷺ قال:

قال النبيﷺ لعلي: «أما إنّك ستلقى بعدي جهداً» قال: «في سلامة من ديني؟» قال: «نعم»[٢].

وعن علي رضي الله تعالىٰ عنه قال:

«إنّ ممّا عهد إليّ النبيﷺ أنّ الأُمة ستغدر بي بعده»[٣].

وعن عمّار بن ياسر رضي الله تعالىٰ عنهما:

أنّ رسول اللهﷺ قال له ولعلي: «ألا أُحدّثكما بأشقىٰ الناس؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «أُحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه

---

١. قال أمير المؤمنين عليﷺ «إنّ ممّا عهد به النبيﷺ أنّ الأُمّة ستغدر بي بعده» أو «ستغدر بك بعدي» مستدرك الحاكم ٣:١٥٢ وصحّحه ووافقه الذهبي، تذكرة الحفّاظ ٣:٩٩٥، ميزان الاعتدال ١:٣٧١ آخره عن الحمّاني، وقال: «قال النسائي: ثقة، وقال ابن عدي: لم أر له حديثاً منكراً»، تاريخ دمشق ٤٢:٤٤٧ و٤٤٨، التاريخ الكبير للبخاري ٢:١٧٤، تاريخ بغداد ١١:٢١٦، سبل الهدى ١٠:١٥٠، البداية والنهاية ٧:٣٦٠، كنز العمال ١١:٢٩٧ بعدّة ألفاظ و٦١٧، شرح النهج ٤:١٠٧ وقال: «وقد روىٰ أكثر أهل الحديث هذا الخبر بهذا اللفظ أو بقريب منه».

٢. مستدرك الحاكم ٣:١٥٠، مصنّف ابن أبي شيبة ٧:٥٠٣، نظم درر السمطين: ١١٨، سبل الهدى ١٠:١٥٠، كنز العمال ١١:٦١٧.

٣. تقدّمت مصادر الحديث آنفاً، فراجع.

ـ يعني قرنه ـ حتى تبتلّ هذه من الدم» يعني: لحيته[1].

وكان السبب في قتله رضي الله تعالىٰ عنه أنّه لمّا وقع التحكيم بينه وبين معاوية كما تقدّم، وخرج عليه جماعة ممّن كان معه، وكفّروه كما كفّروا طلحة والزبير وعثمان ومعاوية ومن كان معهم، وقاتلهم الإمام علي وانتصر عليهم، انتدب ثلاثة من الخوارج وتآمروا علىٰ قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص باعتبار أنّ هؤلاء الثلاثة عندهم قادة الفتنة، وتعاهدوا علىٰ أن يكون ذلك في ليلة واحدة ليلة حادي عشر أو سابع عشر من رمضان سنة أربعين من الهجرة، ثم توجّه كلٌّ منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه، فقدِم اللعين الأشقىٰ عبدالرحمان بن ملجم المرادي الكوفة فلقي أصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يريدون، فلمّا كانت الليلة المعهودة، وكانت صبيحة يوم الجمعة، وخرج علي من الباب ينادي: أيّها الناس الصلاة الصلاة، اعترضه المقيت ابن ملجم فضربه بالسيف المسموم على رأسه فأصاب دماغه، وأقام الجمعة والسبت وتوفّي يوم الأحد رضي الله تعالىٰ عنه، ذكره ابن سعد وغيره[2]، وذلك عام ٤٠ من الهجرة وعمره ثلاث وستّون سنة.

ولمّا توفّي رضي الله تعالىٰ عنه، أُخذ ابن ملجم فعذّبوه وقطعوا بعض أطرافه ثم قتلوه وأحرقوه، علماً بأنّ الإمام علياً كان أوصاهم به خيراً، وأمرهم أن يحسنوا

---

١. مستدرك الحاكم ٣:١٥١ وصحّحه ووافقه الذهبي، مسند أحمد ٤:٢٦٣، الآحاد والمثاني ١:١٤٧، السنن الكبرىٰ للنسائي ٥:١٥٣، كنز العمال ١١:٦٠٢ و١٣:١٤٠، البداية والنهاية ٦:٢٤٤، تاريخ دمشق ٤٢:٥٤٩.

٢. الطبقات الكبرى ٣:٣٦ بتصرّف واختصار، تاريخ الطبري ٤:١١٢، تاريخ دمشق ٤٢:٥٥٩ وفيه تصريح باشتراك الأشعث مع ابن ملجم بقتل الإمام علي ﷺ. الثقات لابن حبّان ٢:٣٠٢، المعجم الكبير ١:٩٩، الأخبار الطوال: ٢١٣. ثم لمّا ضربه اللعين قال علي ﷺ: «فزت وربّ الكعبة» تاريخ دمشق ٤٢:٥٦١، الإمامة والسياسة ١:٣١٨، ينابيع المودّة ١:٢٠٣ و٢:٣٢ وغيرها من المصادر.

قتله، وعلى كلٍّ فقاتله رجل مجرم سيتولّى الله جزاءه.

وقد أساء عمران بن حطّان الخارجي حيث يقول فيه:

يا ضربة من تقيٍّ ما أراد بها ... إلّا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إنّي لأذكره يوماً فأحسبه ... أوفى البريّة عند الله ميزانا

أكرم بقوم بطون الأرض أقبرهم ... لم يخلطوا دينهم بغياً وعدوانا[1]

وقد أحسن وأجاد الإمام أبو الطيّب الطبري‌رحمه الله حيث قال:

إنّي لأبرأ ممّا أنت قائله ... في ابن ملجم الملعون بهتانا

إنّي لأذكره يوماً فألعنه ... ديناً وألعن عمران بن حطّانا

عليك ثم عليه الدهر متّصلاً ... لعائن الله إسراراً وإعلانا

فأنتم من كلاب النار جاء بذا ... نصّ الشريعة برهاناً وتبيانا[2]

---

١. الإصابة ٥:٢٣٢، طبقات الشافعية للسبكي ١:٢٨٧، البداية والنهاية ٩:٦٤، سير أعلام النبلاء ٤:٢١٥.

٢. الإصابة ٥:٢٣٢، طبقات الشافعيّة للسبكي ١:٢٨٩، وقالا: «قال قاضي القضاة: الذي قاله أبو الطيّب خطأ؛ لأنّ عمران صحابيّ لا تجوز اللعنة عليه! وهذا غلوّ من قاضي القضاة، فكيف لا يلعن عمران؟! ثم قال التاج السبكي: وليس عمران بصحابيٍّ وإنّما هو رجل من الخوارج». ثم ذكر السبكي قصيدة لأبي بكر التاهرتي في الردّ على ابن حطّان:

أشقى مراد إذا عدّت قبائلها ... وأخسر الناس عند الله ميزانا

كعاقر الناقة التي جلبت ... على ثمود بأرض الحجر خسرانا

فلا عفا الله عنه ما تحمّله ... ولا سقى قبر عمران بن حطّانا

بقوله بيت شعر ظلّ مجترماً ... ونال ما نال ظلماً وعدوانا

(من ضربة من كميٍّ ما أراد بها ... إلّا ليبلغ عند الله رضوانا)

بل ضربة من غويٍّ أوردته لظى ... مخلّداً قد أتى الرحمان غضبانا

كأنّه لم يرد قصداً بضربته ... إلّا ليصلى عذاب الخلد نيرانا

←

← ثم قال السبكي: وللإمام الإسفراييني في كتابه الملل والنحل هذه الأبيات في الردّ على عمران بن حطّان:

كذبت وأيم الذي حجّ الحجيج له	وقد ركبت ضلالاً منك بهتانا
لتلقينّ بها ناراً مؤجّجة	يوم القيامة لا زلفىً ورضوانا
تبّت يداه لقد خابت وقد خسرت	وصار أبخس من في الحشر ميزانا
هذا جوابي في ذا النذل مرتجلاً	أرجو بذاك من الرحمان غفرانا

وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٩:٦٥: وقد ردّ على ابن حطّان بعض العلماء بهذين البيتين:

بل ضربة من شقيٍّ ما أراد بها	إلّا ليبلغ من ذي العرش خسرانا
إنّي لأذكره يوماً فأحسبه	أشقى البريّة عند الله ميزانا

الباب الثالث

في مناقب
مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام

في مناقب
مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام

فاطمة الزهراء[1]، هي السيّدة الطاهرة بنت سيّد العالمين، وسيدة نساء أهل الجنة، وإحدى فواضلهنَّ، وأحبّ الناس إلى رسول الله ﷺ، بضعته الطاهرة، يؤذيه ما يؤذيها ويريبه ما يريبها[2].

---

١. قال رسول الله ﷺ: «وإنّما سمّاها الله فاطمة لأنّ الله فطمها ومحبّيها عن النار» عن ابن عباس وأبي هريرة. كنز العمال ١٢:١٠٩، تاريخ بغداد ١٢:٣٢٨، سبل الهدى ١١:٥٢، ينابيع المودّة ٢:١٢١ وقال: «أخرجه الحافظ الغسّاني»، و٤٥٠ وقال: «أخرجه الحافظ أبو نعيم وأبو القاسم الدمشقي»، و٣:١٩١ عن أبي هريرة، وفيه: «وذرّيتها ومحبّيها عن النار».

٢. عن المِسْوَر بن مَخْرَمَة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أمّا فاطمة بضعة منّي، يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما يؤذيها» أخرجه في صحيح البخاري ٥:٢٠٠٤، السنن الكبرى للنسائي ٥:٩٧، فضائل الصحابة لأحمد: ٧٨، المعجم الكبير ٢٢:٤٠٤ بطريقين عن المسور، تهذيب الكمال ٣٥:٢٥٠، سبل الهدى ١١:١٦٢، مشكاة المصابيح ٣:٣٦٩، كنز العمال ١٢:١١٢، إرواء الغليل ٨:٢٩٣ وقال: «صحيح، أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة وأحمد»، ينابيع المودّة ٢:٥٣ عن الترمذي، وقال: «صحيح».

ومعنى «يريبني»: يسوؤني ويزعجني ويقلقني، قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ←

أُم الحسنين سيدَيْ شباب أهل الجنة، وجدَّة الأشراف والذرّية الطاهرة، وزوجة الإمام علي بأمرٍ من الله عزّ وجلّ[1].

العارفة الناسكة الزاهدة، أُمّها مولاتنا خديجة بنت خويلد، حبيبة رسول اللهﷺ وزوجته الأُولى، وأُمّ بناته الطاهرات.

ولدت مولاتنا فاطمة في الإسلام قبل البعثة بقليل[2]، وهي أصغر بناتهﷺ.

← ٢:٢٨٦: «في حديث فاطمة رضي الله تعالىٰ عنها: «يريبني ما يريبها» أي يسوؤني ما يسوؤها، ويزعجني ما يزعجها، وأرابني: إذا رأيت منه ما تكره» ومثله في تحفة الأحوذي ٥:٥٣٠ باب ما جاء في اللقطة تسقط. وكذا في لسان العرب ١:٣٨٥.

١. حيث كان تزويجها عليها السلام بأمرٍ من الله تعالىٰ. فعن أنس قال: كنت قاعداً عند النبيﷺ فغشيه الوحي، فلمّا سري عنه قال: «أتدري يا أنس ما جاءني به جبرئيل من عند صاحب العرش؟» قلت: بأبي وأمّي، وما جاء به جبرئيل من عند صاحب العرش؟ قال: «إنّ الله أمرني أن أُزوّج فاطمة من علي». أخرجه في تاريخ دمشق ٣٧:١٣ و٥٢:٤٤٤، نظم درر السمطين: ١٨٦، مناقب الخوارزمي: ٣٣٦، سبل الهدى ١١:٣٨، كنز العمال ١١:٦٠٦ و١٣:٦٨٣.

وعن عبد الله بن مسعود قال: قالﷺ: «إنّ الله تعالىٰ أمرني أن أُزوّج فاطمة من علي». أخرجه في المعجم الكبير ١٠:١٥٦ و٢٢:٤٠٨، مجمع الزوائد ٩:٣٣٠ وقال: «رواه الطبراني، ورجاله ثقات»، الجامع الصغير ١:٢٠٣، شرح المواهب ٤:٣٣٣ وقال: «رواه الطبراني برجال ثقات»، تاريخ دمشق ٤٢:١٢٩، سبل الهدى ١١:٣٨ وقال: «رواه الطبراني عن ابن مسعود برجال ثقات».

٢. في العبارة خطأ أو سهو من المصنِّف، فلا يستقيم «في الإسلام وقبل البعثة» وربّما مراده: في الإسلام وبعد البعثة بقليل، قال الحاكم في المستدرك ٣:١٧٦ و١٧٨: «ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد رسول اللهﷺ»، وقال ابن حجر في فتح الباري ٧:٤٧٦: «ولدت فاطمة في الإسلام»، ومثله في ذخائر العقبى ١:٦٤ عن ابن عبدالبرّ. وفي المعجم الكبير ٢٢:٣٩٧ قال الزبير ابن بكّار: «الطاهر ولد بعد النبوّة، ثم أُمّ كلثوم، ثم فاطمة»، وقال اليعقوبي في التاريخ ٢:٢٠: ولدت خديجة لهﷺ قبل أن يبعث: القاسم ورقية وزينب وأُمّ كلثوم، وبعد ما بعث: عبدالله وهو الطيّب والطاهر؛ لأنّه ولد في الإسلام وفاطمة.

والصحيح والمشهور عند الإمامية تبعاً لأئمّة أهل البيت ﷺ: أنّها ولدت بعد المبعث في السنة ←

تزوَّجها سيدنا علي عليه السلام في السنة الثانية بعد وقعة بدر[١].

وتوفِّيت بعد أبيها صلى الله عليه وآله بستَّة أشهر، وعمرها على الصحيح سبعة وعشرون[٢]

← الخامسة للهجرة، كما في الصحيح عن الإمام الباقر عليه السلام: «ولدت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس سنين، وتوفِّيت ولها ثماني عشرة سنة وخمسة وسبعون يوماً» أُصول الكافي ١:٤٥٧ حديث ١٠.

وقال الشيخ الكليني رحمه الله: «ولدت فاطمة عليها وعلى بعلها السلام بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس سنين». الكافي ١:٤٥٨، ومثله ابن الخشّاب في تاريخ المواليد: ٩، والمجلسي في البحار ٤٣:٧، وتاج المواليد: ٢١، ودلائل الإمامة للطبري: ٧٩ وقال: «ولدت في جمادى الآخرة يوم العشرين سنة خمس وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وآله»، وفي الهداية الكبرىٰ للخصيبي: ١٧٥: «ولدت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله بعد خمس سنين من ظهور الرسالة ونزول الوحي».

١. سير أعلام النبلاء ٢:١١٩، وفي الإصابة ٨:٢٦٤: أنّه تزوَّجها في رجب وبنىٰ بها بعد رجوعه من بدر. وهناك أقوال أُخر، ففي تهذيب الكمال ٣٥:٢٤٧: إنّه عليه السلام تزوَّجها بعد وقعة أُحد. والمشهور عند الشيعة الإمامية: أنّه تزوَّجها في شهر رمضان، وبنىٰ بها في ذي الحجة من السنة الثانية للهجرة، كما في بحار الأنوار ٤٣:١٣٦ نقله عن الذرّية الطاهرة للدولابي.

٢. يظهر أنَّ ثمة خلط في الأقوال، فقد تقدّم قبل قليل: الصحيح أنّها ولدت في الإسلام. فلو كان مولدها في أول المبعث، فلا يزيد عمرها عن ثلاث وعشرين سنة، وهو عمر الدعوة الإسلامية، فكيف يجعل الصحيح في عمرها سبع وعشرين سنة؟! مع أنَّ هذا القول هو من أبعد الأقوال، لذهاب أكثر العلماء إلى أنّها ولدت في الإسلام كما تقدّم؛ كالحاكم وابن حجر والطبراني والزبير ابن بكّار والمحبّ الطبري وابن عبدالبرّ وغيرهم، بل المسألة محلّ اتّفاق بين الأعلام من أهل السنّة لاتّفاقهم على أنّها أصغر أولاد النبي صلى الله عليه وآله وآخرهم، واتّفقوا أيضاً على أنَّ ولادة عبدالله الطيّب الطاهر كانت بعد البعثة، فالنتيجة أنَّ فاطمة ولدت بعد البعثة بالاتّفاق لكونها أصغر منه، راجع المعجم الكبير للطبراني ٢٢:٣٩٧، تاريخ اليعقوبي ٢:٢٠، السيرة النبوية لابن كثير ٤:٦٠٧، البداية والنهاية ٥:٣٢٨، تهذيب الكمال ٣٥:٢٤٨، الإصابة ٨:٢٦٣.

والصحيح أنَّ عمرها عليها السلام هو ثمان عشرة سنة وخمسة وسبعون يوماً. قال المحبّ الطبري في ذخائر العقبىٰ: ١٠١: «ذكر الإمام أبو بكر الدارع أنّها توفِّيت وهي ابنة ثمان عشرة سنة وخمسة وسبعون يوماً» وهذا هو الصحيح، والموافق لما ذهب إليه أئمة أهل البيت عليهم السلام.

←

ودفنت بالبقيع[١].

فضائلها جمّة، ومناقبها كثيرة رائعة، ويكفيها شرفاً وفخراً أن تكون بضعة رسول الله ﷺ، ومن فواضل نساء العالمين، وسيدة نساء هذه الأُمة، بل وأهل الجنّة، وإلى القارئ بعض ما جاء في ذلك:

فاطمة سيدة نساء المؤمنين ونساء أهل الجنّة

فعن عائشة رضي الله عنها قالت:

اجتمع نساء النبيّ ﷺ فلم يغادر منهنّ امرأة، فجاءت فاطمة تمشي، كأنّ مشيتها

← ففي الصحيح عن أبي جعفر الباقر ؏ قال: «توفّيت ولها ثمان عشرة سنة وخمسة وسبعون يوماً» الكافي ١: ٤٥٨.

١. وهذا هو أحد الأقوال في تعيين محلّ دفنها ؏، والأقوال هي:

الأول: أنّها دفنت في بيتها وفي موضع فراشها. قاله النميري في تاريخ المدينة ١: ١٠٨.

الثاني: أنّها دفنت في بيتها الذي صار الآن في المسجد. قاله ابن النجّار في الدرّة الثمينة عن ينابيع المودّة ٢: ١٤٢.

الثالث: أنّ قبرها بين قبر النبي ﷺ والحجرة. قاله الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس: أنّه شهد دفنها. نقله في لسان الميزان ٢: ٨٣.

الرابع: أنّها دفنت في زاوية في دار عقيل ممّا يلي دار الجحشيّين، مقابل طوق بني نُبَيه من بني عبد الدار، قاله النميري في تاريخ المدينة ١: ١٠٥.

الخامس: أنّها دفنت في البقيع، ويستدلّ له بقول الإمام الحسن ؏ في وصيّته لأخيه الإمام الحسين ؏: «فإن منعوك فادفنّي في البقيع عند أُمّي فاطمة» نقله الزرنديّ الحنفي في درر السمطين: ٢٠٤، ويحتمل أنّه ؏ أراد بأُمّه: جدّته فاطمة بنت اسد.

والمشهور عند الإمامية: أنّها دفنت في بيتها الذي صار اليوم في المسجد النبوي الشريف، أو دفنت بين القبر والمنبر، لقوله ﷺ: «بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة».

وأمّا القول بدفنها في البقيع، فقد استبعده جدّاً الشيخ الطوسي وابن سعيد الحلّي وابن إدريس والفاضل في التحرير وصاحب الجواهر وغيرهم. راجع المبسوط ١: ٣٨٦، التهذيب ٦: ٩، جواهر الكلام ٢٠: ٨٦.

مشية رسول الله ﷺ، فقال: «مرحباً بابنتي»، فأجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم إنّه أسرَّ إليها حديثاً فبكت فاطمة، ثم إنّه سارَّها فضحكت أيضاً، فقلت لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما كنت لأُفشي سرَّ رسول الله ﷺ، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن، فقلت لها حين بكت: أخصّك رسول الله ﷺ بحديثه دوننا ثم تبكين؟ وسألتها عمّا قال، فقالت: ما كنت لأُفشي سرَّ رسول الله ﷺ، حتى إذا قبض سألتها فقالت: إنّه كان حدَّثني أنَّ جبريل عليه السلام كان يعارضه بالقرآن كلَّ عام مرَّة، وأنّه عارضه به في العام مرَّتين، ولا أراني إلّا قد حضر أجلي، وإنّك أوّل أهلي لحوقاً بي، ونعم السلف أنا لك، فبكيت لذلك، ثم إنّه سارَّني فقال: «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، أو سيدة نساء هذه الأُمَّة؟» فضحكت لذلك[١].

وفي رواية للبخاري: «سيدة نساء أهل الجنّة»[٢].

---

١. صحيح البخاري ٣:١٣٢٦ و٥:٢٣١٧ وفيه: «سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأُمَّة» ومثله في صحيح مسلم ٤:١٩٠٤ بطريقين عن مسروق عن عائشة، مسند أحمد ٦:٢٨٢، سنن ابن ماجة ١:٥١٨، السنن الكبرى للنسائي ٥:١٤٦، المعجم الكبير ٢٢:٤١٨، سبل الهدى ١١:٤٥ و١٢:٢٥١.

٢. صحيح البخاري ٣:١٣٦٠ و١٣٢٦ و١٣٤٧.

وقد وردت عبارة «سيّدة نساء أهل الجنّة» أيضاً في مستدرك الحاكم ٣:١٦١ وصحّحه، صحيح ابن حبّان ١٥:٤٠٢، المعجم الكبير ٢٢:٤٠٢، مصنّف ابن أبي شيبة ٧:٥٢٧، الآحاد والمثاني ٥:٣٦٥، السنن الكبرى للنسائي ٥،٨١، مسند أبي يعلى ٢:٣٩٥ و١٢:١١١، مسند أحمد ٣:٨٠ و٥:٣٩١، الإصابة ٨:٢٥٦، البداية والنهاية ٨:٢٢٥، سبل الهدى ١٠:٤٧، كنز العمال ١٢:٩٦ و١٠٢ و١١٠ و١١٣، نظم درر السمطين: ١٧٨، تاريخ دمشق ١٢:٢٦٩ و١٣:٢٠٧ و١٤:١٣٤ و٤٧:٤٨٢، الصواعق لابن حجر ٢:٥٥٩ و٥٦٠ و٥٦٢، المطالب العالية ٤:٦٧، مختصر زوائد البزّار ٢:٣٤٣، كشف الأستار ٣:٢٣٤، مشكاة المصابيح ٣:٣٧٥ برقم ٦١٧١.

ووردت عبارة «سيّدة نساء العالمين» في مستدرك الحاكم ٣:١٦٦ وصحّحه، عون المعبود ٦:١١٤، مسند الطيالسي: ١٩٧، مصنّف ابن أبي شيبة ٧:٥٢٧، السنن الكبرى للنسائي ٤:٢٥٢

←

وفي روايةٍ قالت: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودّلاً وهدياً برسول اللهﷺ في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول اللهﷺ، قالت: وكانت إذا دخلت على النبيﷺ قام إليها فقبّلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبيﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبّلته، فلمّا مرض النبيﷺ دخلت فاطمة فأكبّت عليه فقبّلته، ثم رفعت رأسها فبكت، ثم أكبّت عليه، ثم رفعت رأسها فضحكت، فقلت: إن كنت لأظنّ أنّ هذه من أعقل نسائنا فإذا هي من النساء. فلمّا توفّي رسول اللهﷺ قلت لها: أرأيت حين أكببت على النبيﷺ فرفعت رأسك فبكيت، ثم أكببت عليه فرفعت رأسك فضحكت، ما حملك على ذلك؟ فذكرت ما سبق[١].

وفي الحديث بروايتيه فضائل ومناقب لهذه السيدة الحسيبة الشريفة الطاهرة مع فوائد:

فمنها: إكرام النبيﷺ لها، وتعظيمه واحترامه إيّاها، بترحيبها وقيامه لها، وإجلاسه إيّاها إلىٰ جنبه الشريفﷺ.

← و١٤٧:٥، الفائق في غريب الحديث ١: ٢٤٠، تاريخ دمشق ١٣٤:٤٢، مناقب الخوارزمي: ٣٥، كنز العمّال ١٢: ١١٠، نظم درر السمطين: ١٧٩.

ووردت عبارة «سيّدة نساء المؤمنين» في صحيح البخاري ١٣٢٦:٣ و ١٣٦٠ و٢٣١٧:٥، صحيح مسلم ١٩٠٤:٤، مسند ابن راهويه ٧:٥، الآحاد والمثاني ٣٦٧:٥ و٣٦٨، السنن الكبرى للنسائي ٩٦:٥، مسند أبي يعلى ١١٢:١٢، المعجم الكبير ٤١٩:٢٢، رياض الصالحين: ٣٤٥، تاريخ دمشق ١٥٥:٣، تهذيب الكمال ٢٤٩:٣٥، فضائل الصحابة لأحمد: ٧٧، نظم درر السمطين: ١٧٩، كنز العمال ١٠٧:١٢، البداية والنهاية ٢٤٦:٥، السيرة النبويّة لابن كثير ٤٤٨:٤، سبل الهدى ٤٦:١١ و٢٥١:١٢، الصواعق لابن حجر ٥٥٩:٢.

ووردت عبارة «سيّدة نساء هذه الأُمّة» في صحيح البخاري ١٣٢٦:٣ و٢٣١٧:٥، صحيح مسلم ١٩٠٤:٤، مسند أحمد ٢٨٢:٦، السنن الكبرى للنسائي ٢٥٢:٤ و١٤٦:٥، الطبقات الكبرى ٢٧:٨، تهذيب الكمال ٢٤٩:٣٥، سير أعلام النبلاء ١٢٠:٢، البداية والنهاية ٢٤٦:٥، السيرة النبويّة لابن كثير ٤٤٨:٤، سبل الهدى ٣٢٦:١٠ و٤٦:١١.

١. فضائل الصحابة لأحمد: ٧٨، السنن الكبرى للنسائي ٩٦:٥.

ومنها: تخصيصه إيّاها بحضور أجله.

ومنها: تبشيره إيّاها بأنّها سيدة نساء المؤمنين، وهذه فضيلة لم تنلها امرأة من نساء هذه الأُمّة إطلاقاً، ويا لها من فضيلة! ويا لها من فخر!

ومنها: أنّها كانت أعقل نساء أهل زمانها، يشير إليه قول أُمّ المؤمنين عائشة: إن كنت لأظنّ أنّ هذه أعقل نسائنا.

ومنها: شبهها بأبيها سيد العالمينﷺ في السيرة الحسنة والوقار والهيبة.

ومن فوائد الحديث: مشروعية القيام لأهل الشرف والعلم والصلاح، وقد ثبت هذا عنهﷺ في هذا الحديث من فعله وتقريره، كما ثبت من قوله: «قوموا إلى سيّدكم» إلى آخره[1]، وهوﷺ الأُسوة الحسنة والقدوة العظمىٰ، وما جاء بخلاف هذه فمؤوّل.

ومن فوائده: أنّ الأكابر من الصالحين قد تصدر منهم بوادر تؤذن بنقصهم لسابق القدر وغلبة الصفة البشرية، يشير إلى ذلك قول أُمّ المؤمنين: فإذا هي من النساء، تعني أنّهنّ ناقصات وإن كنّ صالحات[2].

إذاية فاطمة إذايةٌ لرسول اللهﷺ

عن المِسْوَر بن مَخْرَمَة رضي الله عنه:

أنّ علي بن أبي طالب رضي الله تعالىٰ عنه خطب بنت أبي جهل، وعنده فاطمة

---

١. «قوموا إلى سيدكم» قاله النبيﷺ للأنصار عند قدوم سعد بن معاذ إلى المسجد. مسند أحمد ٣:٢٢، فضائل الصحابة: ٣٥، المعجم الكبير ٦:٦، والحديث مرويّ في أكثر المتون.

٢. يظهر أنّ هذه ليست من فوائد الحديث، إذ ليست العبارة من قول النبيﷺ، بل هي من قول عائشة. وأمّا فاطمة فالحديث فيها مختلف تماماً، فهي من النساء الكاملات بنصّ النبيﷺ، ففي جامع البيان للطبري ٣:٣٥٨: عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول اللهﷺ: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلّا أربع: آسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد».

بنت رسول الله ﷺ. فلمّا سمعت بذلك فاطمة أتت النبي ﷺ فقالت له: إنّ قومك يتحدَّثون أنّك لا تغضب لبناتك، وهذا عليٌّ ناكح ابنة أبي جهل.

قال المسور: فقام النبي ﷺ فسمعته حين تشهّد ثم قال: «أمّا بعد، فإنّي أنكحت أبا العاص بنَ الربيع فحدَّثني فصدَّقني، وإنّ فاطمة بنت محمد مضغة منّي، وإنّني أكره أن يفتنوها، وإنّها والله لاتجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدوّ الله عند رجل واحد أبداً». فترك عليٌّ الخطبة.

وفي رواية: «فإنّما ابنتي بضعة منّي، يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها».

وفي رواية: «فمن أغضبها أغضبني»[١].

---

١. صحيح البخاري ٣:١٣٦٤، صحيح مسلم ٤:١٩٠٢.

وفي هذه القصّة التي رواها المِسْوَر بن مَخْرَمَة، نظر:

أولاً: اضطراب القصة تاريخياً: فقد ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب ١٠:١٣٨ أنّ الخطبة وقعت بعد ستّ سنين أو سبع من ولادة المسور. وولادة المسور في السنة الثانية للهجرة بالاتّفاق كما سيأتي، فتكون القصّة في السنة الثامنة للهجرة. مع أنّ جويرية بنت أبي جهل كانت في ذلك الزمان من الكفّار، وكانت بمكة ولم تسلم إلّا بعد عام الفتح. قال في شرح النهج ١٧:٢٨٣: «عندما دخل النبي ﷺ إلى مكة عام الفتح كانت جويرية من الكفّار، ولمّا أذّن بلال، قالت: أمّا الصلاة فسنصلّي ولكن والله لا نحبُّ من قتل الأحبّة أبداً». فإذاكانت في تلك السنة من الكفّار وبمكة، فكيف خطبها علي ﷺ؟! وقد كان نكاح الكافرات محرّماً قبل ذلك الزمان، ومعلوماً لكلّ المسلمين، عالمهم وجاهلهم، أفهل يعقل أن يُقدم عليٌّ على خطبة كافرة وهو أعلم الصحابة وأفقههم بالحلال والحرام؟! وهذا لوحده كافٍ في إسقاط هذه الرواية والحكم عليها بالوضع، ولذا استبعده ابن حجر وغيره.

ثانياً: حال المسور بن مخرمة: فقد قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣:٣٩٤: «ولد بعد الهجرة بعامين»، ومثله في تهذيب التهذيب ١٠:١٣٨، والثقات لابن حبّان ٣:٣٩٤، ومشاهير علماء الأمصار له أيضاً: ٤٣. وتقدّم عن ابن حجر أنّ حادثة القصّة وقعت في السنة الثامنة. فيكون حينئذٍ عمر المسور في تلك السنة ستّ سنين! فلا يصحُّ له سماع، ثم كيف سمع من النبي لوحده

←

← دون بقيّة الصحابة؟ وهو يقول: صعد النبي ﷺ على المنبر، أفهل كان المسجد خالياً إلّا من طفل عمره ست سنين؟!!! وهل كان النبي ﷺ يتحدَّث بهذا الأمر المهمّ ويعطي حكماً شرعياً بعدم جواز الجمع بين بنت نبي الله وبنت عدوّ الله، ويبيّن فضيلة الزهراء وأنّه يؤذيه ما يؤذيها، والمسجد خالٍ من الصحابة إلّا من طفل لا يتجاوز السادسة من عمره؟!!!

وجاء في الثقات لابن حبّان ٣: ٣٩٤، والتعديل والتجريح للباجي ٢: ٨٣٢، ومشاهير علماء الأمصار، لابن حبّان: ٤٣، وتهذيب التهذيب ١٠: ١٣٨: «إنّ المسور ولد في السنة الثانية للهجرة بمكة، وقُدِم به سنة ثمان في النصف من ذي الحجة وهو ابن ستّ سنين» يعني أواخر السنة الثامنة تماماً! وهذا معناه: أنّ المسور لم يكن في المدينة في السنة الثامنة وهي سنة الخطبة المزعومة، فتبيَّن أنَّ عمر المسور ستّ سنين، وهو لم يكن في المدينة بل جاء إليها في أواخر السنة الثامنة كما هو ظاهر.

ثم إنّه قال: سمعت النبي ﷺ على المنبر وكنت محتلماً، أي بالغاً، مع أنَّ كلّ المؤرِّخين اتّفقوا على أنَّ ولادة المسور كانت في السنة الثانية للهجرة، فيكون عمره عند وفاة النبي ﷺ ثمان سنين، وفي زمان القصّة يكون ستّ سنين، ولذا اعتبر ابن حجر ذلك مشكل المأخذ، قال في تهذيب التهذيب ١٠: ١٣٩: «وهو مشكل المأخذ؛ لأنّ المؤرِّخين لم يختلفوا أنَّ مولده كان بعد الهجرة، وقصّة الخطبة كانت بعد مولد المسور بنحو ست سنين أو سبع، فكيف يسمَّى محتلماً».

وأمّا حال المسور، فهو على دين الخوارج، بل هو من أعيانهم.

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣: ٣٩١: «قال الزبير بن بكّار: كانت الخوارج تغشّاه وينتحلونه».

وقال ابن عبد البرّ في الاستيعاب ٣: ٤٥٦: «كانت تغشّاه الخوارج وتعظِّمه وتبجِّل رأيه».

وهذا صريح في أنّ رأيه موافق لرأي الخوارج خصوصاً في علي ﵇، ولو كان رأيه مخالفاً لهم في علي لكفَّروه على ذلك كما كفَّروا غيره.

ثالثاً: أنَّ هذا الحديث: «فاطمة بضعة منّي، يريبني ما أرابها ويؤذيني ما يؤذيها» والحديث الآخر «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها فقد أغضبني» مرويّان في أكثر المتون الحديثية من دون قصة الخطبة، كما في صحيح البخاري ٣: ١٣٦١، صحيح مسلم ٤: ١٩٠٣، فضائل الصحابة لأحمد: ٧٨، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٩٧، المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٤ بعدّة طرق، كنز العمال ←

وفي الحديث فضيلة للزهراء عليها السلام وخصيصة خصَّها الله بها، وهي عدم الجمع بينها وبين بنت عدوّ الله في النكاح، خوفاً من فتنتها ومن إيذائها[١]، وذلك يؤثّر على النبي ﷺ ويؤذيه لأنّها قطعة لحم منه.

وفيه دليل علىٰ تحريم إذاية رسول الله ﷺ بكلّ وجه وإن كان بفعل مباح، وفيه دليل على أنّ إذاية أهل بيته وذرّيته أذىً له ﷺ.

← ١١٢:١٢، تهذيب الكمال ٣٥: ٢٥٠، سبل الهدى ١١: ١٦٢، ينابيع المودّة ٢: ٥٣ عن الترمذي. وقال: «صحيح»، مصنّف ابن أبي شيبة ٧: ٥٢٦، الآحاد والمثاني ٥: ٣٦١ بعدّة طرق، البيان والتعريف ١: ١١٦ رقم ٢٧١ وقال: «أخرجه الشيخان وأبو داود والإمام أحمد وغيرهم»، كشف الخفاء ٢: ٨٠ رقم ١٨٢٩ وقال: «رواه الشيخان عن المسور بن مخرمة، ورواه أحمد والحاكم والبيهقي» الإصابة ٨: ٢٦٥، مصابيح السنّة ٢: ٥٢٢، شرح السنّة ٨: ١٢٠، مناقب ابن المغازلي: ٢٨٤، الفردوس ٣: ١٦١، شرح المواهب اللدنّية ٤: ٣٣٥، مشكاة المصابيح ٣: ٣٦٩. وغير ذلك كحاشية السندي وفتح الباري والجامع الصغير والفيض القدير ونظم درر السمطين. وهذا يقوّي أنّ هذه القصّة مفتعلة وملصقة بهذا الحديث.

رابعاً: أنّ هذه القصة تكذّبها سيرة أمير المؤمنين عليه السلام، فلم يعهد منه أنّه خالف رسول الله ﷺ، بل لم ينقل التاريخ أنّه عمل عملاً يكرهه رسول الله ﷺ، فكيف يفعل ما يؤذي النبي ﷺ؟! وهذا الأمر معلوم لمن راجع سيرة الإمام علي عليه السلام مع النبي ﷺ.

خامساً: أنّ في هذه القصة إساءة للنبي ﷺ لأنّ التزوّج بأربع نسوة حلال محلّل، فكيف ينهى عنه النبي ﷺ ويتأذّى منه؟!!!

فلو قيل: إنّ الحكم هو (حرمة الجمع بين بنت نبي الله وبين بنت عدوّ الله) قلنا: هذا باطل، لأنّ عثمان بن عفّان جمع بين رقية وبين رملة بنت عدوّ الله شيبة (أُسد الغابة ٥: ٤٥٩، الطبقات الكبرى ٨: ٢٣٩، الإصابة ٨: ١٤٢) فلماذا لم ينه النبي ﷺ عن ذلك؟

ولو قيل: إنّ الحكم مختصّ بعلي وفاطمة، فجوابه: ما هو الدليل على التخصيص؟ ولو وجد المخصّص فكيف لم يعلم به أعلم الصحابة وأفقههم وباب مدينة علم النبي ﷺ؟!

١. لكن عثمان جمع بين رقية وبين رملة بنت عدوّ الله شيبة، إلّا إذا قلنا: إنّ النبي ﷺ لم يخف على رقية من الفتنة! أو أنّ رقية كانت من ربائب النبي ﷺ وليست من بناته.

ملحوظة هامّة: قد تعلّقت الشيعة بهذا الحديث مع حديث عائشة في طلب فاطمة ميراثها من أبي بكر وقوله لها: إنّ رسول الله ﷺ قال: «لا نوّرث، ما تركناه صدقة» الحديث. وفيه: فغضبت فاطمة ﷺ فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتّى توفّيت، وهو في صحيح البخاري[١].

فغضبها هذا رضي الله تعالىٰ عنها لا يؤثّر علىٰ النبي ﷺ، ولا يوجب له إذاية، لأنّ الصدّيق كان بارّاً في عمله، مطيعاً لله ولرسوله، عاملاً بما قاله رسول الله ﷺ وحكم به[٢].

---

١. يذكر أنّ في صحيح البخاري ١٥٤٩:٤ و٦: ٢٤٧٤: «فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت،... ولم يؤذن بها أبا بكر» صحيح مسلم ١٣٨٠:٣ وفيه: «دفنها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّى عليها علي» صحيح ابن حبّان ١٥٣:١١، الطبقات الكبرى ٣١٥:٢، تاريخ المدينة ١٩٧:١، تاريخ الطبري ٤٤٨:٢، البداية والنهاية ٣٠٦:٥ وفيه: «عن عروة عن عائشة: فغضبت فاطمة وهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتّى توفّيت» السيرة النبويّة لابن كثير ٥٦٧:٤ وفيه: «فهجرته فاطمة فلم تكلّمه حتّى ماتت، رواه أحمد عن عبدالرزاق عن معمر» مسند الشاميّين ١٩٨:٤، سير أعلام النبلاء ١٢١:٢، الثقات ١٦٤:٢، نصب الراية ٣٦٠:٢.

وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة ٢٠:١: «فقالت: أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به؟ قالا: نعم، قالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله ﷺ يقول: «رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالا: نعم، سمعناه من رسول الله ﷺ. قالت: فإني أُشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي ﷺ، لأشكونّكما إليه. فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله. فقالت: والله لأدعونّ الله عليك في كلّ صلاة أُصلّيها. فخرج أبو بكر يقول: لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي».

والهجران: القطيعة (النهاية في غريب الحديث ٤٢:٤). والهجران والتباعد والمباغضة بمعنىً واحد. راجع القاموس المحيط ٧٠:٣ و١٢١:٤، والصحاح ١٢٦٨:٣.

٢. أمّا حديث «إنّا معاشر الأنبياء لا نورّث، ما تركناه صدقة» ففيه تأمّل نسجّله هاهنا:

←

← أوّلاً: مخالفته لنصوص الكتاب كقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ (النساء: ١١) وقوله تعالى: ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾ (النساء: ٧). والآيات مطلقة في بيان قانون الإرث والوارث، واللفظ فيهما عامّ لا يجوز تخصيصه إلّا بدليل قاطع، وهذا الخبر من أخبار الآحاد لا يوجب علماً.
ثانياً: أنّه مخالف لنصوص الكتاب الدالّة على حصول التوارث حتّى عند الأنبياء، كقوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً﴾ (مريم: ٥ـ٦) وقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ (النمل: ١٦) والآيات صريحة في وقوع التوارث.
ولو قيل: إنّه يرث النبوّة، فهو باطل من وجهين:
الاوّل: أنّه قال: يرثني ويرث من آل يعقوب، وليس كل آل يعقوب من الأنبياء.
والثاني: أنّه لو كان النبي ﷺ يورّث النبوّة لأصبح كلّ بني آدم من الأنبياء، ولصارت الزهراء وذرّيتها من الأنبياء على حدّ قولهم.
ثالثاً: السيرة العمليّة لبعض الصحابة تكذّب هذا الحديث. فقد روى البخاري ١:٤٦٩ وغيره كالحاكم في المستدرك ٣:٩٩ «أنّ عمر أرسل عبد الله بن عمر ليستأذن من عائشة أن يدفن مع صاحبه. فقالت عائشة: كنت أُريده لنفسي...» فكيف يطلب عمر الدفن هناك والمكان بحسب قولهم صدقة لعامّة المسلمين؟! وكيف تجعله عائشة لها، أو تهب منه للخليفة لكي يدفن فيه؟! مع أنّ زوجات النبي ﷺ لا يرثن، ولم ترث واحدة منهنّ، إذ ما تركه النبي ﷺ صدقة.
رابعاً: أنّ هذا الحديث خالفه أعلم الصحابة وأفقههم وباب مدينة علم النبي ﷺ، قولاً وفعلاً، ومطالبته مع الزهراء بفدك والعوالي وحقّهما من الإرث كافٍ في ذلك؛ لقول النبي ﷺ «علي مع الحقّ والحقّ مع علي، ولن يفترقا» تاريخ دمشق ٤٢:٤٤٩، تاريخ بغداد ١٤:٣٢٢، البداية والنهاية ٧:٣٩٨ عن أبي سعيد وأمّ سلمة. ولقوله ﷺ: «اللّهم أدر الحقّ معه حيث دار» مستدرك الحاكم ٣:١٣٥ وصحّحه، تاريخ دمشق ٣٠:٦٣، مناقب الخوارزمي: ١٠٤. ولقوله ﷺ: «علي الفاروق بين الحقّ والباطل» ميزان الاعتدال ١:١٨٨، لسان الميزان ١:٤٦٩، مناقب الخوارزمي: ١٠٥، ينابيع المودّة ٢:٢٣٤ وقال: «رواه صاحب الفردوس».
خامساً: كما أنّ هذا الحديث خالفته سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة، وهي التي يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها، والمطهّرة بنصّ الكتاب، ومعارضتها للحديث بقولها وفعلها مشهود.
←

والحديث الذي استدلّ به الصدّيق على الزهراء رضي الله تعالىٰ عنها متواتر، رواه عمر وعثمان وعلي والعباس وطلحة والزبير وابن عوف وابن أبي وقّاص وأبو هريرة

← سادساً: أنّ بعض ما تركه النبي ﷺ كالدرع والسيف والعمامة والبغلة وغيرها، أخذها علي ﷺ وبقيت عنده، فكيف جاز لهم ترك ذلك عنده ﷺ وهي من تركة النبي ﷺ مع أنّه ﷺ قال: لا نورّث؟! فإن أعطوها بعنوان الميراث فقد ناقضوا أنفسهم وأبطلوا دعواهم، وإن أعطوها بعنوان الصدقة فالصدقة محرّمة على أهل البيت بالإجماع، وإن تركوها فقد فرّطوا في صدقات المسلمين وضيّعوها.

وإن قيل: أخذها علي عنوةً، فباطل، لأنّها من الصدقات، وهي محرّمة على أهل البيت، فلم يبق إلّا أنّه ﷺ أخذها بعنوان الميراث.

سابعاً: المشهور أنّ فدك ليست من الميراث، بل هي نحلة نحلها النبي ﷺ لفاطمة، وهبة خالصة، وهي من أموالها، وكانت يدها عليها في حياة النبي ﷺ.

فعن أبي سعيد الخدري قال: لمّا نزلت على رسول الله ﷺ ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ (الإسراء: ٢٦) دعا فاطمة فأعطاها فدكاً والعوالي وقال: «هذا قسم قسمه الله لك ولعقبك». شواهد التنزيل للحاكم ١: ٤٤١ و٤٤٣ عن أبان، والدرّ المنثور ٥: ٢٧٣ وقال: «أخرجه البزّار وأبو يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري» انتهى.

وعن ابن عباس قال: لمّا نزلت ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ أقطع رسول الله ﷺ فاطمة فدكاً. الدر المنثور ٥: ٢٧٣ وقال: «أخرجه ابن مردويه»، ومثله في شواهد التنزيل للحاكم ١: ٤٨٢ عن أبي سعيد، وكذا في مناقب ابن مردويه: ١٩٦ رقم ٢٧٠.

ففدك كانت هبة من النبي ﷺ لفاطمة وتحت يدها، وأنّ اليد تدلّ على الملكية.

ثم لو كانت فدك من الصدقات، فكيف أقطعها عثمان لمروان بن الحكم خالصةً له؟! وبقيت عند ولده إلى زمن عمر بن عبدالعزيز فردّها إلى ولد فاطمة.

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٥: ١٢٩: «عمر بن عبدالعزيز أرجع فدكاً إلى بني هاشم، وقال: أنشدكم الله إنّي قد رددتها على ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ»، فعمر بن عبدالعزيز يرىٰ أنّ فدكاً كانت لبني هاشم في زمن النبي ﷺ وليست من التركة ولا من أموال النبي ﷺ.

وأصرح منه ما نقله في معجم البلدان ٤: ٢٣٩ «إنّ عمر بن عبدالعزيز كتب إلى عامله بالمدينة يأمره بردّ فدك إلى ولد فاطمة»، وهذا وما تقدّم يدلّ على أنّها ليست من الصدقات في شيء.

وعائشة غيرهم[١].

فإعراض الشيعة عن الحديث وتعلّقهم بالمتشابه هو من الضلال بمكان.

ولذا قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: هذا الهجران فتح على فرقة الرافضة شرّاً عريضاً، وجهلاً طويلاً، وأدخلوا أنفسهم بسببه فيما لا يعنيهم، ولو تفهّموا الأُمور على ما هي لعرفوا للصدّيق فضله، وقبلوا منه عذره الذي يجب على كلّ أحد قبوله... إلى آخر كلامه[٢].

وقال أيضاً: وأمّا تغضّب فاطمة ـ رضي الله تعالىٰ عنها وأرضاها ـ على أبي بكر فما أدري ما وجهه؟ فإن كان لمنعه إياها ما سألته من الميراث، فقد اعتذر إليها بعذر يجب قبوله، وهو ما رواه عن أبيها رسول الله ﷺ أنّه قال: «لا نوّرث، ما تركناه صدقة» وهي ممّن تنقاد لنصّ الشارع الذي خفي عليها قبل سؤالها الميراث، كما خفي على أزواج النبيﷺ حتّى أخبرتهنّ عائشة بذلك ووافقنها عليه، وليس نظنّ بفاطمة أنّها اتّهمت الصدّيق فيما أخبرها به، حاشاها وحاشاها من ذلك[٣].

وقال الكرماني: وأمّا غضب فاطمة رضي الله تعالىٰ عنها فهو أمر جعل على مقتضى البشرية وسكن بعد ذلك، أو الحديث كان متأوّلاً عندها بما فضل من معاش

---

١. الحديث تفرّد به أبوبكر، وأمّا الخليفتان عمر وعثمان وعائشة فقد خالفوا الخبر بسيرتهم العملية كما تقدّم، وأمّا عليﷺ فقد عارض الحديث قولاً وفعلاً، ومعارضته مع الزهراء دليل قاطع على ذلك، وأمّا العباس فقد طالب بحقّه حتى في زمان عمر، والبقيّة أخذوه من أبي بكر سماعاً. ولو راجعت الخبر لم تجد أحداً يقول: سمعت من النبيﷺ قال ذلك، غير أبي بكر، نعم شهد لأبي بكر به أوس بن الحدثان النضري، وقد صرّح البخاري في التاريخ الكبير ٧:٣٠٥ أنّه لم تصحّ له صحبة، وكذا الرازي في الجرح والتعديل ٨:٢٠٣ قال: «لا يصحّ له صحبة».

٢. لم نجد ما يدلّ على ترجيح قول ابن كثير، فالحديث: مخدوش سنداً ودلالة. وهو معارض بالعشرات غيره.

٣. البداية والنهاية ٥:٣٠٧، السيرة النبوية لابن كثير ٤:٥٦٩. وكلامه فيه تهافت كما هو واضح.

الورثة وضروراتهم ونحوها، وأمّا هجرانها فمعناه: انقباضها عن لقائه، لا الهجران المحرَّم من ترك السلام ونحوه[١].

ويؤيِّد ما قاله، ما جاء في روايةٍ عن أحمد فإنّ فيها: «فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك» والوجد لا يدلّ على الهجران[٢].

فاطمة
من فواضل نساء أهل الجنّة[٣]

عن ابن عباس رضي الله عنه قال:

خطَّ رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط قال: «تدرون ما هذا؟» فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنّة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران»[٤]، عليهنّ من الله السلام والرضوان.

---

١. الكرماني على شرح البخاري ١١٥:١١ كتاب الفرائض، وفيه كما في سابقه.

٢. لم نعثر على هذا الكلام في مسند أحمد رغم مراجعة أكثر من نسخة. ويبدو هذا الكلام من التأويل، مضافاً إلى أنّه معارض بما نقله البخاري في الصحيح «فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت ولم يؤذن بها أبا بكر» صحيح البخاري ١٥٤٩:٤ و٢٤٧٤:٦، وفي صحيح مسلم ١٣٨٠:٣ «فوجدت فاطمة على أبي بكر فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت» وبهذا اللفظ في صحيح ابن حبّان ١٥٣:١١، ومسند الشاميّين للطبراني ١٩٨:٤، ونقله بهذا المعنى غير واحد، فراجع ما تقدّم.

٣. أقول: هذا العنوان (من فواضل نساء أهل الجنّة) ليس معناه التساوي مع بعض الفواضل، بل الوارد في النصوص الصحيحة في الصحاح والمسانيد والمتون والشروح «فاطمة سيّدة نساء أهل الجنة». فيكون المعنى: أنّ أفضل نساء أهل الجنة أربع، وسيّدتهنّ فاطمة.

٤. مستدرك الحاكم ٥٣٩:٢ وصحّحه ووافقه الذهبي، فضائل الصحابة لأحمد: ٧٤، السنن الكبرىٰ للنسائي ٩٣:٥، البداية والنهاية ٧٢:٢ وقال: «رواه النسائي من طرق». قصص الأنبياء لابن كثير ٣٧٧:٢، ينابيع المودّة ٥٨:٢.

أفضل النساء: هؤلاء النسوة، هنَّ الكاملات من سائر نساء الأُمم.

ويضاف إليهنّ من هذه الأُمّة عائشة، ومن غيرها أُمّنا حوّاء وأُمُّ موسىٰ[١].

وقد أشاد القرآن الكريم بذكر مريم وآسية وأُمّ موسى، وقصصهنّ من أعاجيب قصص القرآن، ولا سيما مريم، فإنّها الأُنثى الوحيدة التي خصَّها الله من سائر نساء البشر بالولادة بدون تلقيح ذكر، ولا مسيس بشر، وجعلها تعالىٰ وابنها آية للعالمين.

أمّا خديجة وعائشة، فكتب السنَّة المشرَّفة تزخر بفضائلهما وخصائصهما. وخديجة هي حبيبة رسول الله ﷺ وزوجته الأُولى الطاهرة الحسيبة الكريمة، أُمّ بناته وأولاده، وفي أيامها أكرمه الله تعالىٰ بالرسالة والوحي الإلهي، وهي التي كان الفضل الأول لها في الإيمان به ﷺ من سائر النساء والرجال، وكانت تواسيه بمالها، وتدعمه بجاهها، توفِّيت قبل الهجرة ولها من العمر خمسون سنة وقد وجد عليها وجداً شديداً، وكان لا يزال يذكرها[٢]...

---

١. هذا على خلاف النصّ، وأمّا رواية الطبراني المتقدِّمة فتدلّ على الحصر والاختصاص بالأربعة فقط بدليل الاستثناء (لم يكمل من النساء إلّا...). وللبقيّة كهاجر وسارة وأُمّ موسى وغيرهنّ لكلٍّ منها فضلها.

٢. قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢:١١١: «وكان النبي ﷺ يفضّلها على سائر أُمّهات المؤمنين ويبالغ في تعظيمها بحيث إنّ عائشة كانت تقول: ما غرت من امرأة ما غرت من خديجة من كثرة ذكر النبي لها» وقال في ٢:١٤٠: «جزمت بأفضليّة خديجة على عائشة لأُمور» وقال في ٢:١١٧: «قالت عائشة: ذكر النبي ﷺ خديجة، فنلت منها وقلت: عجوز أبدلك الله بها خيراً منها، فقال ﷺ: «ما أبدلني الله خيراً منها، لقد آمنت بي حين كفر الناس، وأشركتني في مالها حين حرمني الناس، ورزقني الله ولدها وحرمني ولد غيرها» ومثله مسند أحمد ٦:١١٨، المعجم الكبير ٢٣:١٣، الإصابة ٨:١٠٣، البداية والنهاية ٣:١٥٨ وقال ﷺ: «لقد فضّلت خديجة على نساء أُمّتي كما فضّلت مريم على نساء العالمين» فتح الباري ٧:٥١٤ وقال: «حديث حسن الإسناد»، وتحفة الأحوذي ١٠:٣٤٨ وقال: «حديث حسن»، وفيض القدير ٣:٤٣٢، وذكره بطوله في تاريخ دمشق ٧٠:١١٤ وذكر سبب قول النبي ﷺ ذلك فراجع.

واختلف فيها مع بنتها فاطمة أيُّهما أفضل، والصحيح أنّ فاطمة أفضل رضي الله تعالىٰ عنهما[١].

فاطمة
أحبّ النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله

وعن بريدة رضي الله عنه قال:

كان أحبُّ النساء إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة، ومن الرجال علي[٢].

زهد فاطمة في الدنيا وتقشّفها

عن علي رضي الله تعالىٰ عنه:

أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا زوّجه فاطمة بعث معه بخميلة[٣] ووسادة من أدم حشوها

---

١. قال السبكي الكبير: «الذي نختاره وندين الله به أنّ فاطمة أفضل ثم خديجة». فتح الباري ٧:٥١٩، تحفة الأحوذي ١٠:٣٤٩ وزاد عليه: «والحقّ أحقّ أن يتّبع».
وقال الزرقاني: «الزهراء البتول أفضل نساء الدنيا حتّى مريم، كما اختاره المقريزي والزركشي والقطب الخيضري والسيوطي في كتابيه...» إلى آخره. شرح المواهب ٢:٣٥٧.
وقال أبو بكر ابن داود: «لا أعدل ببضعة رسول الله أحداً» سبل الهدى ١٠:٣٢٨.

٢. مستدرك الحاكم ٣:١٦٨ وصحّحه ووافقه الذهبي، الجامع الصحيح للترمذي ٥:٦٩٨، المعجم الأوسط ٨:١٣٠، تاريخ دمشق ٤٢:٢٦٠، سير أعلام النبلاء ٢:١٣١، ينابيع المودّة ٢:٥٤، نظم المتناثر في الحديث المتواتر: ٢٠٧ وقال: «الحقّ أنّ فاطمة لها الأحبّية المطلقة. ثبت ذلك في عدّة أحاديث أفاد مجموعها التواتر المعنوي، وما عداها فعلى معنى مِنْ أو اختلاف الجهة».
هذا وقال المصنّف في الهامش: «هو نصٌّ في أنَّ فاطمة عليها السلام كانت أحبَّ النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إطلاقاً بما فيهنّ سائر بناته وزوجاته، فضلاً عن غيرهنّ من الصحابيات، وفي ذلك ما لا يخفى من مزيد الفضل» انتهى.

٣. الخميلة: القطيفة: وهي كلّ ثوب له خمل من أي شيء كان، وقيل: الخميل هو الأسود من الثياب. (النهاية في غريب الحديث ٢:٨١).

ليف، ورحيين وسقاء وجرّتين. فقال علي لفاطمة رضي الله تعالىٰ عنهما ذات يوم: والله لقد سنوت[١] حتّى لقد اشتكيت صدري، قال: وقد جاء الله أباك بسبي، فاذهبي فاستخدميه[٢]. فقالت: وأنا والله قد طحنت حتّى مجلت يداي[٣]. فأتت النبيّ ﷺ، فقال: ما جاء بك أي بنيّة؟ قالت: جئت لأُسلّم عليك، واستحيت أن تسأله ورجعت، فقال: ما فعلت؟ قالت: استحييت أن أسأله. فأتيناه جميعاً، فقال علي رضي الله تعالىٰ عنه: يا رسول الله، والله لقد سنوت حتّى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة رضي الله تعالىٰ عنها: قد طحنت حتّى مجلت يداي، وقد جاءك الله بسبي وسعة فأخدمنا. فقال رسول الله ﷺ: والله لا أُعطيكما وأدَعُ أهل الصفّة تطوى بطونهم لا أجد ما أُنفق عليهم، ولكنّي أبيعهم وأُنفق عليهم أثمانهم. فرجعا فأتاهما النبي ﷺ وقد دخلا قطيفتيهما إذا غطّت رؤوسهما تكشّفت أقدامهما، وإذا غطّيا أقدامهما تكشّفت رؤوسهما، فثارا[٤]، فقال: مكانكما. ثم قال: ألا أُخبركما بخير ممّا سألتماني؟ قالا: بلىٰ. فقال: كلمات علّمنيهنّ جبريل ﷺ فقال: تسبّحان في دبر كلّ صلاة عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبّران عشراً، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبّرا ثلاثاً وثلاثين، قال: فوالله ما تركتهنّ منذ علّمنيهنّ رسول الله ﷺ. فقال له ابن الكوّاء[٥]: ولا ليلة صفّين؟ فقال: قاتلكم الله يا أهل العراق، نعم ولا ليلة صفّين[٦].

---

١. سنا: سقىٰ.

٢. أي: اطلبي منه خادماً.

٣. مجلت: تقرّحت.

٤. أي: قاما ونهضا.

٥. ابن الكوّاء، اسمه عبدالله، وكان من أصحاب أمير المؤمنين ﷺ ثم صار من الخوارج المارقين، وكان من زعماء الحرورية.

٦. مسند أحمد ١:١٠٦، الإصابة ٨:٢٦٧، البداية والنهاية ٦:٣٦٦، الطبقات الكبرى ٨:٢٥، سبل الهدى ١١:٤٨.

والحديث يدلّ على ما كان عليه حال مولاتنا فاطمة مع زوجها عليّ ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ من كامل الزهد والتقشّف والتواضع في الحياة، والعزوف عن الترف والبذخ، ولا غرو فإنّه بيت النبوة ومعدن التقوىٰ والفضائل، فكلّ نور وعلم وخير وصلاح فهم أصله وأساسه.

وفي الحديث اختياره ﷺ لابنته ما اختاره لنفسه من الزهد في الحياة، وإيثار الآخرة على الدنيا، والصبر على شظف العيش ومشاقّه، وإيثاره ﷺ الغير من الفقراء عليها ترفّعاً لها عن الرفاهية، وإبعاداً لها عن التشبّه بأهل الدنيا المنعّمين، وذلك لما لها في الآخرة من مزيد الثواب، وعلوّ المقام والسيادة على غيرها.

وفيه: إشارة إلى أنّه ينبغي للمسلم أن يأخذ في حياته بالأفضل، فإنّ النبي ﷺ أرشد ابنته وزوجها إلى ذكر الله عزّ وجلّ وتقوية الروح بدل الخادم، وقال لهما: هو خير لكما من خادم، ذلك أنّ الذكر خير عند الله ثواباً وخير أملاً، بخلاف الخادم فإنّه تمتّع فانٍ زائل.

وفيه: المحافظة على ما يرتّبه المسلم على نفسه من وظائف الذكر والعبادة ولو في أوقات الشدائد والمهالك، والذكر الذي علّمهما إيّاه أفضل ما يذكره المسلم.

فقد جاء في الحديث الصحيح عنه ﷺ: «أحبُّ الكلام إلى الله أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، لا يضرُّك بأيّهن بدأت» رواه مسلم وغيره[١].

← وهذا التسبيح يسمّى بتسبيح فاطمة أو تسبيح الزهراء. وقد روي في أحاديث أُخر غير ما ذكره المصنِّف، انظر: صحيح البخاري ٥:٢٠٥١، مسند أحمد ١:١٤٤ و١٤٧ و٢:١٦٦، سنن الدارمي ٢:٢٩١، مستدرك الحاكم ٣:١٦٤ وصحّحه ووافقه الذهبي، مصنّف ابن أبي شيبة ٧:٣٨، السنن الكبرى للنسائي ٦:٢٠٤، صحيح ابن حبّان ١٢:٣٣٩، الأذكار النووية: ٨٩، مسند أبي يعلى ١:٢٣٧ و٢٨٧ و٤٢٠ و٤٣٦، تاريخ بغداد ٣:٢٣٣، تاريخ دمشق ١٨:٥٠، الإصابة ٨:٢٦٨، تهذيب الكمال ٢١:٢٥٤، نظم درر السمطين: ١٩٠.

١. صحيح مسلم ٣:١٦٨٥.

الباب الرابع

في مناقب الحسن والحسين عليهما السلام
وما اشتركا فيه من المناقب

الحسنان ريحانتا رسول الله ﷺ

عن ابن عمر رضي الله عنه:

أنَّ رجلاً من أهل العراق سأله عن دم البعوض يصيب الثوب، فقال ابن عمر: انظروا إلىٰ هذا يسأل عن دم البعوض وقد قتلوا ابن رسول الله ﷺ، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا»[1].

رحمة رسول الله بالحسنين

وعن بريدة رضي الله تعالىٰ عنه قال:

كان رسول الله ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران

---

1. صحيح البخاري ٣: ١٣٧١ و٥: ٢٢٣٤، الجامع الصحيح للترمذي ٥: ٦٥٧، مسند الطيالسي: ٢٦١، مسند أبي يعلى ١٠: ١٠٦، المعجم الكبير ٣: ١٢٧، الإصابة ٢: ٦٨، سير أعلام النبلاء ٣: ٢٨١، تهذيب الكمال ٦: ٤٠١، تاريخ دمشق ١٤: ١٢٩ بطريقين، البداية والنهاية ٨: ٢٢٣، كنز العمّال ١٢: ١١٤ و١٣: ٦٧٣، ينابيع المودّة ٣: ١٠.

وعن أبي أيّوب قال: دخلت علىٰ رسول الله ﷺ وحسن وحسين يلعبان بين يديه وفي حجره، فقلت: يا رسول الله، أتحبهما؟ قال: «وكيف لا أُحبُّهما وهما ريحانتاي من الدنيا أشمُّهما».

أخرجه في المعجم الكبير ٤: ١٥٦، كنز العمّال ١٢: ١٢٢، سبل الهدى ١١: ٥٩، وفي كشف الأستار ٣: ٢٢٥ عن سعد، وفي كنز العمال ١٢: ١١٣ عن أنس وأبي بكرة.

يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال: «صدق الله ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ نظرت إلى هذين الصبيّين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتّىٰ قطعت حديثي ورفعتهما»[1].

الحسنان سيّدا شباب أهل الجنّة

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال:

قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة»[2].

---

١. الجامع الصحيح للترمذي ٦٥٨:٥، مسند أحمد ٣٥٤:٥، السنن الكبرى للنسائي ٢١٨:٣، صحيح ابن حبّان ٤٠٣:١٣، تاريخ دمشق ١٦١:١٤، تهذيب الكمال ٤٠٣:٦.

٢. الجامع الصحيح للترمذي ٦٥٦:٥ وقال: «صحيح»، تحفة الأحوذي ٢٥٣:١٠ وقال: «هذا الحديث مرويّ عن عدّة من الصحابة من طرق كثيرة، ولذا عدّه السيوطي من المتواترات». الجامع الصغير ٤٤١:١ وقال: «صحيح عن عمر وعلي وجابر وأبي هريرة وأسامة والبراء وابن مسعود»، مصنّف ابن أبي شيبة ٥١٢:٧، مسند أحمد ٣:٣ و٦٢ و٨٢، مجمع الزوائد ٢٩٢:٩ عن عمر، و٢٩٤ عن جابر وأسامة والبراء وقال: «رواه الطبراني وإسناده حسن»، السنن الكبرى للنسائي ١٤٩:٥ بعدّة طرق في أحدها: «ما استثني أحداً»، المعجم الكبير ٣٥:٣ و٣٦ و٣٧ و٣٨، فيض القدير ٤١٤:٣ وقال: «قال الترمذي: صحيح، وقال المصنّف، هذا متواتر»، نظم المتناثر في الحديث المتواتر: ٢٠٧ وذكر أسماء الصحابة الذين رووه ثم قال: «نقل في فيض القدير، وفي التيسير عن السيوطي: أنّه متواتر»، سير أعلام النبلاء ٥٢١:٣ وقال: «صحّحه الترمذي»، الإصابة ٦٣:٢ وقال: «وله طرق»، تهذيب الكمال ٢٤٣:٣٢، تاريخ دمشق ١٣٠:١٤، كشف الخفاء ٣١٨:١، خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ١٢٣ و١٢٤ وزاد في آخره: «ما استثني من ذلك»، تاريخ بغداد ١٨١:٢ و٣٦٩:٦ و٩١:١١ و٤:١٢.

وقد ورد هذا المعنىٰ وبهذا اللفظ في ضمن أحاديث أُخر:

منها: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، وأبوهما خير منهما». سنن ابن ماجة ٤٤:١، مستدرك الحاكم ١٨٢:٣ وصحّحه ووافقه الذهبي، الجامع

←

الحسنان محبوبان لله ولرسولهﷺ

عن البراء بن عازب رضي الله عنه:

أنّ رسول الله ﷺ أبصر حسناً وحسيناً فقال: «اللّهم إنّي أُحبُّهما فأحبّهما»[١].

وفي الحديث فضيلة هامّة للحسنين، حيث إنّ النبيّ ﷺ أخبر بأنّه يحبُّهما، وسأل الله عزّ وجلّ أن يحبَّهما، ومن أحبَّه الله ورسوله فقد سعد وفاز، وأحرز على كلّ خير من خيري الدنيا والآخرة، فهنيئاً لهما لذلك.

محبّة رسول اللهﷺ منوطة بمحبّة الحسنين

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

← الصغير ١:٤٤١ وقال: «صحيح»، فيض القدير ٣:٤١٥، المعجم الكبير ٣:٣٨ و٣٩، و١٩:٢٩٢، مجمع الزوائد ٩:٢٩٣ بعدّة طرق في أحدها: «وأبوهما أفضل منهما»، الإصابة ٦:٢٥٢، كشف الخفاء ١:٢٨، تهذيب الكمال ٦:٢٢٩، تاريخ دمشق ٢٧:٣٩٩ و٣٤:٤٤٧، البداية والنهاية ٨:٣٩ وقال: «من حديث علي وأبي سعيد وبريدة»، تاريخ بغداد ١:١٥٠ و١٠:٢٣٠.

ومن الأحاديث أيضاً عن حذيفة عنهﷺ: «إنّ ملكاً استأذن ربّه أن يسلّم عليَّ ويبشّرني أنّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة». الجامع الصحيح للترمذي ٥:٦٦٠، مصنّف ابن أبي شيبة ٧:٥١٢، المعجم الكبير ٣:٣٧، الجامع الصغير ١:٢٥ وقال: «صحيح»، مسند أحمد ٥:٣٩١، السنن الكبرى للنسائي ٥:٨١ و٩٥ و١٤٦ عن أبي هريرة، كنز العمّال ١٢:٩٦ و١٠٢ و١٣:٦٤ و٦٦٥، فيض القدير ١:١٠٥ وقال: «قال المصنّف: فيه دلالة على فضلها على مريم»، سير أعلام النبلاء ٢:١٢٧، سبل الهدى ١٠:٤٧، تدريب الراوي ٢:٢٢٥، تاريخ دمشق ١٢:٢٦٩، حلية الأولياء ٤:١٩٠.

وانظر أيضاً المعجم الكبير ٣:٤٠ و٥٨، وكنز العمّال ١٢:١١٩ و١٢٠ و١٣:٦٦٦ و٦٧٥.

١. الجامع الصحيح للترمذي ٥:٦٦١ وقال: «حديث حسن صحيح»، مجمع الزوائد ٩:٢٨٧ عن أبي هريرة وقال: رواه البزّار وإسناده حسن، وبطريق آخر عن ابن مسعود وفي آخره: «ومن أحبّهما فقد أحبّني» وبطريق آخر عن قرّة بن إياس.

كان النبيّ ﷺ يصلّي والحسن والحسين يثبان على ظهره فيباعدهما الناس، فقال ﷺ: «دعوهما بأبي هما وأُمّي، من أحبّني فليحبّ هذين»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «من أحبّهما فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»[٢] يعني: الحسن والحسين.

وفي الحديثين فضل ظاهر لهما رضي الله تعالى عنهما، حيث جعلت محبّة

---

١. صحيح ابن حبّان ١٥: ٤٢٧، المعجم الكبير ٣: ٤٧، مصنّف ابن أبي شيبة ٧: ٥١١، السنن الكبرى للبيهقي ٢: ٢٦٣، فضائل الصحابة: ٢٠، مجمع الزوائد ٩: ٢٨٧ وقال: «رواه أبو يعلى والبزّار والطبراني باختصار، ورجال أبي يعلى ثقات».
وروي مجرّداً فقط «من أحبّني فليحبّ هذين» كما في مسند أبي يعلى ٩: ٢٥٠، الإصابة ٢: ٦٣، البداية والنهاية ٨: ٢٢٥، تاريخ دمشق ١٣: ٢٠٠، مسند الطيالسي: ٣٢٧، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٥٠.
وقوله ﷺ: «بأبي هما وأمي» أي: فدّيتهما، والباء هنا باء التفدية، أي: أُفدّيك بأبي وأُمّي، وهذه من المناقب والخصائص لهما عليهما السلام لم يقلها النبيّ ﷺ لأحدٍ ويفدّيهما بآبائه، ولفاطمة الزهراء عليها السلام مقام أعلى وأسمى، فقد فدّاها بنفسه المباركة وهي أفضل نفوس العالمين جميعاً:
فعن سودة قالت: كنت في من حضر فاطمة حين ضربها المخاض، فجاء إليها النبيّ ﷺ فقال: «كيف هي؟ كيف ابنتي فديتها...» تهذيب الكمال ٦: ٢٢٢، تاريخ دمشق ١٣: ١٦٩، كنز العمّال ١٣: ٦١٥.

٢. مستدرك الحاكم ٣: ١٨٢ وصحّحه ووافقه الذهبي، سنن ابن ماجة ١: ٥١، مجمع الزوائد ٩: ٢٨٦، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٤٩، مسند أحمد ٢: ٢٨٨ و٤٤٠ و٥٣١، فضائل الصحابة لأحمد: ٢٠، مسند ابن راهويه ١: ٢٤٨، المعجم الكبير ٣: ٤٨ بعدّة طرق، مسند أبي يعلى ١١: ٧٨، كنز العمال ١٢: ١١٩، الإصابة ٢: ٦٢، سبل الهدى ١١: ٢٧ عن ابن عباس، الشفاء للقاضي عياض ٢: ٢٦، تاريخ دمشق ١٣: ١٩٨ بعدّة طرق و١٤: ١٣٢ عن ابن عباس، سير أعلام النبلاء ٣: ٢٧٧، البداية والنهاية ٨: ٤٠ و٢٢٣، تهذيب الكمال ٦: ٢٢٩ و٨: ٤٣٧، نظم درر السمطين: ٢٠٩، ينابيع المودّة ٢: ٤٦، كشف الأستار عن زوائد البزّار ٣: ٢٢٧.

رسول الله ﷺ منوطة بمحبّتهما، فيكون ذلك من لوازم الايمان، كما أنَّ من أضمر لهما الحقد والبغضاء كان ممقوتاً وبالتالي مبغضاً لرسول الله ﷺ، ويا لها من خيبة ومن خسارة! وقد قدَّمنا نحواً من هذا في الباب الأول.

مناقب الحسن عليه السلام

هو سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وحبُّه وريحانته وحبُّ أمير المؤمنين، وهو ابن الزهراء، وجدُّ الأشراف والذرِّية الطاهرة، الصالح المصلح، الطيِّب الطاهر.

ولد في رمضان في السنة الثالثة من الهجرة[1]، وولي الخلافة بعد قتل أبيه وبايعه أربعون ألفاً على القتل، ثم زهد فيها وسلّمها لمعاوية؛ زهداً في الدنيا، وحقناً لدماء المسلمين[2].

وتوفّي سنة ٤٩ هـ، وقيل غير ذلك[3]، مسموماً من طرف أيدي الآثمين من

---

١. أُسد الغابة ٢:١٤، وتهذيب الكمال ٦:٢٢٢، الإصابة ٢:٦٨. وهناك أقوال أُخر في ولادته عليه السلام، منها: أنّه ولد لأربع سنين وتسعة أشهر ونصف للهجرة، وذكر غير ذلك، راجع المصادر المتقدّمة.

٢. وممّا يذكر أنّ الإمام الحسن عليه السلام لم يصالح ابتداءً ومن دون سبب، ولولا الخيانة التي حصلت في معسكره لما اضطرّ الإمام عليه السلام للصلح، وقد حصل معه عليه السلام كما حصل مع أمير المؤمنين عليه السلام في صفّين وقضيّة التحكيم وانشقاق العسكر، ولولا ذلك ما كان عليه السلام يصالح الفئة الباغية. وقد صالح على شروط لم يفِ بها معاوية. ومن أراد المزيد من التفاصيل عن هذا الصلح فعليه بكتاب «صلح الحسن» للعلّامة آل ياسين رحمه الله.

٣. تاريخ خليفة بن خيّاط: ١٥٣، أُسد الغابة ٢:١٤ وقال: «وقيل: سنة تسع وأربعين، وقيل: سنة خمسين، وقيل: إحدى وخمسين». الآحاد والمثاني ١:٣٠١ وقال: «سنة ثمان وأربعين»، المعجم الكبير ٣:٢٥.

بني أُميَّة [١].

الحسن أصلح الله به بين المسلمين

ومن مناقبه العظيمة التي امتاز بها وخصّه الله بها أنّ الله عزّ وجلّ حقن به دماء المسلمين، وأصلح به ما كان بينهم من الحروب؛ تصديقاً لما أخبر به النبيﷺ عنه.

فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال:

سمعت النبيّﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرّة وإليه مرّة

---

١. الجوهرة للبريّ: ٣٠ وقال: «ومات الحسن مسموماً، يقال: إنّ امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس سمّته، دسّ إليها معاوية أن تسمّه، فإذا مات أعطاها أربعين ألفاً وزوّجها من يزيد». عون المعبود ١١:١٢٧ وقال: «مات الحسن مسموماً، سمّته زوجته جعدة بإشارة من يزيد بن معاوية سنة تسع وأربعين أو سنة خمسين». تاريخ الخلفاء: ١٩٢ وقال: «توفّي مسموماً بالمدينة، سمّته جعدة بنت الأشعث، دسّ إليها يزيد بن معاوية أن تسمّه فيتزوّجها، ففعلت». المنتظم ٥:٢٢٦ وقال: «فدسّ إليها يزيد أن سمّي الحسن، حتّى فعلت». أُسد الغابة ٢:٢٠، تاريخ دمشق ١٣:٣٠٠ و٣٠٢ و١٤:٢٥٧، التعديل والتجريح للباجي ١:٤٧٥، عون المعبود ١١:١٢٧.

ويظهر من جميع المصادر المتقدّمة أنّ قاتل الإمام الحسن عليه السلام هو معاوية، لأنّ الإمام مات في زمن معاوية، لا في زمن يزيد، وقد أظهر سروره عند سماعه ذلك، فقد روىٰ ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١:١٥٠: «كانت وفاته سنة إحدى وخمسين، فكتب عامل المدينة إلى معاوية بذلك، فأظهر فرحاً وسروراً حتّى سجد وسجد من معه!!».

فالعجب ممّن يظهر الفرح والسرور ويسجد شكراً لمقتل ابن رسول الله وسيّد شباب أهل الجنة!!

قال الحسن البصري: «أربع خصال في معاوية لو لم يكن فيه إلّا واحدة لكانت موبقة: ابتزّ هذه الأُمّة أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوي الفضل، واستخلف ابنه بعده سكّيراً خمّيراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادّعىٰ زياداً وقد قال رسول اللهﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، وقتله حجراً، فيا ويله من حجر وأصحابه» تاريخ الطبري ٤:٢٠٨، شرح النهج ٢:٢٦٢ وقال: «نقله الزبير بن بكّار في الموفّقيات، ورواه جميع الناس ممن عني بنقل الآثار والسير».

ويقول: «إنّ ابني هذا سيّد، ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[١].

وقد حقّق الله عزّ وجلّ هذه المعجزة بالحسن رضي الله تعالىٰ عنه، فقد تنازل عن الخلافة، وتركها لمعاوية[٢]، لا لذلّة، ولا من قلّة، بل زهداً في الملك والحياة، ورغبةً فيما عند الله عزّ وجلّ، وحقناً لدماء المسلمين الذين كانوا على استعداد لنشب حرب أُخرى جديدة.

وبهذا الصلح الذي صدر منه رضي الله تعالىٰ عنه انقضت مشكلة الخلاف، وأمن الناس، وسمّوا ذلك العام عام الجماعة[٣]، وقد عتب كثير من شيعة الحسن عليه السلام عليه

---

١. صحيح البخاري ٢: ٩٦٢، مسند أحمد ٥: ٣٨، السنن الكبرى للبيهقي ٦: ٢٦٥، مسند الطيالسي: ١١٨، فضائل الصحابة لأحمد: ٢٠، الأذكار النوويّة: ٣٦٢، المعجم الكبير للطبراني ٣: ٣٤، السنن الكبرى للنسائي ٦: ٧١.

لكن لدينا ملاحظة حول ذيل الحديث، فإنّه لاينسجم مع قوله صلى الله عليه وآله: «عمار تقتله الفئة الباغية»، وقد بان بعد قتل عمار ضلالهم بالقطع واليقين، ولاينسجم أيضاً مع أمر النبي صلى الله عليه وآله لعلي بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

نعم، يمكن أن يقال: إنّ إطلاق لفظ الإسلام عليهم إطلاق مجازي، كما هو الحال في قول النبي صلى الله عليه وآله: «ستفترق أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة والبقية في النار»، فقد أطلق على الجميع لفظ أمّتي، مع أنّ أكثرها في النار، ومثله قول القائل: بعض المسلمين في النار، فإنّه من الإطلاق المجازي، وإلّا لزم التنافي والتناقض في قول النبي صلى الله عليه وآله، فلو كانوا مسلمين حقيقةً فكيف يأمر النبي صلى الله عليه وآله بقتالهم؟! أفهل يأمر النبي صلى الله عليه وآله بقتال المسلم؟! حاشاه أو أن نقول: إنّ ذيل الحديث وهو: «ولعلّ الله... إلى آخره» مختلق ملصق بالحديث.

٢. لم يصالح الإمام الحسن معاوية إلّا على شروط، ولكن معاوية لم يفِ بها وقال في خطبته في النخيلة: «ألا إنّ كلّ شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدميّ هاتين لا أفي به» مقاتل الطالبيّين: ٤٥، شرح النهج ١٦: ٤٦ وقال: «قال أبو إسحاق: وكان والله غدراً».

٣. تسمية هذا العام بعام الجماعة تسمية أمويّة، والحقّ أنّه عام المحنة، ففي هذا العام كتب معاوية للآفاق «أن برئت الذمّة ممّن روى شيئاً من فضائل أبي تراب وأهل بيته» وجعل في هذا العام ←

في تنازله لمعاوية حتى سمّاه بعضهم عار المسلمين[١]، فكان يقول لهم: العار ولا النار. رضي الله تعالىٰ عنه.

وفي الحديث منقبة هامّة للحسن حيث سمّاه النبيﷺ سيّداً، وأنّه سيحظىٰ بفضيلةٍ سيخصّه الله بها، وهي إصلاحه بين المسلمين المتعادين.

← سبُّ عليّ على منابر المسلمين سنّة، وكتب بذلك إلى الأمصار والآفاق (شرح النهج ١١:٤٤) وتتبّع شيعة أمير المؤمنين وأنصاره وصالحي هذه الأُمّة وقتلهم وصلبهم، أمثال ميثم التمّار ورشيد الهجري وكميل بن زياد وحجر بن عدي وأصحابه، وكانوا من خيار الصالحين.
عن عائشة قالت: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «يُقتل بعذراء أُناس يغضب الله لهم وأهل السماء» (البداية والنهاية ٦:٢٥٢).
وقام معاوية بدفن أنصار الإمام عليﷺ وهم أحياء، كما فعل بعبد الرحمان بن حسّان، دفنه حيّاً بقسّ الناطف، وقتل خيار التابعين، أمثال كدام بن حيّان وقبيصة ومحرز بن شهاب (تاريخ دمشق ٣٤:٣٠١ و٥٠:١١١ و٤٩:٢٦٤ و٥٧:٨٠) وقتل الصحابي عروة بن كعب بن وائل (الإصابة ٥:١١٦) وعمر بن الحمق الخزاعي، وطيف برأسه في الشام، وهو أول رأس يهدى ويطاف به في الإسلام (البداية والنهاية ٨:٥٢، الإصابة ٤:٥١٥) وعبدالله بن يحيى الحضرمي وأصحابه، وجويرية العبدي وغيرهم.
ودام الحال من القتل والتنكيل حتّى وصل الأمر ببني أُميّة أنّهم إذا سمعوا بمولود اسمه علي قتلوه (تاريخ دمشق ٤١:٤٨١، تهذيب الكمال ٢٠:٤٢٩، سير أعلام النبلاء ٥:١٠٢ و٧:٤١٣).

١. هذا خطأ لم يثبت تاريخياً، والموجود: قيل له: «يا مذلّ المؤمنين» قاله سفيان بن أبي ليلى، قال: السلام عليك يا مذلّ رقاب المؤمنين، فقالﷺ: «ما جرّ هذا منك إلينا؟» فقلت: أذللت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة، وسلّمت الأمر إلى اللعين ابن اللعين ابن آكلة الأكباد ومعك مائة ألف كلّهم يموت دونك، فقالﷺ: «يا سفيان! إنّا أهل بيت إذا علمنا الحقّ تمسّكنا به، وإنّي سمعت علياً يقول: سمعت رسول اللهﷺ: لا تذهب الليالي والأيّام حتّى يجتمع أمر هذه الأُمّة على رجل واسع السرم (الدبر) ضخم البلعوم، يأكل ولا يشبع، ولا ينظر الله إليه، ولا يموت حتّى لا يكون له في السماء عاذر، ولا في الأرض ناصر، وإنّه لمعاوية وإنّي عرفت أنّ الله بالغ أمره».
مقاتل الطالبيين: ٤٤، الفتن للمروي: ٩١، شرح النهج ١٦:٤٤، جواهر المطالب للباعوني الشافعي ٢:٢٠١، كنز العمال ١١:٣٤٩، ميزان الاعتدال ٢:١٧٢.

ويؤخذ من الحديث أنّ كل أفراد الجماعتين كانوا مسلمين، ومن كان منهم فاجراً وفاسقاً لا يخرجه ذلك عن الإسلام، والمعصية مهما كان عظمها لاتخرج الإنسان عن الإيمان إلّا عند الخوارج.

الحسن من المحبوبين إلى رسول الله ﷺ

عن أُسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنّه كان يأخذه والحسن ويقول: «اللّهم إنّي أحبّهما فأحبَّهما»[1].

وفي الحديث منقبة له مع الحسن، حيث أشهد رسول الله ﷺ الله عزّ وجلّ علىٰ أنّه يحبّهما، ثم سأله تعالىٰ أن يحبّهما كذلك، وقد فعل، فإنّ دعاء نبيّ الله عليه الصلاة والسلام مقبول لا يردّ أبداً.

من أحبّ الحسن أحبّه الله عزّ وجلّ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

كنت مع رسول الله ﷺ في سوق من أسواق المدينة، فانصرف وانصرفت معه، فقال: «ادع الحسن بن علي» فجاء الحسن يمشي وفي عنقه السخاب[2]، فقال النبي ﷺ بيده هكذا، فقال الحسن بيده هكذا، فأخذه النبي ﷺ وقال: «اللّهمّ إنّي أحبّه فأحبَّه، وأحبَّ من يحبُّه».

---

١. مسند أحمد ٥: ٢١٠، السنن الكبرى للبيهقي ١٠: ٢٣٣، الآحاد والمثاني ١: ٣٢٧، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٥٣. وهذا قاله النبي ﷺ للحسن والحسين، كما تقدّم.

٢. السخاب: القلادة، أو خيط ينظّم فيه خرز يلبسه الصبيان والجواري، وقيل: قلادة تعمل من قرنفل ومحلب بدون جواهر. (الفائق في غريب الحديث ١: ٢٣٠، تاج العروس ١: ٢٩٥، عون المعبود ٤: ١٧).

قال أبو هريرة: فما كان أحد أحبَّ إليَّ من الحسن بن علي بعدما قال رسول الله ﷺ ما قال[١].

وفي الحديث منقبة للحسن أيضاً، وأنّه محبوب لله ولرسوله، وزاده تعالىٰ إكراماً، فجعل محبّيه من المحبوبين له عزّ وجلّ.

وفي الحديث ردّ على الروافض وغلاة الشيعة الذين يطعنون في راوية الإسلام وحافظ الصحابة: أبي هريرة الذي يصرّح بأنّ الحسن كان أحبَّ الناس إليه، وهو الذي صحّ عنه أنّه طلب من الحسن أن يكشف له عن سرّته ليقبّلها حيث رأىٰ رسول الله ﷺ، فكشف عن بطنه فقبّل سرّته، رواه أحمد والحاكم[٢] بسند صحيح، فهل مثل هذا يقال فيه: إنّه ناصبيّ وعدوّ لأهل البيت[٣].

---

١. صحيح البخاري ٥:٢٢٥٧، صحيح ابن حبّان ١٥:٤١٧، مسند أحمد ٢:٣٣١ وليس فيه كلام أبي هريرة.

٢. مسند أحمد ٢:٢٥٥، مستدرك الحاكم ٣:١٨٤.

٣. والقول بتوثيق الراوي أو القول بصلاحه لأجل فعلٍ مثل هذا، عجيب. فالفعل صامت لا إطلاق فيه، ولا يدلّ على شيء. نعم فيه إشعار على احترام المقابل. لكنّه لا يدلّ على الوثاقة ولا حسن الحال، بل ليس فيه إشعار بذلك، وهو شبيه ما كان يقوم به بعض اليهود والمنافقين بأفعال تُشعِر بمزيد الاحترام للنبي ﷺ، إذ كانوا يقومون إذا مرَّ النبي ﷺ أو الحسن والحسين، لكنّها لا تدلّ على شيء، وليس فيها إشعار بحسن الحال فضلاً عن الوثاقة، وهذا عند جميع علماء الإسلام.
ولو تنزّلنا جدلاً وقلنا: إنّ الفعل يدلّ على حسن الحال، فإنّه إنّما يدلّ عليه في زمان الفعل، وأمّا في غيره فلا يدلّ على شيء، خصوصاً زمن حروب أمير المؤمنين ﷺ وما حصل في تلك الأعوام من التمحيص والبلاء وانحراف الكثير. فإنّ القول بوثاقة أحد فيها اعتماداً على فعلٍ قام به قبل ثلاثين سنة، مردود.
يضاف إليه أنّ أبا هريرة كان موضع اتّهام الصحابة وأكثر الناس:
قال العلّامة الرافعي في آداب العرب ١:٢٨٢: «كان عمر وعثمان وعلي وعائشة ينكرون عليه ←

← ويتّهمونه، وهو أول راوية اتُّهم في الإسلام، وكانت عائشة أشدُّهم إنكاراً عليه».

وكان علي عليه السلام يقول: «لا أحد أكذب من هذا الدوسي على رسول الله صلى الله عليه وآله» شرح النهج ٢٠: ٢٤.

وقال عليه السلام: «أكذب الأحياء على رسول الله أبو هريرة الدوسي» شرح النهج ٤: ٦٨.

وقالت له عائشة مراراً، وكانت أشدَّ الناس عليه: «أكثرت يا أبا هريرة عن رسول الله» سير أعلام النبلاء ٢: ٦٠٤.

وكذّبه عمر وضربه بالدرّة وقال: «قد أكثرت الرواية، وأحرِ بك أن تكون كاذباً على رسول الله» شرح النهج ٤: ٦٨.

وقال: «لقد أكثرت، لتنتهينّ أو لألحقنّك بجبال دوس» المحدِّث الفاصل: ٥٥٤.

واتّهمه بسرقة بيت المال وقاله له: «يا عدوّ الله وعدوّ المسلمين وعدوّ كتابه! سرقت مال الله» الطبقات الكبرى ٤: ٣٣٥ وفتوح البلدان ١: ١٠٠.

وكذّبه مروان وقال له: «يا أبا هريرة، إنّ الناس قد قالوا: أكثر الحديث عن رسول الله، وإنّما قدم قبل وفاته بيسير» سير أعلام النبلاء ٢: ٦٠٥.

ونقل الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢: ٦٠٨ عن إبراهيم النخعي أنّه قال: «كان أصحابنا يدعون من حديث أبي هريرة» و«ما كانوا يأخذون من حديث أبي هريرة إلّا ما كان حديث جنّة أو نار».

وقد شهد هو بنفسه على تكذيب الناس له، ففي مسند أحمد ٢: ٢٤٠، والسنن الكبرى للنسائي ٥: ٥٠٠: «كان يقول: إنّكم تزعمون أنّ أبا هريرة يكثر الحديث على رسول الله» وفي ٢: ٤٢٤ من المسند: «عن رزين قال: رأيته يضرب جبهته بيده ويقول: يا أهل العراق، تزعمون أنّي أكذب على رسول الله»، وزاد ابن ماجة في السنن ١: ١٣٠: «وقال: ولكم المهنّا وعليّ الإثم»، وزاد في مصنّف ابن أبي شيبة ٦: ٤١: «لتهتدوا وأضلّ» ومثله في تاريخ دمشق ٥: ٩٥، ومسند ابن راهويه ١: ٥٣.

ومن طريف ما ينقل: أنّ رجلاً يلبس حلّةً جديدةً أتى أبا هريرة، فقال له: إنّك تكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فهل سمعته يقول في حلّتي هذه شيئاً؟! أخرجه في صحيح ابن حبّان ١٢: ٤٩١، تاريخ دمشق ٦٧: ٣٥٤، البداية والنهاية ٨: ١١٦.

ويجدر هنا أن ننقل عنه موردين فقط:

الأول: ما رواه البخاري في التاريخ الصغير ١: ٤٣، والطبراني في المعجم الكبير ١: ٧٦: «قال أبو ←

الحسن كان أشبه الناس برسول اللهﷺ

عن أنس رضي الله عنه قال: لم يكن أحد أشبه بالنبيﷺ من الحسن بن علي[١].

وعن عقبة بن الحارث قال: رأيت أبا بكر حمل الحسن وهو يقول:

بأبي شبيه بالنبي ليس شبيهاً بعلي

وعلي يضحك[٢].

وفي هذا منقبة له رضي الله تعالىٰ عنه، حيث أكرمه الله عزّ وجلّ بشبهه بسيّد الخلق وأشرفهمﷺ.

وهذا لا يعارض حديث أنس الآتي في الحسين أنّه كان أشبههم برسول اللهﷺ،

← هريرة: دخلت علىٰ رقيّة بنت رسول اللهﷺ وبيدها مشط...» إلى آخره. وهذا كذب صريح، فإنّ رقية بنت رسول اللهﷺ ماتت وقت معركة بدر، وأبو هريرة أُسلم بعد فتح خيبر بالاتّفاق.

الثاني: ما رواه البخاري في الصحيح ١:٤١١، وابن حبّان في صحيحه ٦:٤٠٣: «قال: ثم صلّى بنا النبيﷺ الظهر والعصر فسلّم في ركعتين، فقال له ذو اليدين: أنقصت أم نسيت؟».

وهذا أيضاً كذب، فإنّ ذا اليدين استشهد ببدر قبل أن يسلم أبو هريرة بزمان، كما في الثقات لابن حبّان ٣:٣٠١، والإصابة ٤:٥٩٨.

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢:٦٠٨: «كان شعبة يقول: كان أبو هريرة يدلّس» ونقله ابن حجر في الإصابة ١:٦٧ وقال: «والتدليس أخو الكذب».

هذا، وقد انتقده الكثير من أعلام أهل السنّة المتأخّرين؛ كالعلّامة الرافعي، والسيد رشيد رضا صاحب المنار، والسيد محمد عبده شيخ الأزهر، والدكتور طه حسين، والدكتور أحمد أمين، والشيخ العلّامة محمود أبو ريّة في كتابيه «شيخ المضيرة» و«أضواء على السنّة المحمدية»، وآخرين غيرهم.

١. صحيح البخاري ٤:١٣٧٠، سبل الهدىٰ ٢:١١٥.

٢. صحيح البخاري ٣:١٣٠٢، الإصابة ٢:٦٢، تهذيب الكمال ٦:٢٢٤، تاريخ دمشق ١٣:١٧٤، كنز العمّال ١٣:٢٤٦، نظم درر السمطين: ٢٠٢. والظاهر أنّ المصنّف نقله بالمعنىٰ، والموجود في جميع المصادر غير هذا لفظاً.

فإنّه جاء في سنن الترمذي وغيره عن سيدنا علي ﷺ قال: «الحسن أشبه رسول الله ﷺ ما بين الرأس إلى الصدر، والحسين أشبه النبي ﷺ ما كان أسفل من ذلك»[١]. والله أعلم.

---

١. صحيح ابن حبّان ١٥:٤٣١، الآحاد والمثاني ١:٢٩٩، مسند أحمد ١:٩٩، كنز العمّال ١٣:٦٦٠، سبل الهدى ٢:١١٥، الذرّية الطاهرة للدولابي: ٧١.

مناقب الحسين عليه السلام

هو سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وريحانته، السيد الطاهر، ابن الزهراء، وجدّ الذرّية الطاهرة بالديار الشرقية، الشهيد المظلوم، شقيق الحسن، ولد في شعبان سنة أربع بعد الحسن بسنة[1].

كان الحسين رضي الله تعالىٰ عنه سيد أهل زمانه، وأحبَّ أهل الأرض إلى أهل السماء، كما قال عبدالله بن عمر[2]. وكانت إقامته بالمدينة إلى أن خرج مع أبيه إلى

---

١. أُسد الغابة ٢: ٢٥، تهذيب الكمال ٦: ٣٩٨، المعجم الكبير ٣: ١١٧، البداية والنهاية ٨: ١٦٠.
وهناك قول آخر نقله في أُسد الغابة ٢: ٢٥ عن قتادة: ولادته لستٍّ سنين وخمسة أشهر ونصف شهر من الهجرة.

٢. الصحيح هو عبدالله بن عمرو بن العاص، لا عبدالله بن عمر، كما في جميع المصادر. ولذلك قصّة ننقلها لأهمّيتها: «مرّ الحسين عليه السلام بقوم فسلّم، فقال عبدالله بن عمرو بن العاص: ألا أُخبركم بأحبِّ أهل الأرض إلى أهل السماء، قالوا: بلى، فقال: هذا الماشي ـ الحسين ـ ما كلّمني كلمة منذ ليالي صفّين ولئن يرضىٰ عنّي أحبُّ إليَّ من أن يكون لي حمر النعم. فقال أبو سعيد الخدري: ألا تعتذر إليه؟ قال: بلى، فلم يزل به حتّى أذن له، فقال له الحسين: أعلمت يا عبدالله! أني أحبُّ أهل الأرض إلى أهل السماء؟ قال: إي وربِّ الكعبة. قال: فما حملك على أن قاتلتني وأبي يوم صفّين؟! فوالله لأبي كان خيراً منّي...» إلى آخره. (تاريخ دمشق ٣١: ٢٧٥، كنز العمال ١١: ٣٤٣)

←

الكوفة فشهد معه الجمل ثم صفّين، ثم قتال الخوارج، وبقي معه إلى أن قُتل، ثم مع أخيه الحسن إلى أن سلَّم الأمر إلى معاوية، فتحوّل مع أخيه إلى المدينة واستقرّ بها إلى أن مات معاوية، فخرج إلىٰ مكة، ثم أتته كتب أهل العراق بأنّهم بايعوه، فأرسل إليهم ابن عمّه مسلم بن عقيل بن أبي طالب، فأخذ له بيعتهم، ثم توجَّه إليهم حتّى كان من قتله رضي الله تعالىٰ عنه ما كان، كما يأتي، وذلك بكربلاء في يوم عاشوراء سنة إحدى وستين.

الحسين من المبشّرين بالجنّة وأنّه سيُقتل شهيداً

ومن مناقب الحسينعليه السلام العظيمة أنّه من جملة الشهداء والمبشّرين بالجنة. فعن جابر بن عبداللهرضي الله عنه أنّه قال: «من سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنّة، فلينظر إلى الحسين بن علي» فإنّي سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقوله[١].

وسيأتي تنبُّؤ النبيصلى الله عليه وآله بقتله شهيداً، والشهادة لا ينالها إلّا المحبوبون الذين أخلصهم الله لنفسه، واصطفاهم علىٰ خلقه.

إثبات محبّة الله لمن أحبَّ حسيناً

وممّا أكرمه الله عزّ وجلّ به أنّ كل من أحبّه كان محبوباً لله تعالىٰ، وهذا المقام عزيز لايحرز عليه إلّا من سبقت له السعادة الأبديّة، والعناية الربانية.

← وانظر أيضاً الإصابة ٢:٦٩، البداية والنهاية ٨:٢٢٦، سير أعلام النبلاء ٣:٢٨٥، تاريخ دمشق ١٤:١٧٩، مصنّف ابن أبي شيبة ٧:٢٦٩، نظم درر السمطين: ٢٠٢.

١. صحيح ابن حبّان ١٥:٤٢٢، مسند أبي يعلى ٣:٣٩٧، سبل الهدى ١١:٧٢، ميزان الاعتدال ٢:٤٠ نظم درر السمطين: ٢٠٨، ينابيع المودّة ٢:٢٠٥.

فعن يعلىٰ بن مرّة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حسين منّي وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحبَّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط» [١].

وفي الحديث فضائل للحسين عليه السلام:

أولاً: كونه مع النبي صلى الله عليه وآله شيئاً واحداً بعضهما من بعض، وهذا لايحتاج إلىٰ تعليق.

ثانياً: إثبات محبّة الله عزّ وجلّ لمن أحبّه، وهذه من الفضائل بمكان، لأنّه لولا كرامته على الله ومنزلته السامية عنده لما أكرم محبّيه بمحبّته تعالىٰ.

ثالثاً: كونه من الأسباط، وفي ذلك إشارة إلى أنّه سيتفرّع من نسله أقوام وأُمم وشعوب، كما وقع من أسباط بني إسرائيل، والواقع كذلك، فإنّه لايوجد بقعة من العالم الإسلامي إلّا وفيها من ذرّيته وذرّية أخيه الحسن الشيء الكثير، وبالأخصّ البلاد العربية، فإنّها تزخر بأهل البيت والذرّية الطاهرة، وقد اختصّت البلاد الشرقية

---

١. مستدرك الحاكم ٣:١٩٥ وصحّحه ووافقه الذهبي، الجامع الصحيح للترمذي ٥:٦٥٨، صحيح ابن حبّان ١٥:٤٢٨، المعجم الكبير ٣:٣٢ و٣٣ و٢٢:٢٧٤ بطريقين، الجامع الصغير ١:٤٣١ وقال: «حسن»، مسند الشاميّين ٣:١٨٤، مصنّف ابن أبي شيبة ٧:٥١٥، كشف الخفاء ١:٣١٩ وقال: «رواه الترمذي وحسّنه وأحمد وابن ماجة في السنن»، التاريخ الكبير للبخاري ٨:٤١٥، تاريخ دمشق ١٤:١٤٩، تهذيب الكمال ٦:٤٠٢ و١٠:٤٢٧، البداية والنهاية ٨:٢٢٨، بغية الطلب في تاريخ حلب ٦:٢٥٢٨، أسد الغابة ٢:٢٦، سبل الهدىٰ ٩:٣٧٠ و١١:٧٢، نظم درر السمطين: ٢٠٨، كنز العمّال ١٢:١١٥ و١٣:٦٦٢، ينابيع المودّة ٢:٣٤.

و«السبط» كما قال ابن هلال العسكري في الفروق اللغوية: ٢٧١: «إنّ أكثر ما يستعمل السبط في ولد البنت، ومنه قيل للحسن والحسين رضي الله عنهما: سبطا رسول الله، والسبط يفيد أنّه يمتدّ ويطول، وأصل الكلمة السبوط، وهو الطول والامتداد، ومنه قيل: السباط، لامتداده بين الدارين، والسبط: شجر، سمّي بذلك لامتداده وطوله».

وفي النهاية في غريب الحديث ٢:٣٣٤: «الحسين سبط من الأسباط، أي أُمّة من الأُمم في الخير». وقال الزبيدي في تاج العروس ٥:١٤٨: «أي أُمّة من الأُمم».

بأكثرية أولاد الحسين، بينما المغرب وخصوصاً الأقصىٰ منه اختصّ بأولاد الحسن، فهم منتشرون في كلّ مدنه وقبائله وقراه، بل هناك قبائل وقرىً وأحياء خاصّة بهم، وليس في المغرب من الحسينيين إلّا القليل، رضي الله تعالىٰ عن جميعهم.

تنبّؤ النبي ﷺ بقتل الحسين عليه السلام

عن عبدالله بن نجيّ، عن أبيه:

أنّه سار مع علي ـ وكان صاحب مطهرته ـ فلمّا حاذىٰ نينوىٰ وهو منطلق إلى صفّين، فنادىٰ علي: «اصبر أبا عبدالله، اصبر أبا عبدالله بشطّ الفرات» قلت: وما ذاك؟ قال: «دخلت على النبي ﷺ ذات يوم وعيناه تفيضان، قلت: يا نبي الله، أغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: بل قام من عندي جبريل قبل، فحدّثني أنّ الحسين يُقتل بشطّ الفرات» قال: فقال: «هل لك إلى أن أشمّك من تربته؟» قال: قلت: نعم، فمدّ يده فقبض قبضةً من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا[١].

وفي الحديث معجزة للنبي ﷺ وعلم من إعلام النبوة، حيث أخبر بقتل ولده الحسين قبل وقوعه بعشرات السنين مع تعيين القطر والموضع بالضبط. فصدّق الله

---

١. مسند أبي يعلى ١:٢٩٨، المعجم الكبير ٣:١٠٥، الآحاد والمثاني ١:٣٠٨، مسند أحمد ١:٨٥ مجمع الزوائد ٩:٣٠٠ وقال: «رواه أحمد وأبو يعلى والبزّار والطبراني ورجاله ثقات، ولم ينفرد نَجيّ بهذا»، تهذيب الكمال ٦:٤٠٧، تهذيب التهذيب ٢:٣١٥، سير أعلام النبلاء ٣:٢٨٨، البداية والنهاية ٨:٢١٧، تاريخ دمشق ١٤:١٨٨، بغية الطلب في تاريخ حلب ٦:٤٥٩٦، جواهر المطالب للباعوني ٢:٢٩٠، كنز العمال ١٣:٦٥٥.

وقريب منه مصنّف ابن أبي شيبة ٨:٦٣٢، وسبل الهدىٰ ١١:٧٤، وكنز العمّال ١٢:١٢٧ عن علي وأبي أُمامة وأنس وأُمّ سلمة وعائشة وزينب أُمّ المؤمنين وأُمّ الفضل زوج العباس.

وفي لسان العرب ٧:٣٤٧ قال: وبسواد الكوفة ناحية يقال لها: نينوى، منها كربلاء التي قُتل بها الحسين عليه السلام.

ذلك ووقع كما قال، وفيه اختصاص الإمام علي رضي الله تعالىٰ عنه بعلم ذلك من بين سائر الصحابة رضي الله تعالىٰ عنهم[١].

خروج الحسين إلى العراق

قال الشعبي: بلغ ابن عمر رضي الله عنه وهو بمالٍ له أنّ الحسين بن علي رضي الله تعالىٰ عنه قد توجَّه إلى العراق، فلحقه على مسيرة يومين أو ثلاثة، فقال: إلىٰ أين؟ فقال: هذه كتب أهل العراق وبيعتهم، فقال: لا تفعل، فأبىٰ، فقال له ابن عمر: إنّ جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فخيّره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا، وإنّك بضعة من رسول الله ﷺ، كذلك يريد منكم، فأبىٰ، فاعتنقه ابن عمر، وقال: أستودعك الله والسلام[٢].

كان معاوية قد عهد إلى ابنه يزيد بالخلافة في حياته، فلمّا مات بايعه أهل الشام، ثم بعث إلى أهل المدينة من يأخذ له البيعة، فامتنع الحسين وابن الزبير في آخرين من بيعته؛ نظراً لكونه غير كفء، ولا مستحقّ للخلافة[٣].

---

١. كلام المصنّف فيه بعض التحفّظ، فالنبي ﷺ خصَّ أمير المؤمنين عليه السلام بتفاصيل ذلك، إلّا أنّه ﷺ أخبر بقتل الحسين الكثير من الصحابة، وكان النبي ﷺ يُصرِّح بذلك جهاراً بين الصحب، ويدلّ عليه رواية الصحابي الجليل أنس بن الحارث قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ ابني ـ يعني الحسين ـ يُقتل بأرض يقال لها: كربلاء، فمن شهد منكم ذلك فلينصره» فخرج أنس بن الحارث إلى كربلاء فقتل بها مع الحسين.

أخرجه في تاريخ دمشق ١٤:٢٢٤، البداية والنهاية ٨:٢١٧، الإصابة ١:٢٧١، سبل الهدى ١١:٧٥. فإخبار النبي عامٌّ، وفيه أمرٌ بوجوب القتال مع الحسين عليه السلام، ووجوب نُصرته والذبِّ عنه.

٢. صحيح ابن حبّان ١٥:٤٢٤، تاريخ دمشق ١٤:٢٠٢، البداية والنهاية ٨:١٧٣، سير أعلام النبلاء ٣:٢٩٢.

٣. والكلام عن يزيد بن معاوية كثير:

←

← قال عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة: «ما خرجنا على يزيد حتّى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، أن كان رجلاً ينكح الأُمهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة. والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاء حسناً» الطبقات الكبرى ٥:٦٦، تاريخ دمشق ٢٧:٤٢٩.

وسئل العلّامة الكيا الهراسي عن يزيد بن معاوية فقال: «إنّه لم يكن من الصحابة، لأنّه ولد في أيام عمر، وأمّا قول السلف، ففيه لأحمد قولان تلويح وتصريح، ولمالك فيه قولان تلويح وتصريح، ولأبي حنيفة فيه قولان تلويح وتصريح، ولنا قول واحد تصريح دون تلويح، وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالنرد، والمتصيّد بالفهود، ومدمن الخمر، وشعره في الخمر معلوم، ولو مددت بياض لمددت العنان في مخازي هذا الرجل» وفيات الأعيان ٣:٢٨٧، جواهر المطالب للباعوني ٢:٣٠١، شذرات الذهب ٢:٨.

وقال المناوي في فيض القدير ٣: ٨٤: «قد أطلق المحقّقون حِلَّ لعن يزيد، حتّى قال التفتازاني: الحقّ أنّ رضا يزيد بقتل الحسين وإهانة أهل البيت ممّا تواتر معناه وإن كان تفاصيله آحاد، فنحن لا نتوقّف في شأنه بل في إيمانه، لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه».

قال الزين العراقي: «وقوله: بل في إيمانه، أي بل لا يُتوقّف في إيمانه، بقرينة ما قبله وما بعده».

وكلام التفتازاني في شذرات الذهب ١:٦٨ نقله عن شرح العقائد النسفية.

وقال أيضاً في فيض القدير ١:٢٠٥: «قال ابن الجوزي في يزيد: أجاز العلماء الورعون لعنه، وفي فتاوى حافظ الدين الكردي الحنفي لعن يزيد، وحكى كلام الإمام قوام الدين الصفّاري قال: لا بأس بلعن يزيد» ثم قال المناوي: «والحقّ أنّ لعن يزيد على اشتهاره وكفره وتواتر فظاعته وشرّه على ما عرفت بتفاصيله، جائز».

وفي شذرات الذهب ١:٦٩ قال: «قال الذهبي: ويزيد كان ناصبيّاً فظّاً غليظاً، يتناول المسكر ويفعل المنكر، افتتح دولته بقتل الحسين، وختمها بواقعة الحرّة، فمقته الناس ولم يبارك في عمره».

وقال ابن تغري بردي الأتابكي في النجوم الزاهرة ١:١٦٣: «كان يزيد فاسقاً قليل الدين، مدمن الخمر».

ولاشتهار فسقه وفجوره كان عمر بن عبدالعزيز يضرب من قال: يزيد أمير المؤمنين عشرين سوطاً تعزيراً (النجوم الزاهرة ١:١٦٣ و٦:١٣٤، سير أعلام النبلاء ٤:٤٠) وبهذا استدلّ علماء ←

ثم خرج الحسين وابن الزبير لمكة المكرمة، فجعل أهل العراق يكاتبون الحسين بالقدوم إليهم ليبايعوه، وجاءته من طرفهم عدّة كتب ورسائل، فبعث إليهم ابن عمّه مسلم بن عقيل ليأخذ له البيعة منهم، فذهب ونزل الكوفة فاجتمع إليه نحو من ثمانية عشر ألفاً فبايعوه على إمرة الحسين، وحلفوا له لينصرنّه بأنفسهم وأموالهم.

فبلغ ذلك عبيد الله بن زياد ـ وكان أمير البصرة من قبل يزيد ـ فخرج إلى الكوفة بعد أن ضمّها إليه يزيد، فجمع أشراف الناس وأُمراء القبائل فخطبهم ورغّبهم ورهّبهم، وخذّل الناس، وأفسد كلّ من كاتب الحسين وبايعه بواسطة مسلم بن عقيل، فتفرّق الجميع وبقي مسلم بن عقيل وحده وهام على وجهه، واختفىٰ عند امرأة، ثم دلّ عليه فأُلقي عليه القبض وأُتي به ابن زياد فقتله[١].

وخرج الحسين عليه السلام متوجّهاً للعراق في أهل بيته وأقاربه وذويه، بعد أن حذّره جماعة من أهله وذوي الرأي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا له: لك العبرة بما

← النظامية ببغداد وأفتوا بضرب أبي الخير القزويني حين امتدح يزيد على المنبر، فضربوه عشرين سوطاً تعزيراً، كما كان يفعل عمر بن عبدالعزيز. (النجوم الزاهرة ٦:١٣٤).

١. مسلم بن عقيل بن أبي طالب، من أبطال بني هاشم وعُبّادهم، ثقة الحسين والمقدَّم عنده من أهل بيته، وجلالته وعظمته فوق ما تحويه عبارة، ولولا ذلك لما اختاره الحسين عليه السلام للسفارة عنه. كان مسلم في صفّين في ميمنة أمير المؤمنين مع الحسن والحسين عليهما السلام، واستشهد بالكوفة، قتله عبيد الله بن زياد وهانئ بن عروة بأمرٍ من يزيد بن معاوية. واستشهد اثنان من ولده في الطفّ مع الحسين عليه السلام وهما: عبدالله ومحمد، وأُمّهما رقية بنت أمير المؤمنين. راجع الطبقات الكبرى ٤:٤٢، تاريخ خليفة بن خيّاط: ١٧٦، تاريخ دمشق ٢٨:٢٥٩، تهذيب الكمال ٦:٤٢٧.

وممّن نصّ على أنّ قتله كان بأمر من يزيد: الحافظ المزّي في تهذيب الكمال ٦:٤٢٣ وقال: «فكتب يزيد إلى عبيد الله بقتل مسلم». وابن حبّان في الثقات ٢:٣٠٧ وقال: «فكتب يزيد إلى عبيد الله وأمره بقتل مسلم». وابن حجر في الإصابة ٢:٧٠ وقال: «كتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد وأمره أن يطلب مسلم فإن ظفر به قتله» ومثله في تاريخ الطبري ٤:٢٥٧. وقال الدينوري في الأخبار الطوال: ٢٤٢: «لمّا بعث عبيد الله برؤوسهما إلى يزيد كتب إليه يزيد: قد فعلت فعل الحازم الجليد!».

فعله أهل العراق بأبيك وأخيك، ولمّا وصل العراق وجد الأمر على خلاف ما كان يظنّ، فبعث إليه عبيد الله بن زياد عمر بن سعد بن أبي وقّاص في أربعة آلاف مقاتل، أكثرهم ممّن كان يكاتبه وبايعه بواسطة ابن عمه مسلم بن عقيل، وبعد أخذٍ وردٍّ طلبوا منه النزول على حكم عبيد الله بن زياد وبيعته ليزيد، فأبى الاستسلام لذلك، فقاتلوه ومنعوه الماء ثلاثة أيّام، فقاتلهم هو وأصحابه وأهل بيته قتال الأبطال حتّى قتل بين يديه جميع من كان معه، وكانوا لا يزيدون على اثنين وسبعين رجلاً، وبقي وحده.

ثم نادى عدوّ الله شمر بن ذي الجوشن قائلاً: ماذا تنتظرون بقتله؟ فهاجموه وأحدقوا به، وهو يقاتل يميناً وشمالاً حتّى أثخنوه بالجراحات فسقط إلى الأرض، فتقدَّم إليه اللعين زرعة بن شريك التميمي فضربه بالسيف على عاتقه، ثم طعنه الشقيّ البغيض سنان بن أنس النخعي بالرمح، ثم نزل فذبحه واحتزَّ رأسه.

ثم أمر عمر بن سعد أن يوطأ الحسين بالخيل! فداسوه بحوافرها حتّى ألصقوه بالأرض، ثم أمر برأسه أن يحمل إلى ابن زياد لعنه الله ولعن جنده، وجميع من شارك في قتله، أو أمر به أو رضي به.

وقتل مع الحسين عليه السلام في هذه المعركة الأليمة من أهله وأقاربه:

أولاده الأربعة: علي الأكبر وعبد الله وأبو بكر والقاسم أبناء الحسين عليه السلام [1].

وإخوته الخمسة: العباس وجعفر وعبد الله وعثمان وأبو بكر، أولاد علي بن أبي طالب رضي الله تعالىٰ عنهم.

---

١. وقع خلط من المصنّف في الأسماء، فأولاد الحسين اثنان: هما: علي الأكبر وعبد الله وهو الرضيع، والقاسم هو ابن الإمام الحسن، وأبو بكر هو ابن أمير المؤمنين، ومجموع من قتل معه من ولده وإخوته وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلاً.

وولدا عمّه: جعفر بن عقيل وقبله مسلم بن عقيل، وابن عمّه: محمد بن جعفر، وابن ابن عمّه: عون بن عبدالله بن جعفر، رضي الله تعالىٰ عنهم.

قال الحسن البصري: قُتل مع الحسين بن علي ستّة عشر رجلاً من أهل بيته، والله ما على ظهر الأرض يومئذٍ أهل بيت يشبهونهم[١].

قال سفيان: ومن يشكّ في ذلك؟[٢]

وقال منذر الثوري: كنّا إذا ذكرنا حسيناً ومن قُتل معه، قال محمد ابن الحنفيّة رضي الله تعالىٰ عنه: قتل معه سبعة عشر رجلاً، كلّهم ارتكض في رحم فاطمة رضي الله تعالىٰ عنها وعنهم[٣].

ولمّا قُتلوا أخذوا نساءه وبناته، وسلبوا ما كان عليهنّ وعندهنّ من حليٍّ... وفيهنّ بناته الطيّبات: زينب وسكينة وفاطمة، ومعهنّ عمّتهن الطاهرة أُخت الحسين زينب الكبرى بنت فاطمة وعلي عليهم السلام والرضوان. ومع الجميع علي بن الحسين زين العابدين رضي الله تعالىٰ عنه، فأُدخلوا على ابن زياد لعنه الله، ووضع رأس الحسينﷺ بين يديه.

قال أنس بن مالك: كنت عند ابن زياد فجيء برأس الحسينﷺ، فجعل يقول بقضيب في أنفه ويقول: ما رأيت مثل هذا حسناً! قال أنس: قلت: أما إنّه كان

---

١. البداية والنهاية ٨:٥-٢٠٥ وقال: «وقال غيره: قُتل من ولده وإخوته وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلاً». المعجم الكبير ٣:١١٨، تاريخ خليفة بن خيّاط: ١٧٩ وقال: «عن ابن الحنفيّة أنّه قال: قُتل مع الحسين بن علي سبعة عشر رجلاً كلّهم قد ارتكض في بطن فاطمة». ومثله في مجمع الزوائد ٩:٣١٨.

وفي تاريخ دمشق ١٤:٢٤٤، وتهذيب الكمال ٦:٤٣١: قُتل معه ستّة عشر رجلاً من أهل بيته.

٢. المعجم الكبير ٣:١١٨، مجمع الزوائد ٩:٣١٩.

٣. المعجم الكبير ٣:١٠٤، مجمع الزوائد ٩:٣١٩، تاريخ خليفة بن خياط: ١٧٩. وارتكض: اضطرب وتحرّك.

أشبههم برسول الله ﷺ[١].

ثم أمر بهم ابن زياد فبعث بهم إلى الشام ليزيد لعنه الله.

ولم يتقدّم في تاريخ الإسلام فجيعة، ولا رزيّة أفضع وأقبح وأخبث من قتل الحسين وأهل بيته وأصحابه على كثرة ما وقع في الإسلام من نكبات، ولذلك مقت يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد، كلّ مسلم على وجه الأرض يحبّ الله ورسوله وأهل بيته منذ ذلك الحين حتّى وقتنا هذا وإلى ما شاء الله، وكلّ من شارك في ذلك أو ساعد عليه أو رضي به فهو ملعون بلعنة الله، وسوف يتولّى الله جزاءهم الجزاء الأوفى الذي يستحقّونه[٢].

ما وقع عند موت الحسين من التغيّرات الكونية

قال الزهري: ما رفع بالشام حجر يوم قتل الحسين بن عليّ إلّا عن دم[٣].

وقال أبو قبيل: لمّا قُتل الحسين بن عليّ انكسفت الشمس كسفةً حتّى بدت الكواكب نصف النهار حتّى ظننّا أنّها هي، يعني قيام الساعة[٤].

---

١. الجامع الصحيح للترمذي ٥:٦٥٩ وقال: «حديث حسن صحيح»، تهذيب الكمال ٦:٤٠٠، البداية والنهاية ٨:١٦١، ينابيع المودّة ٣:١٠ وفيه: «فجعل يضرب بقضيب في أنفه»، وهذا هو الصحيح، فلا معنى لقوله: فجعل يقول بقضيب.

٢. قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣:٣١٣: «ما شارك أحد في قتل الحسين إلّا مات ميتة سوء». وسيأتي من المصنّف كلام عن ذلك.

٣. المعجم الكبير ٣:١١٣ بعدّة طرق، ثم ذكر بعض العلائم التي ظهرت حين قتله ﷺ وما أصاب القتلة من العقاب والعذاب. مجمع الزوائد ٩:٣١٦ وقال: «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح» تهذيب الكمال ٦:٤٣٤، سير أعلام النبلاء ٣:٣١٤. وذكر ابن حجر في مجمع الزوائد الكثير من العلامات في الجزء التاسع باب مناقب الحسين ﷺ.

٤. المعجم الكبير ٣:١١٤، مجمع الزوائد ٩:٣١٦ وقال: «رواه الطبراني، وإسناده حسن».

وعن أُمّ سلمة وميمونة رضي الله تعالىٰ عنهما أنّهما سمعتا الجنّ تنوح على الحسين بن علي[1].

ما قيل من الأشعار في قتل الحسين

ألا يا عين فاحتفلي بجهدي ... ومن يبكي على الشهداء بعدي

علىٰ رهطٍ تقودهم المنايا ... إلى متجبّر في ملك عبد[2]

* * *

---

١. المعجم الكبير ٣: ١٢١ و١٢٢، مجمع الزوائد ٩: ٣٢١، الإصابة ٢: ٧٢، الآحاد والمثاني ١: ٣٠٨، تاريخ دمشق ١٤: ٢٣٩ و٢٤٠ بعدّة طرق، البداية والنهاية ٦: ٢٥٩ وقال: «هذا صحيح» و٨: ٢١٩، نظم درر السمطين: ٢٢٣، سير أعلام النبلاء ٣: ٣١٦، تهذيب الكمال ٦: ٤٤١، وروي عن غيرهما أيضاً كما في سبل الهدى ١١: ٧٥ وعقد له فصلاً.

وممّا حصل من التغيّرات الكونيّة والعلائم عند مقتله ﷺ ما روي عن أُمّ سلمة ونظرة الأزدية وسليم القاضي وحمّاد بن سلمة وغيرهم: «لمّا قُتل الحسين ﷺ مطرت السماء دماً» كما في الثقات ٥: ٤٨٧، تاريخ دمشق ١٤: ٢٢٧، تهذيب الكمال ٦: ٤٣٣، بلاغات النساء: ٢٤، سبل الهدى ١١: ٨٠، نظم درر السمطين: ٢٢٢.

وعن عليّ بن مدرك عن جدّه الأسود بن قيس قال: احمرّت الآفاق بعد قتل الحسين بستّة أشهر، نرىٰ ذلك في آفاق السماء كأنّها دم، فحدّثت بذلك شريكاً فقال لي: ما أنت من الأسود؟ قلت: هو جدّي أبو أُمّي، قال: أمَ والله إنّه كان لصدوق الحديث، عظيم الأمانة. تهذيب الكمال ٦: ٤٣٢، وانظر خبر احمرار السماء في المعجم الكبير ٣: ١١٣، والذرّية الطاهرة: ٩٧، ونظم درر السمطين: ٢٢١.

وأكثر العلامات ذكرها الطبراني في المعجم الكبير في الجزء الثالث. وابن حجر في مجمع الزوائد في الجزء التاسع. وتاريخ دمشق في الجزء الرابع عشر، فراجع.

٢. هذا الشعر من نوح الجنّ على الحسين ﷺ، ذكره في مجمع الزوائد ٩: ٣٢١، تاريخ دمشق ١٤: ٢٤١، تهذيب الكمال ٦: ٤٤١، المعجم الكبير ٣: ١٢٢، ينابيع المودّة ٣: ٨٩.

مســـح الرســول جـبينه فله بـريق فـي الخـدود
أبــواه مـــن عـليا قـريـ شٍ جدّه خير الجـدود[١]

* * *

مـاذا تـقولون إن قـال النـبيُّ لكـم مـاذا فـعلتم وأنـتم آخـر الأُمـم
بـعترتي وبأهــلي بـعد مـفتقدي منهم أُسارى وقـتلى ضرِّجوا بـدم
ما كان هذا جزائـي إذ نـصحت لكـم أن تخلفوني بسوء فـي ذوي رحـم[٢]

* * *

أترجو أمَّـة قـتلت حسـيناً شفاعة جدِّه يوم الحساب[٣]

---

١. وهذا أيضاً من نوح الجنّ على الحسين عليه السلام ذكره في مجمع الزوائد ٩:٣٢١، المعجم الكبير ٣:١٢١، تهذيب الكمال ٦:٤٤١، تاريخ دمشق ١٤:٢٤١ و٢٤٢، ينابيع المودّة ٣:٨٨، نظم درر السمطين: ٢٢٣.

٢. هذه الأبيات ذكرها المصنّف بشكل غير موزون، ونحن أثبتنا الأصل الموجود في الأنساب للسمعاني ٣:٤٧٦، والبداية النهاية ٦:٢٦١، وتاريخ دمشق ٦٩:١٧٨، وتهذيب الكمال ٦:٤٣٠، وتاريخ الطبري ٤:٢٩٤.

وهذه الأبيات لزينب الصغرى بنت عقيل بن أبي طالب، كانت تخرج للناس في البقيع وتنعى قتلاها بالطفّ. انظر المعجم الكبير ٣:١١٤، تهذيب التهذيب ٢:٣٢٠، مجمع الزوائد ٩:٣٢٢، ينابيع المودّة ٣:٨٩. وكان قد استشهد لآل عقيل في الطفّ ستّة من خيار بني هاشم، وقبلهم استشهد عميدهم: مسلم بن عقيل، وفيهم يقول الشاعر:

واندبي تسعة لصلب عليٍّ قد أُصيبوا وستّة لعقيل

٣. ولهذا البيت من الشعر قصّة نقلها الحفّاظ والمؤرّخون، وأثبتوها في كتبهم بطرق متعدّدة وبأسانيد صحيحة:

ففي تاريخ دمشق ١٤:٢٤٣ و٢٤٤ و٣٧:٥٧ قال: «وجد مكتوباً في كنيسة حين غزا المسلمون الروم، فسألوهم: منذ كم وجدتم هذا الكتاب في هذه الكنيسة؟ فقالوا: قبل أن يخرج نبيّكم بستّمائة عام».

←

انتقام الله من قتلة الحسينعليه السلام

حينما هاجم جيش ابن زياد الحسينعليه السلام دعا عليهم بقوله: «اللّهم أحصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تذر على الأرض منهم أحدا». في دعاء بليغ[١].

فما مكثوا بعد قتله إلّا قليلاً حتّىٰ سلّط الله عليهم من قتلهم، ومن لم يُقتل منهم أُصيب بشرّ مصيبة في نفسه وأهله وماله، ولم يخرج من الدنيا حتّى انتقم الله منه.

قال ابن كثير: وأمّا ما روي من الأحاديث والفتن التي أصابت من قتله فأكثرها صحيح، فإنّه قلّ من نجا من أُولئك الذين قتلوه من آفة وعاهة في الدنيا، فلم يخرج منها حتّى أُصيب بمرض، وأكثرهم أصابهم الجنون[٢].

وقال الشعبي: رأيت في النوم كأنّ رجالاً من السماء نزلوا معهم حراب يتتبّعون قَتَلة الحسين، فما لبثت أن نزل المختار فقتلهم[٣].

المختار بن أبي عبيدة الثقفي

من زعماء الثوّار على بني أُميّة، وأحد الشجعان، كان مع الإمام علي، ثم مع

← وذكرها المزّي في تهذيب الكمال ٦:٤٤٢، وابن كثير في البداية والنهاية ٨:٢١٨، والطبراني في المعجم الكبير ٣:١٢٤، والصالحي في سبل الهدى ١١:٨٠، وابن حجر في مجمع الزوائد ٩:٣٢٠، وابن جرادة في بغية الطلب في تاريخ حلب ٦:٢٦٥٣، والقلقشندي في مآثر الأنافة ١:١١٩، وابن النجّار في ذيل تاريخ بغداد ٤:١٥٩، والباعوني في جواهر المطالب ٢:٢٩٦، والقندوزي الحنفي في الينابيع بعدّة طرق كما في ٣:١٥ و٤٦.

١. البداية والنهاية ٨:٢٠٣، تاريخ الطبري ٤:٣٤٣ وقال: «دعا به لمّا رماه اللعين حصين بن تميم في فمه، فجعل يتلقّى الدم من فمه ويرمي به إلى السماء وهو يقول: اللّهم أحصهم...» إلى آخره.

٢. البداية والنهاية ٨:٢٢٠، سبل الهدى ١١:٧٨ وما بعده، فقد نقل الكثير ممّا أصاب القتلة لعنهم الله تعالىٰ.

٣. المعجم الكبير ٣:١١٣، مجمع الزوائد ٩:٣١٤ وقال: «رواه الطبراني وإسناده حسن».

فهرس الآيات

وقد فعل سبحانه وأنجز وعده على ما أُخّر لهم من عذاب الآخرة.

* * *

وبهذا تمّت هذه الرسالة المباركة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، اللّهم إنّا نتقرّب إليك بحبّ آل بيت نبيّك الأطهار، وببغض أعدائهم الأشرار، ونبرأ إليك ممّا فعله معهم أعداؤهم الطغاة الفجّار، ونكِلُ أمرهم إليك تحكم فيهم بعدلك، فإنّك العزيز القهّار، وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً، آمين[١].

← لفظ حديث الشافعي وحديث القاضي أبي بكر بن كامل: «إنّي قتلت على دم يحيىٰ بن زكريا، وإنّي قاتل على دم ابن بنتك». وهذا صحيح الإسناد ولم يخرّجاه». وقال الذهبي: «صحيح على شرط مسلم». تاريخ دمشق ١٤:٢٢٥، تاريخ بغداد ١:١٥٢، تهذيب الكمال ٦:٤٣١، تهذيب التهذيب ٢:٣٢٠، البداية والنهاية ٨:٢١٩، كنز العمّال ١٢:١٢٧، بغية الطلب في تاريخ حلب ٦:٢٥٩٧ و ٢٦٣٤، المنتظم ٥:٣٤٦، سبل الهدى ١١:٨١، نظم درر السمطين: ٢١٦.

١. في ذيل النسخة وجدنا ما لفظه: وكان الفراغ من تبييضه مع إضافات نافعة يوم الثلاثاء خامس عشر من المحرّم عام ١٤١٦ بثغر طنجة بالمغرب الأقصى، وكان تسويده عام خمسة وثمانين وثلاثمائة وألف (١٣٨٥). والحمد لله ربِّ العالمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العظيم.

الفهارس

الحسن، ثم كان ممّن بايع للحسين، ثم من الخاذلين له[١]. ولمّا قُتل الحسين ـ وكانت أيّام ابن الزبير ـ ظهر المختار بالكوفة ودعا إلى إمامة محمد ابن الحنفية وقال: إنّه استخلفه، فبايعه نحو من سبعة عشر ألف رجل، فخرج بهم وعظم شأنه، وصار يتتبّع قتلة الحسين عليه السلام. فقتل منهم شمر بن ذي الجوشن الذي كان ممّن باشر قتل الحسين، وخولي بن يزيد الذي سار برأسه إلى ابن زياد، وعمر بن سعد الذي كان أمير الجيش الذي حاربه. ثم أُرسل إبراهيم بن الأشتر في عسكر كثيف إلى عبيد الله بن زياد الذي كان جهّز جيشاً لحرب الحسين، فقتل ابن زياد وقتل كثيرين ممّن كان لهم مشاركة في تلك الجريمة الشنعاء، والله تعالى حكم عدل.

قال عبدالملك بن عمير: دخلت على عبيد الله بن زياد وإذا رأس الحسين قدّامه على ترس، فوالله ما لبثت إلّا قليلاً حتّى دخلت على المختار فإذا رأس عبيد الله بن

---

١. لم يكن المختار من الخاذلين له عليه السلام كما هو الثابت تاريخياً. فقد نصّ كثير من الحفّاظ والمؤرّخين على أنّ عبيد الله بن زياد بعد قتله لمسلم بن عقيل تتبّع أنصاره وكبار الشيعة في الكوفة وحبسهم، ومنهم المختار، ولم يخرجوا إلّا بعد مقتل الحسين عليه السلام بزمان:
قال ابن حجر في الإصابة ٦: ٢٥٠: «أنّ عبيد الله بن زياد حبس ميثم وحبس معه المختار بن عبيد. فقال ميثم للمختار: إنّك ستفلت وتخرج بثأر الحسين، فتقتل هذا الذي يريد أن يقتلك».
وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٨: ٢٧٣: «سجنه بعد مقتل مسلم، ولم يخرج إلّا بعد مقتل الحسين، فخرج للحجاز وهو يقول: والله لأقتلنّ بالحسين بن علي عدد من قتل بدم يحيى بن زكريا».
هذا ونصّ الطبري في التاريخ ٤: ٥٣٦ على أنّ المختار كان في حبس ابن زياد لمّا قُتل الحسين عليه السلام. وكذا الاسفراييني في نور العين: ٨٧.
وأمّا كتاب ابن الحنفية للمختار فقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ٩: ٤٧ إنّما هو لأجل أن ينقذهم من ابن الزبير الذي جمع الحطب على أبواب بني هاشم وأراد إحراقهم. فكتب ابن الحنفية بذلك للمختار. فلمّا وصل إليه الكتاب بعث أبا عبد الله الجدلي في أربعة آلاف فاستنقذ بني هاشم من يدي ابن الزبير.
وقد نصّ كثير على أنّ خروجه كان لمحض الطلب بثأر الحسين عليه السلام، كما في الإصابة ٦: ٢٧٦، وأُسد الغابة ٥: ١١٧ وقال: «وكان المختار قد خرج بطلب ثأر الحسين بن علي». ونور العين: ٥٣.

زياد على ترس، فوالله ما لبثت إلّا قليلاً حتّى دخلت على مصعب بن الزبير وإذا رأس المختار على ترس، فوالله ما لبثت إلّا قليلاً حتى دخلت على عبد الله وإذا رأس مصعب بن الزبير على ترس[١].

وقال عمارة بن عمير: لمّا جيء برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه نضدت في المسجد في الرحبة، فانتهيت إليهم وهم يقولون: قد جاءت، قد جاءت، فإذا حيّة قد جاءت تتخلّل الرؤوس حتّى دخلت في منخري عبيد الله بن زياد، فمكثت هنيئة ثم خرجت فذهبت حتى تغيّبت، ثم قالوا: قد جاءت، قد جاءت، ففعلت ذلك مرّتين أو ثلاثاً[٢].

وفي هذا عبرة لمن يعتبر، فإنّ الله تعالىٰ أرى الناس مصير أُولئك الطغاة الظلمة وأنّهم معذّبون الآن في عالم البرزخ، ولعذاب الآخرة أشقّ، وما لهم من الله من واق.

الاقتصاص للحسين عليه السلام

وهكذا اقتصّ الله عزّ وجلّ للحسين من أولئك الفجرة في الدنيا بالأُلوف منهم.

فقد قال ابن عباس رضي الله عنه: أوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وآله: «إنّي قتلت بيحيىٰ سبعين ألفاً، وإنّي قاتل بابن بنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً»[٣].

---

١. مجمع الزوائد ٩: ٣١٤، المعجم الكبير ٣: ١٢٥، البداية والنهاية ٨: ٢١٤ وفيهما: «دخلت على عبدالملك بن مروان فإذا رأس مصعب على ترس».

٢. المعجم الكبير ٣: ١١٣، الجامع الصحيح للترمذي ٥: ٦٦٠ وقال: «صحيح»، تحفة الأحوذي ١٠: ٢٦٣ وقال: «ذكره الترمذي في مناقب الحسين، لأنّ فيه ذكر المجازات لما فعله عبيد لله بن زياد برأس الحسين عليه السلام». البداية والنهاية ٨: ٢٠٧، سبل الهدى ١١: ٨٠، نظم درر السمطين: ٢٢١.

٣. مستدرك الحاكم ٢: ٣١٩ في أوّل تفسير آل عمران و٦٤٨ في قصّة يحيىٰ، و٣: ١٩٦ وقال: «هذا ←

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس مصادر التحقيق

١. القرآن الكريم

٢. إرغام المبتدع، السقّاف، دار الإمام النووي

٣. إرواء الغليل، الألباني، المكتب الإسلامي

٤. إعانة الطالبين، الدمياطي، دار الفكر، بيروت

٥. الآحاد والمثاني، ابن أبي عاصم، دار الراية

٦. الأخبار الطوال، الدينوري، دار الكتب العربية

٧. الأذكار النووية، النووي، دار الفكر

٨. الاستيعاب، ابن عبدالبرّ، دار الكتب العلمية، بيروت

٩. الإصابة، ابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت

١٠. الاعتقادات، الشيخ المفيد، الطبعة الأُولى

١١. الإقناع، الشربيني، دار المعرفة، بيروت

١٢. الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، الحلبي القاهرة، مطبعة الزيني

١٣. الأنساب، السمعاني، دار الجنان

١٤. أخبار أصبهان، أبو نعيم الأصبهاني، الطبعة الأُولى

١٥. أسباب النزول، الواحدي، الحلبي، القاهرة

١٦. أُسد الغابة، ابن الأثير، دارالكتب العلمية، بيروت
١٧. أسنى المطالب، الحوت، دار الكتب العلمية
١٨. أُصول السرخسي، أبو بكر السرخسي، دار الكتب العلمية، بيروت
١٩. أضواء على السنّة المحمدية، محمود أبو ريّة، الأعلمي، بيروت
٢٠. أمالي المحاملي، حسين المحاملي، دار ابن القيّم، الأُردن
٢١. بحار الأنوار، المجلسي، دار إحياء التراث، بيروت
٢٢. بدائع الصنائع، أبو بكر الكاشاني، طبع باكستان
٢٣. بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن جرادة، دار الفكر، بيروت
٢٤. بلاغات النساء، ابن طيفور، بصيرتي، قم
٢٥. تاج العروس، الزبيدي، مكتبة الحياة
٢٦. تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، دار إحياء التراث، بيروت
٢٧. تاريخ ابن معين، يحيى بن معين، دار المأمون، دمشق
٢٨. تاريخ الأُمم والملوك، المعروف بتاريخ الطبري، مؤسّسة الأعلمي، بيروت
٢٩. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت
٣٠. تاريخ خليفة بن خيّاط، العصفري، دار الفكر، بيروت
٣١. تاريخ دمشق، ابن عساكر، دار الفكر، بيروت
٣٢. تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، مطبعة السعادة، مصر
٣٣. تاريخ المدينة، ابن شبّة، النميري، دار الفكر، بيروت
٣٤. تاريخ المواليد، ابن الخشّاب، مكتبة المرعشي
٣٥. تاريخ اليعقوبي، ابن واضح، مكتبة أمير المؤمنين
٣٦. تحفة الأحوذي، المباركفوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت
٣٧. تدريب الراوي، السيوطي، مكتبة الرياض

٣٨. تذكرة الحفّاظ، الذهبي، طبعة الحرم المكي
٣٩. تعجيل المنفعة، ابن حجر، دار الكتاب العربي
٤٠. تفسير الجلالين، دار المعرفة، بيروت
٤١. تفسير الخازن، علاء الدين الخازن، دار الكتب العلميّة، بيروت
٤٢. تفسير الدرّ المنثور، السيوطي، دار الفكر، بيروت
٤٣. تفسير الطبري (جامع البيان)، الطبري، دار الفكر، بيروت
٤٤. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار المعرفة، بيروت
٤٥. تفسير القرآن، عبدالرزّاق الصنعاني، مكتبة الرشد، الرياض
٤٦. تفسير فتح البيان، صدّيق خان القنوجي، المكتبة العصرية
٤٧. تفسير فتح القدير، الشوكاني، عالم الكتب، بيروت
٤٨. تفسير محاسن التأويل، القاسمي، دار الحديث، القاهرة
٤٩. تقريب التهذيب، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت
٥٠. تقوية الإيمان، محمد بن عقيل، دار البيان
٥١. توجيه النظر، الجزائري، دارالباز، مكة
٥٢. تهذيب التهذيب، ابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت
٥٣. تهذيب الكمال، المزّي، مؤسّسة الرسالة
٥٤. جامع الأُصول، ابن الأثير، المكتبة التجارية، أحمد الباز
٥٥. جامع أحكام القرآن، المعروف بتفسير القرطبي، دار إحياء التراث، بيروت
٥٦. جواهر المطالب، الباعوني، مجمع إحياء الثقافة
٥٧. حاشية ردّ المحتار، ابن عابدين، دار الفكر، بيروت
٥٨. حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت
٥٩. خاتمة المستدرك، الميرزا النوري، مؤسسة آل البيت

٦٠. دفع الارتياب، العلوي، دار القرآن
٦١. دلائل الإمامة، الطبري، مؤسّسة البعثة، قم
٦٢. دلائل النبّوة، البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت
٦٣. ذخائر العقبى، المحبّ الطبري، مكتبة الصحابة
٦٤. رياض الصالحين، النووي، دار الفكر
٦٥. البداية والنهاية، ابن كثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت
٦٦. البدء والتاريخ، ابن طاهر المقدّسي، مكتبة الثقافة، القاهرة
٦٧. البيان والتعريف، ابن حمزة، المكتبة العلمية، بيروت
٦٨. التاريخ الصغير، البخاري، دار المعرفة، بيروت
٦٩. التاريخ الكبير، البخاري، در الكتب العلمية، بيروت
٧٠. التعديل والتجريح، الباجي، طبعة البزار
٧١. الثقات، ابن حبّان، مؤسّسة الكتب الثقافية
٧٢. الجامع الصحيح، المعروف بسنن الترمذي، دار عمران
٧٣. الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي، مكتبة درويش، دمشق
٧٤. الجامع في العلل، أحمد بن حنبل، مؤسّسة الكتب الثقافية
٧٥. الجرح والتعديل، الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت
٧٦. الدرر الكامنة، ابن حجر، دار المعارف العثمانية
٧٧. الديباج على صحيح مسلم، جلال الدين السيوطي، دار ابن عفّان
٧٨. الذرّية الطاهرة، الدولابي، الدار السلفية، الكويت
٧٩. الرجال، ابن داود الحلّي، الرضي
٨٠. الرياض النضرة، المحبّ الطبري، دار المعرفة
٨١. السنن الكبرى، البيهقي، مكتبة المعارف، الرياض

٨٢. السنن الكبرى، النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت
٨٣. السنّة، البغوي، دار القلم
٨٤. السيرة النبوية، لابن كثير، دار المعارف
٨٥. الشرح الكبير، ابن قدامة، دار الكتاب العربي، بيروت
٨٦. الشفاء، القاضي عياض، دار الفكر، بيروت
٨٧. الصواعق المحرقة، ابن حجر، مؤسّسة الرسالة
٨٨. الضعفاء والمتروكين، الذهبي، دار القلم، بيروت
٨٩. الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار صادر، بيروت
٩٠. العبر في خبر من غبر، الذهبي، طبعة حكومة الكويت
٩١. العين، الفراهيدي، الطبعة الأُولى
٩٢. الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت
٩٣. الفتن، نعيم بن حمّاد، دار الفكر، بيروت
٩٤. الفتنة ووقعة الجمل، سيف بن عمر، دار النفائس
٩٥. الفروع، الضياء المقدّسي، دار الكتب العلمية، بيروت
٩٦. الفروق اللغويّة، ابن هلال العسكري، مؤسّسة الرسالة
٩٧. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الطبعة الأُولى
٩٨. القول المسدَّد، ابن حجر، دار ابن تيميّة، القاهرة
٩٩. الكافي، الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران
١٠٠. الكامل في الضعفاء، لابن عدي الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت
١٠١. المبسوط، السرخسي، دار المعرفة، بيروت
١٠٢. المجروحين، ابن حبّان، دار الصميعي
١٠٣. المجموع، النووي، دار الفكر، بيروت

١٠٤. المحدّث الفاصل، الرامهرمزي، دار الفكر، بيروت

١٠٥. المحصول، الرازي، مؤسّسة الرسالة

١٠٦. المداوي في علل الجامع الصغير، الغماري، المكتبة المكية

١٠٧. المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت

١٠٨. المصنَّف، ابن أبي شيبة الكوفي، دار الفكر، بيروت

١٠٩. المصنَّف، عبدالرزاق الصنعاني، المجلس العلمي

١١٠. المطالب العالية، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت

١١١. المعتبر، المحقّق الحلّي، مؤسّسة سيّد الشهداء، قم

١١٢. المعجم الأوسط، الطبراني، مكتبة المعارف، الرياض

١١٣. المعجم الصغير، الطبراني، دار الكتب العلميّة، بيروت

١١٤. المعجم الكبير، الطبراني، دار إحياء التراث، بيروت

١١٥. المقصد الأرشد، برهان الدين بن مفلح، مكتبة الرشد، الرياض

١١٦. الملل والنحل، الشهرستاني، دار المعرفة، بيروت

١١٧. المناقب، الخوارزمي، جامعة المدرِّسين، قم

١١٨. المنتخب من ذيل المذيّل، الطبري، الأعلمي، بيروت

١١٩. المنتظم، ابن الجوزي، دار صادر، بيروت

١٢٠. النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي الأتابكي، مصر

١٢١. النصائح الكافية، محمد بن عقيل، دار الثقافة

١٢٢. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، الطناحي، مكتبة مصر

١٢٣. الهداية الكبرى، الخصيبي، دار البلاغ

١٢٤. سبل السلام، الصنعاني، الحلبي، مصر

١٢٥. سبل الهدى، الصالحي، دار الكتب العلمية، بيروت

١٢٦ . سنن ابن ماجة، ابن ماجة، دار الفكر، بيروت
١٢٧ . سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، دار ابن حزم
١٢٨ . سنن الدارمي، الدارمي، دار إحياء السنّة النبوية
١٢٩ . سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، دار الجيل
١٣٠ . سير أعلام النبلاء، الذهبي، مؤسّسة الرسالة
١٣١ . شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت
١٣٢ . شرائع الإسلام، المحقّق الحلي، الاستقلال
١٣٣ . شرح الكرماني على البخاري، الكرماني، دار الفكر، بيروت
١٣٤ . شرح المواهب اللدنّية، الزرقاني، دار الكتب العلميّة، بيروت
١٣٥ . شرح صحيح مسلم، النووي، دار المعرفة، بيروت
١٣٦ . شرح صحيح مسلم، الوشتاني الآبي، دار الكتب العلمية، بيروت
١٣٧ . شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب العربيّة، بيروت
١٣٨ . شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني، مجمع إحياء الثقافة
١٣٩ . صحيح ابن حبّان، علاء الدين الفارسي، مؤسّسة الرسالة
١٤٠ . صحيح البخاري، البخاري، دار ابن كثير
١٤١ . صحيح مسلم، مسلم بن الحجّاج، دار إحياء التراث، بيروت
١٤٢ . ضحى الإسلام، أحمد أمين المصري، الطبعة الأُولى
١٤٣ . ضعفاء الرجال، ابن حمّاد العقيلي، دار الكتب العلمية، بيروت
١٤٤ . طبقات الحنابلة، محمد بن أبي يعلى، دار المعرفة، بيروت
١٤٥ . طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، عيسى الحلبي
١٤٦ . عقائد الإمامية، المظفّر، مؤسّسة الإمام علي
١٤٧ . علل الشرائع، الصدوق، المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف

١٤٨ . عمدة القاري، البدر العيني، دار الفكر، بيروت

١٤٩ . عون المعبود، العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت

١٥٠ . عيون الأثر، ابن سيد الناس، مؤسّسة عز الدين

١٥١ . عيون أخبار الرضا، الصدوق، الأعلمي، بيروت

١٥٢ . فتح الباري، ابن حجر، دار الفكر، بيروت

١٥٣ . فتح الملك العلي، الغماري، مكتبة أمير المؤمنين

١٥٤ . فتوح البلدان، البلاذري مكتبة السعادة، مصر

١٥٥ . فرائد السمطين، الجويني، تحقيق المحمودي

١٥٦ . فردوس الأخبار، الديلمي، دار الكتاب العربي، بيروت

١٥٧ . فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية، بيروت

١٥٨ . فقه السنّة، سيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت

١٥٩ . فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، دار الفكر، بيروت

١٦٠ . كشف الأستار عن زوائد البزار، لابن حجر، مؤسّسة الرسالة

١٦١ . كشف الخفاء، العجلوني، دار الكتب العلمية، بيروت

١٦٢ . كشف الغمّة، الإربلي، دار الأضواء

١٦٣ . كفاية الطالب، الكنجي الشافعي، دار إحياء تراث أهل البيت، طهران

١٦٤ . كنز العمّال، المتّقي الهندي، مؤسّسة الرسالة

١٦٥ . لسان العرب، ابن منظور، نشر الحوزة

١٦٦ . لسان الميزان، ابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت

١٦٧ . مآثر الأنافة، القلقشندي طبعة حكومة الكويت

١٦٨ . مجمع الزوائد، ابن حجر، دار الفكر، بيروت

١٦٩ . مختصر زوائد البزّار، ابن حجر، مؤسّسة الكتب الثقافية

١٧٠ . مستدرك الحاكم، الحاكم الحسكاني، دار الكتب العلمية، بيروت
١٧١ . مسند ابن راهويه، ابن راهويه، مكتبة الايمان، المدينة المنوّرة
١٧٢ . مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي، دار الثقافة العربية، دمشق
١٧٣ . مسند أحمد، أحمد بن حنبل، دار الفكر، بيروت
١٧٤ . مسند البزّار، البزّار، مكتبة العلوم، المدينة
١٧٥ . مسند الشاميّين، الطبراني، مؤسّسة الرسالة
١٧٦ . مسند الطيالسي، سليمان بن داود، دار الحديث، القاهرة
١٧٧ . مشاهير علماء الأمصار، ابن حبّان، دار الوفاء
١٧٨ . مشكاة المصابيح، القاري، دار الفكر، بيروت
١٧٩ . مشكل الآثار، الطحاوي، دار صادر، بيروت
١٨٠ . مصابيح السنّة، البغوي، دار الكتب العلمية، بيروت
١٨١ . مصنَّف أبي الجعد، عليّ بن الجعد، دار الكتب العلمية، بيروت
١٨٢ . معجم البلدان، الحموي، دار إحياء التراث، بيروت
١٨٣ . معرفة الثقات، العجلي، مكتبة الدار، المدينة المنورة
١٨٤ . معرفة علوم الحديث، الحاكم، دار الآفاق، بيروت
١٨٥ . مغني المحتاج، الشربيني، دار إحياء التراث، بيروت
١٨٦ . مقاتل الطالبيّين، أبو الفرج الأصبهاني، مؤسّسة دار الكتاب
١٨٧ . مناقب علي بن أبي طالب، ابن المغازلي، دار الأضواء
١٨٨ . مناقب علي بن أبي طالب، ابن مردويه، دار الحديث، قم
١٨٩ . من له رواية في الكتب الستّة، الذهبي، دار القبلة
١٩٠ . مواهب الجليل، الحطّاب الرعيني، دار الكتب العلمية، بيروت
١٩١ . ميزان الاعتدال، الذهبي، دار الفكر، بيروت

١٩٢ . نظرات في الكتب الخالدة، حامد حفني، النجاح، القاهرة
١٩٣ . نظم درر السمطين، الزرندي الحنفي، الطبعة الأُولى
١٩٤ . نور العين، الإسفرايني، المنار، تونس
١٩٥ . نيل الأوطار، الشوكاني، دار الجيل
١٩٦ . وفيات الأعيان، ابن خلّكان، دار الثقافة
١٩٧ . وقعة صفّين، ابن مزاحم، المؤسّسة العربية الحديثة
١٩٨ . ينابيع المودّة، القندوزي الحنفي، دار أُسوة

فهرس الموضوعات

الباب الأوّل: في فضائل أهل البيت على العموم

الباب الثاني: في فضائل الإمام علي

الباب الثالث: في مناقب مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام

الباب الرابع: في مناقب الحسن والحسين عليهما السلام

الفهارس